Tafsir Bahrul Ulum Abul Laith Samarqandi vol 2

From (Surah Moeminoon 23)

to Surah (Al-Ankabut 29)

تفسير بحرالعلوم تاليفابوالليث سمرقندي

سورة المؤمنون (23)

الي سورة العنكبوت (29)

23. سورة المؤمنون

24 سورة النور

25 سورة الفرقان

26 سورة الشعراءَ

27 سورة النمل

28. سورة القصص

سورة العنكبوت

http://www.al-eman.com/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A8/%D8%AA%D9%81%D8%B3%D9%8A%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%85%D8%B1%D9%82%D9%86%D8%AF%D9%8A%D8%8C%20%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%85%D9%89%20%C2%AB%D8%A8%D8%AD%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%85%C2%BB%20***/%D8%B3%D9%88%D8%B1%D8%A9%20%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A4%D9%85%D9%86%D9%88%D9%86/i367&d300787&c&p1#s22

*** «تفسير السمرقندي، المسمى «بحر العلوم :ملخص عن كتاب

هذا كتاب من أوائل كتب التفسير بالمأثور، جمع فيه مصنفه بين التفسير بالرواية والتفسير بالدراية، إلا أنه غلب الجانب النقلي على الجانب العقلي؛ ومن ثم عُد ضمن كتب التفسير بالمأثور، ويتخلص منهج المصنف فيه في أنه يسوق الروايات عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ولا يعقب ذلك بالكلام على الأسانيد، ويروي أحيانا عن الضعفاء كالكلبي والسدي وغيرهما، ويتعرض للقراءات على قلة، ويحتكم في ذلك للغة أحيانا، ويقوم بشرح القرآن بالقرآن إن وجد من الآيات القرآنية ما يوضح معنى آية، وقد أورد في تفسيره بعض القصص الإسرائيلية، وقد اختلف في تسمية الكتاب بـ «بحر العلوم» حيث لم يذكر من ترجم لأبي الليث اسم «بحر العلوم» ضمن كتبه، وإنما يقولون: له «تفسير القرآن».

التصنيف الفرعي للكتاب :التفاسير

أبو الليث السمرقندي

علي بن يحيى السمرقندي ثم القرماني، علاء الدين، مفسر من علماء الحنفية، نزل بلارندة من بلاد قرمان، وتتلمذ لعلاء الدين البخاري، اشتغل في بلاده بالعلم الشريف، وبلغ من العلوم مرتبة الفضل، ثم سلك مسلك التصوف، وكان متوطنًا بالمدينة المنورة، توفي في حدود سنة (860هـ).

- الجزء الأول
- الجزء الثاني
- الجزء الثالث

23

سورة المؤمنون

تفسير الآيات رقم [1- 11]

{قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (8) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (9) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (10) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (11)}

قال: حدثنا الفقيه أبو الليث. رحمه الله: حدثنا أبو جعفر قال: حدثنا أبو بكر بن أبي سعيد قال: حدثنا محمد بن علي بن طرخان قال: حدثنا أبو بكر قال: حدثنا عبد الرزاق، عن يونس بن سليم، عن زيد الأيلي، عن الزهري، عن عروة، عن عبد الرحمن بن عيد القارئ، عن عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لقد أنزلت علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ:

{قَدْ أَفْلَحَ المؤمنون} إلى عشر آيات، وروي عن كعب الأحبار قال: إن الله تعالى، لما خلق الجنة، قال لها: تكلمي، فقالت: {قَدْ أَفْلَحَ المؤمنون}. وروي عن غيره. أنها قالت: أنا حرام على كل بخيل ومرائي؛ وروي، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو هذا. وقوله: {قَدْ أَفْلَحَ المؤمنون}؛ أي سعد وفاز ونجا المصدقون بإيمانهم، ثم نعتهم ووصف أعمالهم، فقال: {الذين هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خاشعون}، يعني: متواضعين؛ وقال الزهري: سكون المرء في صلاته، لا يلتفت يميناً ولا شمالاً؛ وقال الحسن البصري: أي خائفون؛ وروي عنه أنه قال: {خاشعون} الذين لا يرفعون أيديهم في الصلاة إلا في التكبيرة الأولى؛ وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: الخشوع في الصلاة، أن لا تلتفت في صلاتك يميناً ولا شمالاً وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه كان إذا قام في الصلاة، رفع بصره إلى السماء، فلما نزلت هذه الآية، رمى

بصره نحو مسجده؛ وروي عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة، فقال: «لَوْ خَشَعَ قَلْبُهُ لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ».
ثم قال عز وجل: {والذين هُمْ عَنِ اللغو مُّعْرِضُونَ}، يعني: الحلف والباطل من الكلام تاركون. قال قتادة: كل كلام أو عمل لا يحتاج إليه فهو لغو؛ ويقال الذين هم عن الشتم والأذى معرضون، كقوله عز وجل: {والذين لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِاللَّغْوِ مَرُّواْ كِراماً} [الفرقان: 72]. ثم قال: {والذين هُمْ للزكواة فاعلون}، يعني: مؤدون. {والذين هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافظون} عن الفواحش وعن ما لا يحل لهم. ثم استثنى، فقال: {إِلاَّ على أزواجهم}، يعني: على نسائهم الأربع، وذكر عن القراءة أنه قال، على بمعنى من يعني: إلا من نسائهم مثنى وثلاث ورباع. {أَوْ مَا مَلَكَتْ أيمانهم}، يعني: الإماء، {فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ}، لا يلامون على الحلال. {فَمَنِ ابتغى وَرَاء ذلك}، يعني: طلب بعد ذلك ما سوى نسائه وإمائه، {فَأُوْلَئِكَ هُمُ العادون}، يعني: المعتدين من الحلال إلى الحرام؛ ويقال: وأولئك هم الظالمون الجائرون الذين تعمدوا الظلم.
{والذين هُمْ لاماناتهم وَعَهْدِهِمْ راعون}، يعني: ما ائتمنوا عليه من أمر دينهم، مما لا يطلع عليه أحد ومما يأتمن الناس بعضهم بعضاً. {وَعَهْدِهِمْ}، يعني: وفاء بالعهد راعون، يعني: حافظين. وأصل الرعي في اللغة، القيام على إصلاح ما يتولاه. قرأ ابن كثير {والذين هُم} بلفظ الوحدان، وقرأ الباقون بلفظ الجمع، يعني: بيع الأمانات.
ثم قال عز وجل: {قَائِمُونَ وَالَّذِينَ هُمْ على صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ}، يعني: على المواقيت يحافظون، لا تشغلهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، ويتمونها بركوعها وسجودها. قرأ حمزة والكسائي {على صَلاَتِهِمْ} بلفظ الوحدان، وقرأ الباقون {صلواتهم} بلفظ الجماعة، ومعناهما واحد، لأن الصلاة اسم جنس يقع على الواحد والأكثر، فهذه الخصال صفة المؤمنين المخلصين في أعمالهم.
ثم بين ثوابهم، فقال عز وجل: {أُوْلَئِكَ هُمُ الوارثون}، يعني: النازلين. ثم بيّن ما يرثون، فقال: {الذين يَرِثُونَ الفردوس}، وهي البساتين بلغة الروم عليها حيطان، ويقال: لم يكن أحد من أهل الجنة إلا وله نصيب في الفردوس، لأن هناك كلها بساتين وأشجار؛ ويقال: {أُوْلَئِكَ هُمُ الوارثون}، يعني: يرثون المنازل التي للكفار في الجنة؛ وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ويقال: الفردوس البستان الحسن. {هُمْ فِيهَا خالدون}، يعني: في الجنة

دائمون؛ وقال القتبي: حدثني أبو حاتم السجستاني قال: كنت عند الأخفش، وعنده الثوري، فقال: يا أبا حاتم، ما صنعت بكتاب المذكر والمؤنث؟ قلت: قد عملت شيئاً. فقال: ما تقول في الفردوس؟ قلت: مذكر. قال: فإن الله يقول: {هُمْ فِيهَا خالدون}. قلت: أراد الجنة، فأنث. فقال: يا غافل، أما تسمع الناس يقولون أسألك الفردوس الأعلى؟ فقلت: يا نائم، إنما الأعلى هاهنا أفعل وليس بفعلى.

▲ تفسير الآيات رقم [12- 14]

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14)}

قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان مِن سلالة مّن طِينٍ}، يعني: آدم. قال الكلبي ومقاتل: السلالة إذا عصر الطين؛ يسيل الطين والماء بين أصابعه؛ وقال الكلبي: خلقنا الإنسان يعني: ابن آدم من نطفة سُلَّت تلك النطفة من طين، والطين آدم عليه السلام والنطفة ما يخرج من صلبه فيقع في رحم المرأة؛ وقال الزجاج: {سلالة مّن طِينٍ}، أي من طين آدم، والسلالة القليل من أن ينسل. وكل مبني على فعالة، فهو يراد به القليل، مثل النخالة، والنطفة سلالة. وإنما سميت النطفة سلالة، لأنها تنسل من بين الصلب والترائب. ثم جعلناه {نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ}، يعني: في مكان حريز حصين. {ثُمَّ خَلَقْنَا النطفة عَلَقَةً}، أي حولنا الماء دماً، {فَخَلَقْنَا العلقة مُضْغَةً}، أي حولنا الدم مضغة، {فَخَلَقْنَا المضغة عظاما}؛ أي خلقنا في المضغة عظاماً؛ {فَكَسَوْنَا العظام لَحْماً ثُمَّ أنشأناه خَلْقاً ءاخَرَ}. قال عكرمة وأبو العالية والشعبي: معناه نفخ فيه الروح.

وروى الأخفش، عن زيد بن وهب، عن عبد الله بن مسعود أنه قَالَ: «إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ الله عز وجل مَلَكاً، فَيُأْمَرُ بأنْ يَكْتُبَ أَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَهِيَ أَرْبَعُ كَلِمَاتٍ. ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ».

وروي، عن عطاء، عن ابن عباس في قوله: {ثُمَّ خَلَقْنَا النطفة عَلَقَةً} قال: نفخ فيه الروح، وروى ابن نجيح، عن مجاهد: {ثُمَّ خَلَقْنَا النطفة عَلَقَةً} قال: حين استوى شاباً؛ وروى معمر، عن قتادة: {ثُمَّ خَلَقْنَا النطفة عَلَقَةً}، قال: هو نبات الشعر والأسنان، وقال بعضهم: هو نفخ الروح؛ ويقال: ذكراً أو أنثى؛ ويقال: معناه {ثُمَّ خَلَقْنَا النطفة عَلَقَةً}، يعني: الجلد. وروي عن عطاء، عن ابن عباس

أنه قال: ينفخ فيه الروح، وروي عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقرأ: «ثم أنشأته خلقاً آخر».

{فَتَبَارَكَ الله أَحْسَنُ الخالقين} ، يعني: أحكم المصورين؛ وروى أبو صالح عن عبد الله بن عباس قال: كان عبد الله بن أبي سرح يكتب هذه الآيات للنبي صلى الله عليه وسلم، فلما انتهى إلى قوله: {ثُمَّ خَلَقْنَا النطفة عَلَقَةً} ، عجب من تفضل الإنسان أي من تفضل خلق الإنسان فقال: {فَتَبَارَكَ الله أَحْسَنُ الخالقين} ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " اكْتُبْ هاكذا أُنْزِلَتْ " فشك عند ذلك، وقال: لئن كان محمد صادقاً فيما يقول إنه يوحى إليه، فقد أوحي إلي كما أوحي إليه؛ ولئن قال من ذات نفسه، فلقد قلت مثل ما قال.

فكفر بالله تعالى.

وقال مقاتل والزجاج: كان عمر رضي الله عنه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إِذْ أُنْزِلَتْ عليه هذه الآية، فقال عمر: {فَتَبَارَكَ الله أَحْسَنُ الخالقين} ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: {هاكذا أُنْزِلَتْ عَلَيَّ} فكأنه أجرى على لسانه هذه الآية قبل قراءة النبي صلى الله عليه وسلم؛ وقد قيل إن الحكاية الأولى غير صحيحة، لأن ارتداد عبد الله بن أبي سرح كان بالمدينة، وهذه الآية مكية. قرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر {فَخَلَقْنَا المضغة عظاما فَكَسَوْنَا العظام لَحْماً} ، وقرأ الباقون بالألف، ومعناهما واحد، لأن الواحد يغني عن الجنس.

▲ تفسير الآيات رقم [15- 20]

{ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (15) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (16) وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ (17) وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ (18) فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (19) وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ (20)}

قوله تعالى: {ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذلك لَمَيّتُونَ} ، يعني: تموتون عند انقضاء آجالكم. {ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القيامة تُبْعَثُونَ} ، يعني: تحيون بعد الموت؛ فذكر أول الخلق، لأنهم كانوا مقرين بذلك؛ ثم أثبت الموت، لأنهم كانوا يشاهدونه؛ ثم أثبت البعث الذي كانوا ينكرونه؛ ثم ذكر قدرته، فقال عز وجل: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ} ، يعني: سبع سموات بعضها فوق بعض كالقبة؛ وقال مقاتل والكلبي: غِلَظُ كل سماء خمسمائة عام، وبين كل سماءين كذلك؛ وقال

أهل اللغة: الطرائق واحدها طريقة؛ ويقال: طارقت الشيء، يعني: إذا جعلت بعضه فوق بعض. وإنما سميت الطرائق، لأن بعضها فوق بعض.
ثم قال: {وَمَا كُنَّا عَنِ الخلق غافلين}، أي عن خلقهن عاجزين تاركين؛ ويقال: لكل سماء طريقة، لأن على كل سماء ملائكة عبادتهم مخالفة لعبادة ملائكة السماء الأخرى، يعني: لكل أهل سماء طريقة من العبادة: {وَمَا كُنَّا عَنِ الخلق غافلين}، أي لم نكن نغفل عن حفظهن، كما قال: {وَجَعَلْنَا السمآء سَقْفاً مَّحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ ءاياتها مُعْرِضُونَ} [الأنبياء: 32].
قوله عز وجل: {وَأَنزَلْنَا مِنَ السماء مَاء بِقَدَرٍ}، يعني: بوزن، ويقال: بقدر ما يكفيهم لمعايشهم؛ ويقال: {بِقَدَرٍ}، يعني: كل سنة تمطر بقدر السنة الأولى، كما روي عن ابن مسعود أنه قال: ليست سنة بأمطر من سنة، ولكن الله عز وجل يصرفه حيث يشاء ويقال: {وَأَنزَلْنَا مِنَ السماء مَاء}، أي أربعة أنهار، تخرج من الجنة دجلة والفرات وسيحان وجيحان. {فَأَسْكَنَّاهُ فِى الارض}، أي فأدخلناه في الأرض؛ ويقال: جعلناه ثابتاً فيها من الغدران والعيون والركايا. {وَإِنَّا على ذَهَابٍ بِهِ لقادرون}، يعني: يغور في الأرض، فلا يقدر عليه، كقوله عز وجل: {قُلْ أَرَءيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُمْ بِمَآءٍ مَّعِينٍ} [الملك: 30].
{فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جنات}، يعني: وأخرجنا بالماء جنات، يعني: الخضرة؛ ويقال: جعلنا لكم بالماء البساتين. {مّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ}، يعني: الكروم {لَّكُمْ فِيهَا فواكه كَثِيرَةٌ}، يعني: ألوان الفواكه سوى النخيل والأعناب. {وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ}. ثم قال عز وجل: {وَشَجَرَةً}، أي وأنبتنا شجرة، ويقال: خلقنا شجرة، {تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاء}؛ قال قتادة: طور سيناء جبل حسن؛ وقال الكلبي: جبل ذو شجرة؛ وقال مجاهد: الطور جبل والسيناء حجارة؛ وقال القتبي: الطور جبل والسيناء اسم؛ وقال مقاتل: خلقنا في الجبل الحسن الذي كلم الله تعالى موسى عليه السلام قرأ ابن كثير وأبو عمر ونافع {طُورِ سَيْنَاء} بكسر السين، وقرأ الباقون بالنصب، ومعناهما واحد. ثم قال: {تَنبُتُ بالدهن}، أي تخرج بالدهن. قرأ ابن كثير وأبو عمرو {تُنبِتُ} بضم التاء وكسر الباء، يعني: تخرج الدهن، وقرأ الباقون {تُنبِتُ} بنصب التاء وضم الباء، وهو اختيار أبي عبيد، أي تنبت معه الدهن، كما يقال: جاءني فلان بالسيف. {وَصِبْغٍ لّلاكِلِينَ}، يعني: الزيت يصطبغ به، وجعل الله عز وجل في هذه الشجرة إداماً ودهناً، وهي صبغ للآكلين.

تفسير الآيات رقم [21- 25]

{وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (21) وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (22)
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (23) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (24) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ (25)}

ثم قال عز وجل: {وَإِنَّ لَكُمْ فِى الانعام لَعِبْرَةً}، يعني: في الإبل والبقر والغنم لمن يعتبر فيها، يقال العبر بأوقار والمعتبر بمثقال. {نُّسْقِيكُمْ مّمَّا فِى بُطُونِهَا}، يعني: من ألبانها وهي تخرج من بين فرث ودم.
قرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر {نُّسْقِيكُمْ} بنصب النون، وقرأ الباقون بالضم، وهذا مثل ما في سورة النحل.
ثم قال: {وَلَكُمْ فِيهَا منافع كَثِيرَةٌ}، يعني: في ظهورها وأصوافها وألبانها وأشعارها، {وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ}؛ يعني: من لبنها ولحومها وأولادها. {وَعَلَيْهَا وَعَلَى الفلك تُحْمَلُونَ}، يعني: على الأنعام في المفازة وعلى السفينة في البحر تسافرون.
قوله عز وجل: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إلى قَوْمِهِ}، يعني: أرسلناه إلى قومه كما أرسلناك إلى قومك. فإن قيل: إيش الحكمة في تكرار القصص؟ قيل له: لأن في كل قصة كررها ألفاظاً وفوائد ونكتاً ما ليس في الأخرى، ونظمها سوى نظم الأخرى. وقال الحسن: للقصة ظهر وبطن، فالظهر خبر يخبرهم، والبطن عظة تعظهم؛ ويقال: إنما كررها تأكيداً للحجة والعظة، كما أنه كرر الدلائل ويكفي دليل واحد لمن يستدل به تفضلاً من الله تعالى ورحمة منه.
فقال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إلى قَوْمِهِ}، {فَقَالَ ياقوم *** قَوْمٌ *** اعبدوا الله}؛ يعني: أطيعوا الله عز وجل ووحدوه. {مَا لَكُم مّنْ إله غَيْرُهُ}، يعني: ليس لكم رب سواه، {أَفَلاَ تَتَّقُونَ} عبادة غير الله عز وجل فتوحدونه؟ يعني: اتقوه ووحدوه.
قوله عز وجل: {فَقَالَ الملا الذين كَفَرُواْ}، يعني: الأشراف الذين كفروا {مِن قَوْمِهِ مَا هذا إِلاَّ بَشَرٌ مّثْلُكُمْ}، يعني: خلقاً آدمياً مثلكم. {يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ

عَلَيْكُمْ}. بالرسالة، ويقال: يريد أن يتفضل عليكم، يعني: يريد أن يجعل لنفسه فضلاً عليكم بالرسالة. {وَلَوْ شَاء الله لأَنزَلَ ملائكة}، أي لو شاء أن يرسل إلينا رسولاً، لأنزل ملائكة. {مَّا سَمِعْنَا بهذا}، يعني: مما يدعونا إليه نوح من التوحيد.

{فَقَالَ الملؤا الذين * إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ}، يعني: الجنون، {فَتَرَبَّصُواْ بِهِ حتى حِينٍ}؛ يعني: انتظروا به حتى يتبين لكم أمره وصدقه من كذبه؛ ويقال: {حتى حِينٍ}، أي حتى يموت فتنجوا منه. فلما أبوا على نوح، دعا عليهم.

تفسير الآيات رقم [26- 35]

{قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (26) فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (27) فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (28) وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (29) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (30) ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (31) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (32) وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (33) وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ (34) أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ (35)}

{قَالَ رَبّ انصرنى} يعني: أعني عليهم بالعذاب. {بِمَا كَذَّبُونِ}، يعني: بتحقيق قولي في العذاب، لأنه أنذر قومه بالعذاب، فكذبوه. قوله عز وجل: {فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصنع الفلك بِأَعْيُنِنَا}، أي اعمل السفينة بأعيننا، يعني: بمنظر منا وبعلمنا. ثم قال: {وَوَحْيِنَا}، يعني: بوحينا إليك وأمرنا. {فَإِذَا جَاء أَمْرُنَا}، يعني: عذابنا، {وَفَارَ التنور}؛ يعني: بنبع الماء من أسفل التنور، {فاسلك فِيهَا}؛ يعني: فأدخل في السفينة {مِن كُلّ زَوْجَيْنِ اثنين}، يعني: من كل حيوان صنفين ولونين ذكراً وأنثى، {وَأَهْلَكَ}؛ يعني: وأدخل فيها أهلك، {إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ القول مِنْهُمْ}؛ يعني: إلا من وجب عليه العذاب، وهو ابنه كنعان. {وَلاَ تخاطبنى فِى الذين ظَلَمُواْ} يعني: ولا تراجعني بالدعاء

في الذين كفرُوا وهو ابنه. {إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ} بالطوفان. قرأ عاصم في رواية حفص {مِن كُلّ زَوْجَيْنِ} بتنوين اللام، وقرأ الباقون بغير تنوين.
ثم قال عز وجل: {فَإِذَا استويت أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الفلك}، يعني: ركِبت في السفينة، {فَقُلِ الحمد للَّهِ}، يعني: الشكر لله {الذى نَجَّانَا مِنَ القوم الظالمين} المشركين. قوله عز وجل: {وَقُل رَّبّ أَنزِلْنِى}، يعني: إذا نزلت من السفينة إلى البر، فقل: رب أنزلني {مُنزَلاً مُّبَارَكاً}. قرأ عاصم في رواية أبي بكر {مُنزَلاً} بنصب الميم وكسر الزاي، يعني: موضع النزول؛ وقرأ الباقون {مُنزَلاً} بضم الميم ونصب الزاي، وهو اختيار أبي عبيدة، وهو المصدر من أنزل ينزل، فصار بمعنى أنزلني إنزالاً مباركاً. {وَأَنتَ خَيْرُ المنزلين} من غيرك؛ وقد قرأ في الشواذ {وَأَنتَ خَيْرُ المنزلين} بنصب الزاي، يعني: أن الله تعالى قال لنوح عليه السلام: قل هذا القول، حتى تكون خير المنزلين.
ثم قال عز وجل: {إِنَّ فِى ذَلِكَ}، يعني: في إهلاك قوم نوح. {لأَيَاتٍ}، يعني: لعبراً لمن بعدهم. {وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ}، يعني: وقد كنا لمختبرين بالغرق؛ ويقال: بالطاعة والمعصية. وإن بمعنى قد، كقوله {قَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ الله مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجبال} [إبراهيم: 46]، يعني: وقد كان مكرهم. قوله عز وجل: {ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ}، أي خلقنا من بعدهم {قَرْنٍ مكناهم} وهم قوم هود، {فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مّنْهُمْ}؛ يعني: نبيّهم هوداً عليه السلام {أَنِ اعبدوا الله}، يعني: قال لهم هود: احمدوا الله وأطيعوه، {مَا لَكُمْ مّنْ إله غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ}، يعني: اتقوه. اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به الأمر. قوله عز وجل: {وَقَالَ الملا مِن قَوْمِهِ الذين كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَاء الاخرة}، يعني: بالبعث بعد الموت، {وأترفناهم}؛ يعني: أنعمنا عليهم، ويقال: وسعنا عليهم حتى أترفوا. {وَقَالَ الملا مِن قَوْمِهِ الذين}، يعني قالوا: ما هذا {إِلاَّ بَشَرٌ}، يعني: آدمياً {مّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ}، يعني: كما تأكلون منه، {وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ}؛ يعني: كما تشربون. {وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً}، يعني: آدمياً {مّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لخاسرون}، أي لمغبونون {أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَاباً}، أي صرتم تراباً {وعظاما أَنَّكُمْ مُّخْرَجُونَ}، يعني: محيون.

▲ تفسير الآيات رقم [36- 48]

{هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (36) إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (37) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ (38) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (39) قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ (40) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (41) ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ (42) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (43) ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (44) ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (45) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (46) فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (47) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ (48)}

قوله عز وجل: {هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ} قرأ أبو جعفر المدني {هَيْهَاتِ هَيْهَاتِ} كلاهما بكسر التاء. قال أبو عبيد: قراءتها بالنصب، لأنه أظهر اللغتين وأفشاهما، وقال بعضهم: قد قُرِئ هذا الحرف بسبع قراءات بالكسر، والنصب، والرفع، والتنوين، وغير التنوين، والسكون. وهذه الكلمة يعبر بها عن البعد، يعني: بعيداً بعيداً، ومعناه أنهم قالوا: هذا لا يكون أبداً، يعني: البعث. {لِمَا تُوعَدُونَ}، يعني: بَعِيداً بَعيداً لِمَا تُوْعَدُونَ.

{إِنْ هِىَ}، يعني: ما هي {إِلاَّ حَيَاتُنَا الدنيا نَمُوتُ وَنَحْيَا}، يعني: نحيا ونموت على وجه التقديم؛ ويقال: معناه يموت الآباء وتعيش الأبناء. {وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ}، يعني: لا نبعث بعد الموت. {إِنْ هُوَ}، يعني: ما هو {إِلاَّ رَجُلٌ افترى على الله كَذِباً وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ}، أي بمصدقين، فلما كذبوه دعا عليهم، {قَالَ رَبِّ انصرنى}، يعني: قال هود: أعني عليهم بالعذاب {بِمَا كَذَّبُونِ * قَالَ} الله تعالى: {عَمَّا قَلِيلٍ}، يعني: عن قريب. وما صلة، كقوله {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ الله لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ القلب لاَنْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فاعف عَنْهُمْ واستغفر لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى الامر فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى الله إِنَّ الله يُحِبُّ المتوكلين} [آل عمران: 159]. {لَّيُصْبِحُنَّ نادمين}، يعني: ليصيرن نادمين، فأخبر الله تعالى عن معاملة الذين كانوا من قبل مع أنبيائهم وسوء جزائهم وأذاهم لأنبيائهم، ليصبر النبي صلى الله عليه وسلم على أذى قومه.

ثم أخبر عن عاقبة أمرهم، فقال تعالى: {فَأَخَذَتْهُمُ الصيحة بالحق}؛ يعني: العذاب وهو الريح العقيم؛ ويقال: وهي صيحة جبريل عليه السلام {فجعلناهم غُثَاء}، يعني: يابساً؛ ويقال: هلكى كالغثاء، وهو جمع غثاء وهو ما على السيل من الزبد، لأنه يذهب ويتفرق؛ وقال الزجاج: الغثاء البالي من ورق الشجر، أي جعلناه يبساً كيابس الغثاء؛ ويقال: الغثاء النبات اليابس كقوله: {فَجَعَلَهُ غُثَآءً أحوى} [الأعلى: 5]. ثم قال: {فَبُعْداً}، يعني: سحقاً ونكساً {لّلْقَوْمِ الظالمين}، يعني: بعداً من رحمة الله تعالى.
قوله عز وجل: {ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُوناً}، يعني: خلقنا من بعدهم قروناً {ءاخَرِينَ *** مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا}؛ وفي الآية مضمر ومعناه: فأهلكناهم بالعذاب في الدنيا ما تسبق من أمة، يعني: ما يتقدم ولا تموت قبل أجلها طرفة عين، {وَمَا يَسْتَخِرُونَ} بعد أجلهم طرفة عين.
قوله عز وجل: {ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا}، يعني: بعضها على إثر بعض قرأ ابن كثير وأبو عمرو {رُسُلَنَا تَتْرَى} بالتنوين، وقرأ حمزة والكسائي بكسر الراء بغير تنوين، وقرأ الباقون بنصب الراء وبغير تنوين وهو التواتر. قال مقاتل: كلّ ما في القرآن «تَتْرا وَمِدْرَاراً وَأَبَابِيلَ وَمُرْدِفِينَ»، يعني: بعضها على إثر بعض.
قال القتبي: أصل تترى وتراً، فقلبت الواو تاءً كما قلبوها في التقوى والتخمة وأصلها وتراً، والتخمة وأصلها.
ثم قال عز وجل: {كُلَّمَا جَاءهُمْ *** أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضاً} بالهلاك الأول فالأول، {فجعلناهم أَحَادِيثَ}؛ أي أخباراً وعبراً لمن بعدهم؛ ويقال: فجعلناهم أحاديث لمن بعدهم، يتحدثون بأمرهم وشأنهم؛ وقال الكلبي: ولو بقي واحد منهم لم يكونوا أحاديث. {فَبُعْداً} لِلْهَالِكِ؛ ويقال: فسحقاً {لّقَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ}، يعني: لا يصدقون.
قوله عز وجل: {ثُمَّ أَرْسَلْنَا موسى وَأَخَاهُ هارون بئاياتنا} التسع، {وسلطان مُّبِينٍ}؛ يعني: بحجة بينة {إلى فِرْعَوْنَ}، أي قومه: {عَادٌ فاستكبروا}؛ يعني: تعظموا عن الإيمان والطاعة، {وَكَانُواْ قَوْماً عالين}؛ يعني: متكبرين. {فَقَالُواْ أَنُؤْمِنُ}، يعني: أنصدق {لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا}؟ يعني: خلقين آدميين. {وَقَوْمُهُمَا لَنَا عابدون}، أي مستهزئين ذليلين. {فَكَذَّبُوهُمَا}، يعني: موسى وهارون، {فَكَانُواْ مِنَ المهلكين}؛ يعني: صاروا مغرقين في البحر.

تفسير الآيات رقم [49- 53]

{وَلَقَدْ آَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (49) وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آَيَةً وَآَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (50) يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (51) وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (52) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (53)}

قوله عز وجل: {وَلَقَدْ ءاتَيْنَا موسى الكتاب}، يعني: التوراة، {لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ}؛ يعني: لكي يهتدوا، يعني: بني إسرائيل. قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا ابن مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ءايَةً}، يعني: عبرة وعلامة لبني إسرائيل، ولم يقل آيتين؛ وقد ذكرناه. ثم قال: {وَجَعَلْنَا ابن مَرْيَمَ}، يعني: أنزلناهما إلى ربوة، وذلك أنها لما ولدت عيسى عليه السلام هم قومها أن يرجموها، فخرجت من بيت المقدس إلى أرض دمشق، والربوة المكان المرتفع. {ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ}، يعني: أرضاً مستوية {وَمَعِينٍ} يعني: الماء الجاري الطاهر، وهو مفعول من العين، وأصله معيون، كما يقال: ثوب مخيط؛ وقال سعيد بن المسيب: الربوة هي دمشق؛ ويقال: هي بيت المقدس، لأنها أقرب إلى السموات من سائر الأرض؛ ويقال: إنها الرملة وفلسطين. قرأ ابن عامر وعاصم {رَبْوَةٍ} بنصب الراء، وقرأ الباقون بالضم، ومعناهما واحد.

قوله عز وجل: {لَّمَّا كَذَّبُواْ الرسل}، يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم. وإنما خاطب به النبي صلى الله عليه وسلم وأراد به النبي صلى الله عليه وسلم وأمته، كما يجيء في مخاطبتهم. {كُلُواْ مِنَ الطيبات}، يعني: من الحلالات. قال الفقيه أبو الليث رحمه الله: حدثنا الخليل بن أحمد قال: حدثنا ابن صاعد قال: حدثنا أحمد بن منصور قال: حدثنا الفضيل بن دكين قال: حدثنا الفضل بن مرزوق قال: أخبرني عدي بن ثابت، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إنَّ الله طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلاَّ طَيِّباً، وَإنَّ الله تَعَالَى أمَرَ المُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المُرْسَلِينَ، فَقَالَ: {وَمَعِينٍ يأَيُّهَا الرسل كُلُواْ مِنَ الطيبات} وقال: {وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الغمام وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ المن والسلوى كُلُواْ مِن طيبات مَا رزقناكم وَمَا ظَلَمُونَا ولكن كانوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [البقرة: 57]. ثمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ، يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالحَرَامِ؛ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لذلك» وقال الزجاج: خوطب بهذا النبي صلى الله عليه

وسلم، فقيل: {لَّمَّا كَذَّبُواْ الرسل} وتضمن هذا الخطاب أن الرسل عليهم السلام جميعاً كذا أمروا. قال: ويروى أن عيسى عليه السلام كان يأكل من غزل أمه، وكان رزق النبي صلى الله عليه وسلم من الغنيمة وأطيب الطيبات الغنائم. ثم قال تعالى: {واعملوا صالحا}؛ يعني: خالصاً. {إِنّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}، يعني: قبل أن تعملوا.

قوله عز وجل: {وَإِنَّ هذه أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحدة}، يعني: دينكم الذي أنتم عليه، يعني: ملة الإسلام دين واحد، عليه كانت الأنبياء عليهم السلام والمؤمنون.

{وَأَنَاْ رَبُّكُمْ فاتقون}، يعني: أنا شرعته لكم فأطيعون. قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: {ءانٍ} بنصب الألف وتشديد النون، وقرأ ابن عامر بنصب الألف وسكون النون، وقرأ الباقون بكسر الألف والتشديد على معنى الابتداء.

ثم قال عز وجل: {فَتَقَطَّعُواْ أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ}، يقول: فرقوا دينهم وتفرقوا في دينهم، ومعناه: أن دين الله تعالى واحد، فجعلوه أدياناً مختلفة زبراً. قرأ ابن عامر: {زُبُراً} بنصب الباء، أي قطعاً وفرقاً، وقرأ نافع وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي {زُبُراً}. بضم الباء، أي كتباً، معناه: جعلوا دينهم كتباً مختلفة؛ ويقال: فتقطعوا كتاب الله وحرفوه وغيروه {زُبُراً}. {كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ}، يعني: بما هم عليه من الدين معجبون، راضون به.

▲ تفسير الآيات رقم [54- 61]

{فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ (54) أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (55) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ (56) إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (57) وَالَّذِينَ هُمْ بِآَيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (58) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (59) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آَتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (60) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (61)}

قوله عز وجل: {فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ}، يعني: اتركهم في جهالتهم {حتى حِينٍ}، يعني: إلى حين يأتيهم ما وعدوا به من العذاب. {أَيَحْسَبُونَ}، يعني: أيظنون وهم أهل الفرق، {أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ} يعني: أن الذي نزيدهم به {مِن مَّالٍ وَبَنِينَ} في الدنيا. {نُسَارِعُ لَهُمْ فِى الخيرات}، يعني: هو خير لهم في الآخرة؟ قرأ بعضهم {**يُسَارَعُ} بالياء ونصب الراء على معنى فعل ما لم يسم

فاعله، وقراءة العامة {وَبَنِينَ نُسَارِعُ} بالنون وكسر الراء، يعني: يظنون أنا نسارع لهم في الخيرات، بزيادة المال والولد؛ بل هو استدراج لهم.
وروي في الخبر، أن الله تعالى أوحى إلى نبي من الأنبياء عليهم السلام أيفرح عبدي أن أبسط له في الدنيا، وهو أبعد له مني ويجزع عبدي المؤمن أن أقبض منه الدنيا، وهو أقرب له مني؟ ثم قال: {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ}، وقد تم الكلام، يعني: أيظنون أن ذلك خير لهم في الدنيا؟ ثم قال: {نُسَارِعُ لَهُمْ فِى الخيرات} {بَل لاَّ يَشْعُرُونَ} أن ذلك فتنة لهم؛ ويقال: {أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ} وقد تم الكلام، يعني: أيظنون أن ذلك خير لهم في الدنيا؟ ثم قال عز وجل: {نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الخيرات} يعني: نبادرهم في الطاعات وهو خير لهم، أي في الآخرة {بَل لاَّ يَشْعُرُونَ} أن زيادة المال والولد أن ذلك مكر بهم وشر لهم في الآخرة.
ثم ذكر المؤمنين، فقال عز وجل: {إِنَّ الذين هُم مِّنْ خَشْيةِ رَبّهِمْ مُّشْفِقُونَ}، يعني: خائفين من عذابه؛ ويقال: هذا عطف على قوله: {والذين هُمْ لامَانَاتِهِم وَعَهْدِهِمْ راعون * والذين هُمْ على صلواتهم يحافظون * والذين هُم مِّنْ *** خَشْيةِ رَبّهِمْ مُّشْفِقُونَ} ثم قال: {والذين هُم بئايات رَبَّهِمْ يُؤْمِنُونَ}، يعني: بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن يصدقون.
قوله: {والذين هُم بِرَبّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ}، يعني: لا يشركون معه غيره، ولكنهم يوحدون ربهم؛ ويقال: بربهم لا يشركون، وهو أن يقول: لولا فلان ما وجدت هذا. ثم قال عز وجل: {والذين يُؤْتُونَ مَا ءاتَواْ}، يعني: يعطون ما أعطوا من الصدقة والخير. {وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ}، يعني: خائفة. وروى سالم بن معول، عن عبد الرحمن بن سعيد الهمداني: أن عائشة رضي الله عنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية {والذين يُؤْتُونَ مَا ءاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ} هم الذين يشربون الخمر ويسرقون ويزنون، قال: «ا يا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، ولكنهم هُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَيُصَلُّونَ». وروي عن أبي بكر بن خلف أنه قال: دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة رضي الله عنها فقلنا: كيف تقرئين يا أم المؤمنين {والذين يُؤْتُونَ مَا ءاتَواْ}، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ {والذين يُؤْتُونَ مَا ءاتَواْ}، فقلت يا نبي الله، هو الرجل الذي يسرق ويشرب الخمر؟ قال:
»ا يا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ، وَيَخَافُ أَنْ لاَ يُقْبَلَ مِنْهُ». وقال الزجاج: من قرأ {يُؤْتُونَ مَا ءاتَواْ}، معناه يعطون ما أعطوا،

ويخافون أن لا يقبل منهم؛ ومن قرأ {يَأْتُونَ * مَا ءاتَواْ} أي يعملون من الخيرات ما يعملون، ويخافون مع اجتهادهم أنهم مقصرون. ثم قال تعالى: {أَنَّهُمْ إلى رَبّهِمْ راجعون}، يعني: لأنهم إلى ربهم راجعون، ومعناه يعملون ويوقنون أنهم يبعثون بعد الموت.
قوله عز وجل: {أُوْلَئِكَ يسارعون فِى الخيرات}، يعني: يبادرون في الطاعات من الأعمال الصالحة، {وَهُمْ لَهَا سابقون}، يعني: هم لها عاملون، يعني: الخيرات، وقال الزجاج: فيه قولان: أحدهما معناه هم إليها سابقون، كقوله عز وجل: {بِأَنَّ رَبَّكَ أوحى لَهَا} يعني: إليها، ويجوز هم لها سابقون أي لأجلها، أي من أجل اكتسابها، كقولك: أنا أكرم فلاناً لك، أي من أجلك.

تفسير الآيات رقم [62- 67]

{وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (62) بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ (63) حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ (64) لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ (65) قَدْ كَانَتْ آَيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ (66) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ (67)}

قوله عز وجل: {وَلاَ نُكَلّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا}، يعني: بقدر طاقتها. {وَلَدَيْنَا كِتَابٌ}، يعني: وعندنا نسخة أعمالهم التي يعملون، وهي التي تكتب الحفظة عليهم {يَنطِقُ بالحق}، يعني: يشهد عليهم بالصدق؛ وقال الكلبي: {وَلاَ نُكَلّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا}، أي طاقتها؛ فمن لم يستطع أن يصلي قائماً، فليصلِّ قاعداً. {وَعِندَنَا كتاب * يَنطِقُ بالحق}؛ وهو الذكر، يعني: اللوح المحفوظ. {وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ}، يعني: لا يزاد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم. {بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مّنْ هذا}، يعني: في غفلة من الإيمان بهذا القرآن؛ ويقال: هم في غفلة من هذا الذي وصفنا من كتابة الأعمال. {وَلَهُمْ أعمال مّن دُونِ ذلك}؛ قال مقاتل: يقول: لهم أعمال خبيثة دون الشرك {هُمْ لَهَا عاملون}، أي لتلك الأعمال لا محالة التي في اللوح المحفوظ. وروى عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة قال: ذكر الله تعالى: {الذين هُم مّنْ خَشْيةِ رَبّهِمْ مُّشْفِقُونَ}. ثم قال للكفار: {بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مّنْ هذا} ثم رجع إلى

المؤمنين، فقال: {وَلَهُمْ أعمال مِّن دُونِ ذلك} الأعمال التي عددتهم لها عاملون.
ثم قال عز وجل: {حتى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بالعذاب}، يعني: أغنياءهم وجبابرتهم بالعذاب.
قال مجاهد: يعني: بالسيوف يوم بدر، وقال الكلبي: بالجوع سبع سنين، حتى أكلوا الجيف. {حتى إِذَا أَخَذْنَا}، أي يصيحون ويتضرعون إلى الله تعالى، حين نزل بهم العذاب؛ ويقال يدعون ويستغيثون.
قول الله تعالى: {لاَ تَجْئَرُواْ اليوم}، يعني: لا تضجوا ولا تتضرعوا اليوم. {إِنَّكُمْ مّنَّا لاَ تُنصَرُونَ}، يعني: من عذابنا لا تمنعون.

قوله عز وجل: {قَدْ كَانَتْ ءايَتِى تتلى عَلَيْكُمْ}، أي تقرأ وتعرض عليكم، {فَكُنتُمْ على أعقابكم تَنكِصُونَ}، أي ترجعون إلى الشرك وتميلون إليه. {مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ}، أي متعظمين؛ ويقال {تَنكِصُونَ} أي تقيمون عليه {مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ} يعني: بالبيت، صار هذا كناية من غير أن يسبق ذكر البيت، لأن ذلك البيت كان معروفاً عندهم. وقال مجاهد: {مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ} أي بمكة بالبلد. {سامرا} بالليل لجلسائهم. {تَهْجُرُونَ} بالقول الذي في القرآن؛ ويقال: {تَهْجُرُونَ} يعني: تتكلمون بالفحش وسب النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا كما قال صلى الله عليه وسلم: «زُورُوها يعني: المقابر ولا تَقُولُوا هُجْراً» يعني: فحشاً؛ وقال القتبي: {مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ}، يعني: بالبيت العتيق تهجرون به، ويقولون: نحن أهله سامراً. والسمر حديث الليل؛ وقال أهل اللغة: السمر في اللغة ظل القمر؛ ولهذا سمي حديث الليل سمراً، لأنهم كانوا يجتمعون في ظل القمر ويتحدثون. قرأ نافع {سامرا تَهْجُرُونَ} بضم التاء وكسر الجيم، وقرأ الباقون بنصب التاء وضم الجيم، وقال أبو عبيد: هذه القراءة أحب إلينا، فيكون من الصدود والهجران، كقوله: {فَكُنتُمْ على أعقابكم تَنكِصُونَ}، يعني: تهجرون القرآن ولا تؤمنون به. ومن قرأ: {تَهْجُرُونَ} أراد الإفحاش في المنطق، وقد فسرها بعضهم على الشرك.

▲ تفسير الآيات رقم [68- 74]

{أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آَبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ (68) أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (69) أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (70) وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ

فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ (71) أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (72) وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (73) وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ (74)}

ثم قال عز وجل: {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ القول}؛ وأصله يتدبروا فأدغم التاء في الدال، يعني: أفلم يتفكروا في القرآن؟ {أَمْ جَاءهُمْ} من الأمان {مَّا لَمْ يَأْتِ ءابَاءهُمُ الاولين}، حتى يؤمنوا؛ وقال: معناه جاءهم الذي لم يجئ آباءهم الأولين؛ وهذا كقوله: {لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أُنذِرَ ءابَاؤُهُمْ}؛ وقال الكلبي: {مَّا لَمْ يَأْتِ ءابَاءهُمُ الاولين أَمْ لَمْ} من البراءة من العذاب ثم قال تعالى: {أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ}، يعني: نسبة رسولهم. {فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ}، يعني: جاحدين؛ قال أبو صالح: عرفوه ولكن حسدوه.
{أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ}، يعني: بل يقولون به جنون. {بَلْ جَاءهُمْ بالحق}، يعني: الرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة والقرآن من عند الله عز وجل، أن لا تعبدوا إلا الله. {وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقّ كارهون}، يعني: جاحدين مكذبين، وهم الكفار.
قوله عز وجل: {وَلَوِ اتبع الحق أَهْوَاءهُمْ}، والحق هو الله تعالى، يعني: لو اتبع الله أهواءهم يعني: مرادهم، {لَفَسَدَتِ *** السموات والارض *** وَمَن فِيهِنَّ}، يعني: لهلكت، لأن أهواءهم ومرادهم مختلفة؛ ويقال: لو كانت الآلهة بأهوائهم، كما قالوا: لفسدت السموات، كقوله: {لَوْ كَانَ فِيهِمَآ آلِهَةٌ إِلاَّ الله لَفَسَدَتَا فسبحان الله رَبِّ العرش عَمَّا يَصِفُونَ} [الأنبياء: 22]. ثم قال: {بَلْ أتيناهم بِذِكْرِهِمْ}، يعني: أنزلنا إليهم جبريل عليه السلام بعزهم وشرفهم، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم. {فَهُمْ عَن ذِكْرِهِمْ مُّعْرِضُونَ}، يعني: عن القرآن، أي تاركوه لا يؤمنون به. {أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً}، قرأ حمزة والكسائي {***خراجاً}. {خَرْجاً فَخَرَاجُ رَبّكَ خَيْرٌ}، يعني: فثواب ربك خير، ويقال: قوت ربك من الحلال خير من جعلهم وثوابهم. {وَهُوَ خَيْرُ الرزقين}، أي أفضل الرازقين.
قوله عز وجل: {وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إلى صراط مُّسْتَقِيمٍ}، يعني: دين مستقيم، وهو الإسلام لا عوج فيه. {وأَنَّ الذين لاَ يُؤْمِنُونَ بالاخرة}، يعني: لا يصدقون بالبعث {عَنِ الصراط لناكبون}، أي عن الدين لعادلون ومائلون.

▲ تفسير الآيات رقم [75- 77]

{وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (75) وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (76) حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (77)}

{وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ}، يعني: من الجوع الذي أصابهم، يعني: من الجوع الذي أصابهم، {لَّلَجُّواْ}؛ أي مضوا وتمادوا {فِي طغيانهم يَعْمَهُونَ}، يعني: في ضلالتهم يترددون. قوله عز وجل: {وَلَقَدْ أخذناهم بالعذاب}، يعني: بالجوع، {فَمَا استكانوا لِرَبِّهِمْ}؛ يعني: ما تضعفوا وما خضعوا لربهم. {وَمَا يَتَضَرَّعُونَ}؛ يقول: ما يرغبون إلى الله في الدعاء وبالطاعة، {حتى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ}؛ يعني: نفتح عليهم. قال السدي: هو فتح مكة. {إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ}، قال: أبلسوا يومئذٍ وتغيرت وجوههم وألوانهم، حين ينظرون أصنامهم تكسرت، وقال عكرمة: ذا عذاب شديد، يعني: فتح مكة؛ ويقال: الجوع الشديد {إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ}، أي آيسون من كل خير ورزق.

▲ تفسير الآيات رقم [78- 90]

{وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (78) وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (79) وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (80) بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ (81) قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (82) لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (83) قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (84) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (85) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (86) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (87) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (88) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (89) بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (90)}

قوله عز وجل: {وَهُوَ الذى أَنْشَأَ لَكُمُ السمع والابصار والافئدة}، فهذه الأشياء من النعم. {قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ}، يعني: أنتم لا تشكرون؛ ويقال: شكركم فيما صنع إليكم قليل. {وَهُوَ الذى ذَرَأَكُمْ}، يعني: خلقكم في الأرض. {وَإِلَيْهِ

تُحْشَرُونَ} في الآخرة، {وَهُوَ الذى يُحيِ وَيُمِيتُ}؛ أي يحيي الموتى ويميت الأحياء. {وَلَهُ اختلاف اليل والنهار}، أي ذهاب الليل ومجيء النهار، {أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} أمر الله؟ ويقال: أفلا تعقلون توحيد ربكم فيما ترون من صنعه فتعتبرون؟ ثم قال عز وجل: {بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ الاولون}، يعني: كذبوا مثل ما كذب الأولون. {قَالُواْ * أَءذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وعظاما أَءنَّا لَمَبْعُوثُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءابَاؤُنَا هذا مِن قَبْلُ}، يعني: هذا القول. {إِنَّ هَذَا}، يعني: ما هذا {إِلاَّ أساطير الاولين}، يعني: أحاديثهم وكذبهم.

قوله عز وجل: {قُلْ} لكفار مكة: {لّمَنِ الارض وَمَن فِيهَا} من الخلق. {إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} أن أحداً يفعل ذلك غير الله تعالى، فأجيبوني. {سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ}، يعني: تتعظون فتطيعونه وتوحدونه. {قُلْ مَن رَّبُّ *** السموات **السبع وَرَبُّ العرش العظيم * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ}، وكلهم قرؤوا الأول بغير ألف، وأما الآخر فإن كلهم قرؤوا بغير ألف غير أبي عمرو، فإنه قرأ الله؛ والباقون لله. قال أبو عبيد: وجدت في مصحف الإمام كلها بغير ألف. قال: وحدثني عاصم الجحدري أن أول من قرأ هاتين الألفين نصر بن عاصم الليثي. فأما من قرأ {الله}، فهو ظاهر لأنه جواب السائل عما يسأل، ومن قرأ {لِلَّهِ}، فله مخرج في العربية سهل، وهو ما حكى الكسائي عن العرب أنه يقال للرجل: من رب هذه الدار؟ فيقول: لفلان، يعني: هي لفلان. والمعنى في ذلك أنه إذا قيل: من صاحب هذه الدار؟ فكأنه يقول: لمن هذه الدار. وإذا قال المجيب: هي لفلان أو قال: فلان، فهو جائز ولو كان الأول {الله}، لكان يجوز في اللغة، ولكنه لم يقرأ والاختلاف في الآخرين.

ثم قال: {قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ} عبادة غير الله تعالى، فتوحدوه.

قوله عز وجل: {قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلّ شَئ}، يعني: خزائن كل شيء. {وَهُوَ يُجْيِرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ}، يعني: يقضي ولا يقضى عليه، ويقال: وهو يؤمن من العذاب ولا يؤمن عليه، أي ليس له أحد يؤمن الكفار من عذابه. {إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ *** سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فأنى تُسْحَرُونَ}، يعني: من الذين تصرفون عن الإسلام وعن الحق. ثم قال عز وجل: {بَلْ أتيناهم بالحق}، قال الكلبي: يعني: القرآن؛ وقال مقاتل: يعني: جئناهم بالتوحيد. {وَإِنَّهُمْ لكاذبون} في قولهم إن الملائكة عليهم السلام كذا وكذا ثم قال:

▲ تفسير الآيات رقم [91- 98]

{مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (91) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (92) قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ (93) رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (94) وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ (95) ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (96) وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (97(وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (98)}

{مَا اتخذ الله مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ}، أي من شريك. {إِذاً لَّذَهَبَ}، يعني: لو كان معه آلهة لذهب {كُلُّ إله بِمَا خَلَقَ}، يعني: لاستولى كل إله بما خلق وجمع لنفسه كلما خلق. {وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ}، يعني: ولغلب بعضهم على بعض. {سبحان الله عَمَّا يَصِفُونَ} من الكذب.

قوله عز وجل: {عالم الغيب والشهادة}، يعني: عالم السر والعلانية؛ ويقال: عالم بما مضى وما هو كائن. {فتعالى الله عَمَّا يُشْرِكُونَ}، يعني: هو أجلُّ وأعلى مما يوصف له من الشريك والولد. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم في رواية حفص: {عالم الغيب} بكسر الميم على معنى النعت لقوله {سبحان الله}، وقرأ الباقون بالضم على معنى الابتداء.

قوله: {قُل رَّبّ إِمَّا تُرِيَنّى مَا يُوعَدُونَ} من العذاب وما صلة؛ ويقال: إن أريتني عذابهم. {رَبّ فَلاَ تَجْعَلْنِى فِى القوم الظالمين}، يعني: أخرجني منهم قبل أن تعذبهم، فلا تعذبني معهم بذنوبهم. {وَإِنَّا على أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ} من العذاب {لقادرون}؛ قال الكلبي: هذا أمر قد كان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، شهده أصحابه وقد مضى بعد الفتنة التي وقعت في الصحابة، بعد قتل عثمان رضي الله عنه وذكر: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ير بعد نزول هذه الآية ضاحكاً ولا مبتسماً؛ وقال مقاتل: {وَإِنَّا على أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لقادرون} يعني: يوم بدر؛ ويقال: يوم فتح مكة؛ ويقال: قل: {رَّبّ إِمَّا تُرِيَنّى مَا يُوعَدُونَ} يعني: الفتنة {رَبّ فَلاَ تَجْعَلْنِى فِى القوم الظالمين}، يعني: مع الفئة الباغية، وهذا كقوله: {واتقوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الذين ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً واعلموا أَنَّ الله شَدِيدُ العقاب} [الأنفال: 25]. وذكر عن الزبير أنه كان إذا قرأ هذه الآية، يقول قد حذرنا الله فلم نحذر.

ثم قال عز وجل: {ادفع بالتى هِىَ أَحْسَنُ السيئة}، يعني: ادفع بحلمك جهلهم؛ ويقال: بالكلام الحسن الكلام القبيح؛ ويقال: ادفع بقول لا إله إلا الله الشرك من

أهل مكة. ثم قال: {نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ}، يعني: بما يقولون من الكذب؛ ويقال: معناه نحن أعلم بما يقولون فلا تعجل أنت أيضاً. {وَقُلْ رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشياطين}، يعني: أعتصم بك من نزغات الشيطان وضرباته ووساوسه. ثم قال: {وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ}، يعني: قل: رب أعوذ بك من قبل أن يحضرون الشياطين عند تلاوة القرآن؛ ويقال: يحضرون عند الموت؛ ويقال: عند الصلاة. وأصله أن يحضرونني، إلا أنه يكتب {يَحْضُرُونِ} بحذف إحدى النونين للتخفيف.

▲ تفسير الآيات رقم [99- 111]

{حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (100) فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (101) فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (102) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (103) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (104) أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (105) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (106) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (107) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (108) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (109) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (110) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (111)}

قوله عز وجل: {حتى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الموت}، يعني: أمهلهم وأجلهم، حتى إذا حضر أحدهم الموت وهم الكفار، {قَالَ رَبِّ ارجعون}؛ يعني: يقول لملك الموت وأعوانه: يا سيدي ردني؛ ويقال: يدعو الله تعالى، ويقول: يا رب ارجعون؛ ويقال: إنما قال بلفظ الجماعة، لأن العرب تخاطب جليل الشأن بلفظ الجماعة؛ ويقال: معناه يا رب مرهم ليرجعوني إلى الدنيا. {لَعَلّى أَعْمَلُ صالحا}، يعني: خالصاً {فِيمَا تَرَكْتُ} في الدنيا. قال الله تعالى: {كَلاَّ}، وهو رد عليهم، يعني: أنه لا يرد إلى الدنيا. ثم قال: {إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا}، يعني: مقولها ولا تنفعه. ثم قال: {وَمِن وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ}، يعني: من بعدهم القبر {إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}، أي والبرزخ ما بين الدنيا والآخرة؛ ويقال: كل حاجز بين

الشيئين. فهو برزخ؛ ويقال: هو بين النفختين؛ وقال قتادة: البرزخ بقية الدنيا؛ وقال الحسن: القبر بين الدنيا والآخرة.
قوله عز وجل: {فَإِذَا نُفِخَ فِى الصور}، يعني: النفخة الأخيرة، {فَلاَ أنساب بَيْنَهُمْ}؛ يعني: لا ينفعهم {يَوْمَئِذٍ} النسبُ، {وَلاَ يَتَسَاءلُونَ} عن ذلك. فهذه حالات لا يتساءلون في موضع، ويتساءلون في موضع آخر. {فَمَن ثَقُلَتْ موازينه}، يعني: رجحت حسناته على سيئاته، {فَأُوْلَئِكَ هُمُ المفلحون}؛ يعني: الناجون من الآخرة، {وَمَنْ خَفَّتْ موازينه}؛ يعني: رجحت سيئاته على حسناته، {فأُوْلَئِكَ الذين خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خالدون * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النار}؛ يعني: تنفح. قال أهل اللغة: النفح واللفح بمعنى واحد، إلا أن اللفح أشد تأثيراً وهو الدفع، يعني: تضرب وجوههم النار. {وَهُمْ فِيهَا}، يعني: في النار، {كالحون}؛ يعني: كلحت وعبست وجوههم، والكالح الذي قد قلصت شفتاه عن أسنانه، ونحو ما تُرى من رؤوس الغنم مشوية إذا بدت الأسنان، يعني: كلحت وجوههم فلم تلتق شفاههم. وقال ابن مسعود: كالرأس النضوج.
ثم قال: {أَلَمْ تَكُنْ}، يعني: يقال لهم: ألم تكن {تتلى عَلَيْكُمْ فاستكبرتم}، يعني: ألم يكن يقرأ عليكم القرآن فيه بيان هذا اليوم، وما هو كائن فيه؟ {فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ}، يعني: بالآيات.
قوله عز وجل: {قَالُواْ}، يعني: إن الكفار قالوا: {رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا}، التي كتبت علينا والتي قدرت علينا في اللوح المحفوظ. {وَكُنَّا قَوْماً ضَالّينَ} عن الهدى. قرأ حمزة والكسائي {***شقاوتنا} بنصب الشين والألف، وقرأ الباقون {عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا} بكسر الشين وسكون القاف بغير ألف. وروي عن ابن مسعود {***شقاوتنا} و{عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا} ومعناهما قريب. {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا}، يعني: من النار، {فَإِنْ عُدْنَا} إلى الكفر والتكذيب، {فَإِنَّا ظالمون *** قَالَ}، أي فحينئذٍ يقول الله تعالى: {اخسئوا فِيهَا}، يعني: اصغروا فيها واسكتوا، أي كونوا صاغرين.
{وَلاَ تُكَلّمُونِ}، أي ولا تكلمون بعد ذلك.
قال أبو الليث رحمه الله: حدثنا محمد بن الفضل قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف قال: حدثنا أبو حفص، عن سعيد، عن قتادة، عن أبي أيوب الأزدي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: إن أهل النار يدعون مالكاً، فلا يجيبهم أربعين عاماً، ثم يرد عليهم: إنكم ماكثون. ثم يدعون ربهم: ربنا أخرجنا منها، فإن عدنا فإنا ظالمون. فلا يجيبهم مقدار ما كانت

الدنيا مرتين، ثم يجيبهم: {اخسئوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ}، فوالله ما نبت بعد هذا بكلمة إلا الزفير والشهيق.
وروي عن ابن عباس أنه قال: لما قال الله تعالى: {اخسئوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ}، فإنما بقت أفواههم وانكسرت ألسنتهم، فمن الأجواف يعوون عواء الكلب؛ ويقال: {اخسئوا} أي تباعدوا تباعد سخط. يقال: خسأت الكلب، إذا زجرته ليتباعد. ثم بيّن لهم السبب الذي استحقوا تلك العقوبة به، فقال: {إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ} وهم المؤمنون: {رَبَّنَا ءامَنَّا}، أي صدقنا، {فاغفر لَنَا وارحمنا وَأَنتَ خَيْرُ الرحمين}.
قوله عز وجل: {فاتخذتموهم سِخْرِيّاً}، يعني: هزواً، {حتى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى}؛ يعني: أنساكم الهزء بهم العمل بطاعتي، {وَكُنْتُمْ مّنْهُمْ تَضْحَكُونَ} في الدنيا. قرأ عاصم، وابن عامر، وابن كثير، وأبو عمرو {سِخْرِيّاً} بكسر السين، وكذلك في سورة ص، وكانوا يقرؤون في الزخرف بالرفع، قالوا: لأن في هذين الموضعين من الاستهزاء. وهناك في الزخرف من السخرة والعبودية، فما كان من الاستهزاء فهو بالكسر، وما كان من التسخير فهو بالضم. وقرأ حمزة والكسائي ونافع {سِخْرِيّاً} كل ذلك بالضم؛ وقال أبو عبيد: هكذا نقرأ، لأنهن يرجعن إلى معنى واحد، وهما لغتان سِخْرِيٌّ وسُخْرِيّ؛ وذكر عن الخليل، وعن سيبويه أن كليهما واحد.
قوله عز وجل: {إِنِى جَزَيْتُهُمُ اليوم بِمَا صَبَرُواْ}، يعني: جعلت جزاءهم الجنة وهم المؤمنون بما صبروا، يعني: بصبرهم على الأذى وعلى أمر الله تعالى. {أَنَّهُمْ هُمُ الفائزون}، يعني: الناجون. قرأ حمزة والكسائي {أَنَّهُمْ} بكسر الألف على معنى الابتداء، والمعنى إني جزيتهم. ثم أخبر فقال: إنهم هم الفائزون، وقال أبو عبيد، وقرأ الباقون {أَنَّهُمْ} بالنصب أَنِّي جزيتهم لأنهم هم الفائزون؛ وقال أبو عبيد: الكسر أحب إليَّ على ابتداء المدح من الله تعالى.

تفسير الآيات رقم [112- 118]

{قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (112) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (113) قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (114) أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (115) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (116) وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (117) وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (118)}

قوله عز وجل: {قال كَمْ لَبِثْتُمْ فِى الارض عَدَدَ سِنِينَ}، يعني: في القبر؛ ويقال: في الدنيا. ويروى عن ابن عباس في بعض الروايات أنه قال: لا أدري في الأرض أم في القبر؟ وقال مقاتل: {كَمْ لَبِثْتُمْ} فِي القبر عدد سنين. {قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ العادين}، قال الأعمش: يعني: الحافظين؛ وقال مقاتل: يعني: ملك الموت وأعوانه، وقال قتادة: يعني: فاسأل الحسَّاب؛ وقال مجاهد: يعني: الملائكة عليهم السلام وهكذا قال السدي. {قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ} في القبر أو في الدنيا، {إِلاَّ قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}، يعني: لو كنتم تصدقون أنبيائي عليهم السلام في الدنيا، لعرفتم أنكم ما مكثتم في القبور إلا قليلاً. قرأ حمزة والكسائي وابن كثير: {قال كَمْ لَبِثْتُمْ} على معنى الأمر، وكذلك قوله {قُلْ إِنْ * لَّبِثْتُمْ}، وقرأ الباقون: {قَالَ} بالألف، وقرأ حمزة والكسائي: {فَاسْأَلِ العادين} بغير همز، وقرأ الباقون: {فَاسْأَلِ} بالهمزة.
ثم قال: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خلقناكم عَبَثاً}، أي لعباً وباطلاً لغير شيء، يعني: أظننتم أنكم لا تعذبون بما فعلتم؟ {وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ} بعد الموت. قرأ حمزة والكسائي: {لاَ تُرْجَعُونَ} بنصب التاء وكسر الجيم، وقرأ الباقون بضم التاء ونصب الجيم، وكذلك التي في القصص قالوا: لأنها من مرجع الآخرة، وما كان من مرجع الدنيا، فقد اتفقوا في فتحه، مثل قوله: {فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلاَ إلى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ} [يس: 50]. قال أبو عبيد: وبالفتح نقرأ، لأنهم اتفقوا في قوله تعالى: {وَحَرَامٌ على قَرْيَةٍ أهلكناهآ أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ} [الأنبياء: 95]، وقال إنهم لاَ يرجعون وَقَال {والذين يُؤْتُونَ مَآ ءاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إلى رَبِّهِمْ راجعون} [المؤمنون: 60]، كقوله: {الذين إِذَآ أصابتهم مُّصِيبَةٌ قالوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ راجعون} [البقرة: 156]، فأضاف الفعل إليهم.
ثم قال عز وجل: {فتعالى الله الملك الحق}، يقول: ارتفع وتعظم من أن يكون خلق شيئاً عبثاً، وإنما خلق لأمر كائن. ثم وحد نفسه، فقال: {لاَ إله إِلاَّ هُوَ رَبُّ العرش الكريم}، يعني: السرير الحسن.
قوله عز وجل: {وَمَن يَدْعُ مَعَ الله إِلَهَا ءاخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ}، يقول: لا حجة له بالكفر ولا عذر يوم القيامة. {فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبّهِ} في الآخرة، يعني: عذابه. {إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الكافرون}، يعني: لا يأمن الكافرون من عذابه؛ ويقال: معناه جزاء كل كافر أنه لا يفلح الكافرون في الآخرة عند ربهم.
قوله عز وجل: {وَقُل رَّبّ اغفر وارحم}، يعني: تجاوز عني. {وَأَنتَ خَيْرُ الرحمين}، يعني: من الأبوين؛ وهذا قول الحسن، ويقال: من غيرك؛ ويقال:

إنما حسابه عند ربه فيجازيه، كما قال: {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ} [الغاشية: 26] {وَقُل رَّبِّ اغفر وارحم} فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يستغفر للمؤمنين، ويسأل لهم المغفرة؛ ويقال: أمره بأن يستغفر لنفسه، ليعلم غيره أنه محتاج إلى الاستغفار. كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنِّي أَسْتَغْفِرُ الله رَبِّي وَأَتُوبُ إِلَى الله فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً، أَوْ قالَ مِائَةَ مَرَّةٍ» والله سبحانه وتعالى أعلم.

سورة النور

تفسير الآيات رقم [1- 2]

{سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آَيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (1) الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (2)}

قوله سبحانه وتعالى: {سُورَةٌ أنزلناها}؛ قرأ بعضهم: {سُورَةٌ} بنصب الهاء، وقراءة العامة بالضم. فمن قرأ بالضم فمعناه هذه سورة أنزلناها، ومن قرأ بالنصب فمعناه أنزلنا سورة؛ ويقال: اقرأ سورة وقد قرئت {سُورَةٌ} بالهمزة وبغير همز؛ فمن قرأ بالهمز، جعلها من أسأرت، يعني: أفضلت كأنها قطعت من القرآن؛ ومن لم يهمز جعلها من سور المدينة سوراً. وقال النابغة للنعمان بن المنذر:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله أَعْطَاكَ سُورَةَ *** تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ

وإنما خص هذه السورة بذكر السورة لما فيها من الأحكام، فذلك كله يرجع إلى أمر واحد وهو أمر النساء. ثم قال تعالى: {وفرضناها}، يعني: بيَّنا حلالها وحرامها، وقال القتبي: أصل الفريضة الوجوب، وهاهنا يجوز أن يكون بمعنى بيّناها، وقد يجوز أوجبنا العمل بما فيها؛ وقال بعض أهل اللغة: أصل الفرض هو القطع، ولهذا سمي ما يقطع من حافة النهر فرضة؛ ويسمى الموضع الذي يقطع من السواك، أي ليشد فيه الخيط فرض؛ ولهذا يسمى الميراث فريضة، لأن كل واحد قطع له نصيب معلوم. قرأ ابن كثير وأبو عمرو: {وفرضناها} بتشديد الراء، وقرأ الباقون بالتخفيف. فمن قرأ بالتخفيف، فمعناه ألزمناكم العمل بما فرض؛ ومن قرأ بالتشديد، فهو على وجهين: أحدهما على معنى التكثير، أي إنا فرضنا فيها فروضاً، ومعنى آخر: وبيَّنا وفصلنا فيها من الحلال والحرام.

ثم قال: {وَأَنزَلْنَا فِيهَا}، يعني: في السورة {بَيّنَاتٍ فاسأل}، يعني: الحدود والفرائض والأمر والنهي؛ ويقال: الآيات، يعني: العلامات والعبرات؛ ويقال:

يعني: آيات القرآن. {لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}، يعني: تتعظون، فلا تعطلون الأحكام والحدود.
قوله عز وجل: {الزانية والزانى}؛ وقرأ بعضهم: {الزانية} بالنصب على معنى: اجلدوا الزانية والزاني، وهكذا السارق والسارقة بالنصب على هذا المعنى؛ ويقال: في الزنى بدأ بذكر المرأة، لأن الزنى في النساء أكثر؛ وفي السرقة بدأ بالرجال، لأن السرقة في الرجال أكثر. وقراءة العامة بالرفع على معنى الابتداء، وقيل: إنما بدأ بالمرأة، لأنها أحرص على الزنى من الرجال؛ ويقال: لأن الفعل ينتهي إليها، ولا يكون إلا برضاها.
ثم قال: {فاجلدوا كُلَّ وَاحِدٍ مّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ}، يعني: إذا كانا غير محصنين؛ {وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ الله}. قرأ ابن كثير {رَأْفَةٌ} بالهمزة والمد، وقرأ أبو عمرو بالمد بغير همز؛ وقرأ الباقون بالهمز بلا مد؛ ومعنى الكل واحد وهو الرحمة؛ وقال بعضهم: الرأفة اسم جنس، والرحمة اسم نوع. قال بعضهم: الرأفة للمذنبين، والرحمة للتائبين، وهو قول سفيان الثوري؛ وقال بعضهم: الرأفة تكون دفع المكروه، والرحمة إيصال المحبوب، يعني: لا تحملنكم الشفقة عليهما على ترك الحد، {إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بالله}؛ يعني: في دين الله، أي في حكم الله إن كنتم تؤمنون بالله، {واليوم الاخر}؛ يعني: يوم القيامة.
وإنما سمي اليوم الآخر، لأنه لا يكون بعده ليل ولا نهار، فيصير كله بمنزلة يوم واحد؛ وقد قيل: إنه تجتمع الأنوار كلها، وتصير في الجنة يوماً واحداً، وجمعت الظلمات كلها في النار، وتصير كلها ليلة واحدة.
ثم قال: {وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مّنَ المؤمنين}، يعني: ليحضر عند إقامة الحد طائفة من المؤمنين. وفي حضور الطائفة ثلاث فوائد: أولها أنهم يعتبرون بذلك، ويبلغ الشاهد الغائب والثانية أن الإمام إذا احتاج إلى الإعانة أعانوه، والثالثة لكي يستحي المضروب، فيكون زجراً له من العود إلى مثل ذلك الفعل؛ وقال الزهري: الطائفة ثلاثة فصاعداً، وذكر عن أنس بن مالك أنه قال: أربعة فصاعداً، لأن الشهادة على الزنى لا تكون أقل من أربعة؛ وقال بعضهم: اثنان فصاعداً؛ وقال بعضهم: الواحد فصاعداً؛ وهو قول أهل العراق؛ وهو استحباب وليس بواجب، وروي عن ابن عباس أنه قال: رجلان، وعن مجاهد قال: واحد فما فوقه طائفة؛ وروي عن ابن عباس مثله.

▲ تفسير الآيات رقم [3- 5]

{الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (3) وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (4) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (5)}

قوله عز وجل: {الزانى لاَ يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً}. روي عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده: أن رجلاً يقال له مرثد بن أبي مرثد، قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أأنكح عناقاً، يعني: امرأة بغيَّة كانت بمكة؟ قال: فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى نزلت هذه الآية {الزانى لاَ يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً}، {أَوْ مُشْرِكَةً}، فقال: «يا مَرْثَدُ لا تَنْكِحْهَا» وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: ليس هو على النكاح، ولكنه الجماع؛ ويقال: إن أصحاب الصفة استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يتزوجوا الزواني، وكانت لهن رايات كعلامة البيطار ليُعرف أنها زانية، وقالوا: لنا في تزويجهن مراد، فأذن لنا فإنهن أخصب أهل المدينة وأكثرهم خيراً؛ والمدينة غالية السعر، وقد أصابنا الجهد. فإذا جاءنا الله تعالى بالخير، طلقناهن وتزوجنا المسلمات، فنزلت الآية {الزانى لاَ يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً}.

وقال سعيد بن جبير، والضحاك: {الزانى لاَ يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً} أي لا يزني حين يزني إلا بزانية مثله في الزنى، والزانية لا تزني إلا بزان مثلها في الزنى. {والزانية لاَ يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرّمَ ذلك عَلَى المؤمنين}، يعني: الزنى؛ وقال الحسن البصري: الزاني المجلود بالزنى، لا ينكح إلا زانية مجلودة مثله في الزنى. وروي عن علي بن أبي طالب: أن مجلوداً تزوج امرأة غير مجلودة، ففرق بينهما؛ ويقال: أراد به النكاح، لا ينكح، يعني: لا يتزوج. وكان التزويج حراماً بهذه الآية، ثم نسخ بما روي أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إن امرأتي لا ترد يد لامس، فقال: طَلِّقْهَا. قال: إني أحبها، فقال: أَمْسِكْهَا. وقال سعيد بن المسيب: {الزانى لاَ يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً}. كانوا يرون الآية التي بعدها نسختها {وَأَنْكِحُواْ الأيامى مِنْكُمْ والصالحين مِنْ عِبَادِكُمْ

وَإِمائِكُمْ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ الله مِن فَضْلِهِ والله وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [النور: 32] الآية.
ثم قال عز وجل: {والذين يَرْمُونَ المحصنات}، يعني: يقذفون العفائف من النساء الحرائر المسلمات، {ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء} على صدق مقالتهم، {فاجلدوهم}؛ يقول: للحكام؛ ويقال: هذا الخطاب لجميع المسلمين. ثم إن المسلمين فوضوا الأمر إلى الإمام وإلى القاضي، ليقيم عليهم الحد. {ثَمَانِينَ جَلْدَةً}، يعني: ثمانين سوطاً. {وَلاَ تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً}، أي لا تقبلوا لهم شهادة بعد إقامة الحد عليهم. {وَأُوْلَئِكَ هُمُ الفاسقون}، يعني: العاصين.
قال عز وجل: {إِلاَّ الذين تَابُواْ مِن بَعْدِ ذلك}، يعني: القذف. {وَأَصْلَحُواْ}، يعني: العمل بعد التوبة، {فَإِنَّ الله غَفُورٌ} لذنوبهم بعد التوبة، {رَّحِيمٌ} بهم بعد التوبة؛ وقال شريح: يقبل توبته فيما بينه وبين الله تعالى. فأما شهادته، فلا تقبل أبداً؛ وقال إبراهيم النخعي رحمه الله: إذا تاب ذهب عنه الفسق، ولا تقبل شهادته أبداً. وروي عن ابن عباس أنه قال: {إِلاَّ الذين تَابُواْ} تاب الله عليهم من الفسق وأما الشهادة، فلا تقبل أبداً؛ وهكذا عن سعيد بن جبير ومجاهد. وروي عن جماعة من التابعين أن شهادته تقبل إذا تاب، مثل عطاء وطاوس وسعيد بن المسيب والشعبي وغيرهم؛ وهو قول أهل المدينة، والأول قول أهل العراق وبه نأخذ.

تفسير الآيات رقم [6- 10]

{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (6) وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (7) وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (8) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (9) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (10)}

ثم قوله عز وجل: {والذين يَرْمُونَ أزواجهم}، يعني: يقذفون أزواجهم بالزنى. قال أبو الليث: حدّثنا أبو جعفر قال: حدّثنا أبو الحسن علي بن أحمد قال: حدّثنا محمد بن الفضل قال: حدّثنا يزيد بن هارون، عن عباد بن منصور، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لما

نزل {والذين يَرْمُونَ المحصنات} الآية، قال مسعد بن عبادة، وهو سيد الأنصار: أهكذا أنزلت يا رسول الله؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، ألا تَسْمَعُونَ إِلَى مَا يَقُولُ سَيِّدُكُمْ؟». فقال سعد: والله يا رسول الله إني لأعلم أنها حق، وأنها من الله تعالى، ولكني قد تعجبت أني لو وجدت لكاعاً قد تفخذها رجل، لم يكن لي أن أهيجه، حتى آتي بأربعة شهداء. فوالله إني لا آتي بأربعة شهداء، حتى يقضي حاجته. قال: فما لبثوا إلا يسيراً، حتى جاء هلال بن أمية، وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم. فجاء من أرضه عشاء، فوجد عند امرأته رجلاً، فرأى بعينه وسمع بأذنه، فلم يهجه حتى أصبح، فغدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إني جئت أهلي عشاء فوجدت عندها رجلاً، فرأيت بعيني وسمعت بأذني. فكره النبي صلى الله عليه وسلم ما جاء به واشتد عليه.

واجتمعت الأنصار، فقالوا: قد ابتلينا بما قال سعد بن عبادة. الآن يضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم هلال بن أمية، ويبطل شهادته في المسلمين، فقال هلال: والله إني لأرجو أن يجعل الله لي مخرجاً. فوالله إن النبي صلى الله عليه وسلم ليريد أن يأمر بضربه، إذ نزل عليه الوحي، فعرفوا بذلك في تربد وجهه، فأمسكوا عنه حتى فرغ من الوحي فنزل {والذين يَرْمُونَ أزواجهم}. {وَلَمْ يَكُنْ لَّهُمْ شُهَدَاء إِلاَّ أَنفُسُهُمْ}، فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «أَبْشِرْ يا هِلالُ فَقَدْ جَعَلَ الله لَكَ مَخْرَجاً». فقال هلال: قد كنت أرجو ذلك من ربي. فأرسلوا إليها، فجاءت فتلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما وذكرهما، وأخبرهما أن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا. فقال هلال: والله يا رسول الله لقد صدقت عليهما. فقالت: كذب علي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لاعِنُوا بَيْنَهُما». فقيل لهلال: اشهد. فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين؛ فلما كانت الخامسة، قيل: يا هلال، اتق الله فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب. قال: والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني عليها، فشهد الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين.

ثم قيل لها: اشهدي. فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين، فلما كانت الخامسة، قيل لها: اتقي الله، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، وان هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب، فمكثت ساعة ثم قالت: والله لا أفضح قومي، فشهدت الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين، ففرق

رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما، وقضى أن لا يدعى ولدها لأب، وقال: إن جاءت به أصيهب أريسج أثيبج خمش الساقين، فهو لهلال. وإن جاءت به أورق جعداً جمالياً خدلج الساقين سابغ الأليتين، فهو للذي رميت به. فجاءت به أورق جعداً جمالياً خدلج الساقين سابغ الأليتين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَوْلاَ الأَيْمَانُ، لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ» قال عكرمة: فكان بعد ذلك أميراً على مصر ولا يدعى لأب.

وروى ابن شهاب، عن سهل بن سعد الساعدي: أن عويمر العجلاني أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، أرأيت إن وجد الرجل مع امرأته رجلاً إن قتله قتلتموه أو كيف يفعل؟ قال: «قَدْ أَنْزَلَ الله فِيكَ وَفِي صَاحِبَتِكَ قُرْآناً فَاذْهَبْ فَأْت بِهَا» فتلاعنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فلما فرغا، قال: كذبت عليها يا رسول الله إن أمسكتها فهي طالق ثلاثاً. فطلقها ثلاثاً قبل أن يأمره النبي صلى الله عليه وسلم. قال ابن شهاب: تلك سنة المتلاعنين؛ وفي رواية أخرى: أنه فرق بينهما؛ وقال الزهري: صار ذلك سنة في المتلاعنين، فذلك قوله: {والذين يَرْمُونَ أزواجهم وَلَمْ يَكُنْ لَّهُمْ شُهَدَاء إِلاَّ أَنفُسُهُمْ} يعني: الزوج خاصة.
{فشهادة أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شهادات بالله إِنَّهُ لَمِنَ الصادقين}، أي يحلف الزوج أربع مرات، فيقول في كل مرة: أشهد بالله الذي لا إله إلا هو أني صادق فيما رميتها به من الزنى، {والخامسة}؛ يعني: ويقول في المرة الْخَامِسَةِ: {أَنَّ لَعْنَةَ الله عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الكاذبين} فيما رماها به من الزنى.
قوله: {وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا العذاب}، يعني: يدفع الحاكم الحد عن المرأة {أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بالله إِنَّهُ لَمِنَ الكاذبين}، يعني: بعد ما تحلف المرأة أربع مرات، فتقول في كل مرة: أشهد بالله الذي لا إله إلا هو أن الزوج من الكاذبين في قوله، {والخامسة}؛ يعني: وتقول المرأة في الخامسة: {أَنَّ غَضَبَ الله عَلَيْهَا إِن كَانَ} الزوج {مِنَ الصادقين} في مقالته. قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص {أَرْبَعُ شهادات} بضم العين، وقرأ الباقون بالنصب. فمن قرأ بالضم، يكون على معنى خبر الابتداء، فشهادة أحدهم التي تدرأ حد القذف أربع شهادات. ومن قرأ بالنصب، فالمعنى فعليهم أن يشهد أحدهم أربع شهادات.

قال أبو عبيد: وبهذا نقرأ، ومعناه فشهادة أحدهم أن يشهد أربع شهادات، فيكون الجواب في قوله: إنه لمن الصادقين.
وقرأ عاصم: {أَن لَّعْنَةُ الله} بتخفيف أنْ والجزم، وقرأ الباقون بالتشديد، وقرأ عاصم في رواية حفص {والخامسة أَنَّ غَضَبَ الله عَلَيْهَا} بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع. فإذا فرغا من اللعان، فرق القاضي بينهما وقال بعضهم: بعد اللعان؛ وهو قول الشافعي رحمه الله أو في قول علمائنا رحمهم الله لا تقع الفرقة، ما لم يفرق بينهما.
ثم قال عز وجل: {وَلَوْلاَ فَضْلُ الله عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ} ؛ وجوابه مضمر، ومعناه ولولا فضل الله عليكم ورحمته، لبين لكم الصادق من الكاذب؛ ويقال ولولا فضل الله عليكم ورحمته، لنال الكاذب منكم بما ذكرناه من عذاب عظيم. ثم قال: {وَأَنَّ الله تَوَّابٌ حَكِيمٌ}، يعني: تواب لمن تاب ورجع، حكيم بينهما بالملاعنة.
قوله عز وجل: {إِنَّ الذين جَاءوا بالإفك عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ}، يعني: قالوا بالكذب؛ وقال الأخفش: الإفك أسوأ الكذب، وهذه الآية نزلت ببراءة عائشة رضي الله عنها. قال الفقيه أبو الليث رحمه الله أخبرني الثقة بإسناده، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج في سفر أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه. قالت: فأقرع بيننا في غزوة غزاها، فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك بعد ما نزلت آية الحجاب، وكان ذلك في غزوة بني المصطلق. قالت: فأنا أحمل في هودجي، وأنزل فيه في مسيرنا، حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته وقفل ودنونا من المدينة، أذن ليلة بالرحيل، فقمت ومشيت حتى جاوزت الجيش. فلما قضيت شأني، أقبلت إلى الرحل فلمست صدري، فإذا عقدي من جزع ظفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي. فحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلوني، فحملوا هودجي ورحلوه على بعيري الذي كنت أركب، وهم يحسبون أني فيه. قالت: وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يهبلهن ولم يفشهن اللحم. إنما يأكلن العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم ثقل الهودج، حين رحلوه ورفعوه.
وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا. ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب. قالت: فجلست مكاني، فظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون إلي فبينما أنا جالسة في منزلي، إذ غلبني

النوم، فنمت وقد كان صفوان بن المعطل السلمي يمكث في المعسكر؛ إذا ارتحل الناس، يتبع ما يقع من الناس من أمتعتهم، فيحمله إلى المنزل الآخر، فيعرفه فتجيء الناس ويأخذون أمتعتهم. وكان لا يكاد يذهب من العسكر شيء، فأصبح صفوان عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رآني؛ وقد كان يراني قبل أن يضرب عليَّ الحجاب فاسترجع، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي.

فوالله ما كلمني كلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته فركبتها فانطلق بي يقود بي الراحلة.

قالت: وكان عبد الله بن أبي، إذا نزل في العسكر، نزل في أقصى العسكر، فيجتمع إليه ناس فيحدثهم ويتحدثون. قالت: وكان معه في مجلسه يومئذ حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، فافتقد الناس عائشة حين نزلوا صحوة، وهاج الناس في ذكرها أن عائشة قد فقدت، ودخل علي بن أبي طالب على النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبره أن عائشة قد فقدت. فبينما الناس كذلك إذ دنا صفوان بن المعطل، فتكلم عبد الله بن أبيّ بما تكلم، وحسان بن ثابت وسائرهم، وأفشوه في العسكر. وخاض أهل العسكر فيه، فجعل يرويه بعضهم عن بعض، ويحدث بعضهم بعضاً.

قالت وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، والناس يفيضون في قول أهل الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك، ويريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي. إنما يدخل ويسلم ثم يقول: «كَيْفَ تِيكُمْ» فذلك يُرِيبُني؟ ولا أشعر بالسر. فلما رأيت ذلك، قلت: يا رسول الله، لو أذنت لي فانقلبت إلى أبويّ يمرضاني. قال: «لا بَأْس عَلَيْكِ» وإنما قلت ذلك لما رأيت من جفائه. قالت: فانقلبت إلى أمي، ولا علم لي بشيء مما كان، حتى قمت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة.

قالت: وكانوا لا يتخذون الكنف في بيوتهم، إنما كانوا يذهبون في فسح المدينة.

قالت: فخرجت في بعض الليل، ومعي أم مسطح، حتى فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح، فقالت: تعس مسطح. فقلت لها: بئس ما صنعت، تسبين رجلاً وقد شهد بدراً. فقالت: أولم تسمعي ما قال؟ قلت: وماذا قال؟ قالت: فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً إلى مرضي، وأخذتني الحمى مكاني، فرجعت أبكي.

ثم قلت لأمي: يغفر الله لك، تحدث الناس بما تحدثوا به، ولا تذكرين لي منه شيئاً. فقالت: هوني عليك، فوالله لقلَّ ما كانت امرأة قط رضية عند رجل يحبها ولها ضرائر، إلا كثرن عليها. قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم؛ ثم أصبحت أبكي. ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب، وأسامة بن زيد رضي الله عنهما حيت استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله. فأما علي بن أبي طالب، فقال: لم يضيق الله عليك والنساء كثير فاستبدل. وأما أسامة بن زيد، فأشار عليه بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم في نفسه من الود.
فقال يا رسول الله، ما علمت منها إلا خيراً، فلا تعجل وانظر واسأل أهلك.
قال: فسأل حفصة بنت عمر عنها، فقالت: يا رسول الله، ما رأيت عليها سوءاً قط. وسأل زينب بنت جحش، فقالت مثل ذلك، وسأل بريرة فقال: «أيْ بَرِيرَةُ، هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يُرِيبُكِ مِنْ أَمْرِ عَائِشَةَ؟» قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق نبياً، ما رأيت عليها أمراً قط أغمصه عليها، غير أنها جارية حديثة السن، تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله.
قالت: فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل علي، وعندي أبواي، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال: «يا عَائِشَةُ، لَقَدْ بَلَغَكِ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَإِنْ كَانَ مَا يَكُونُ مِنْكِ زَلَّةَ مَا يَكُونُ مِنَ النَّاسِ، فَتُوبي إلى الله تَعَالَى؛ فإنَّ الله يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ. فَإِنَّ العَبْدَ إذا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ، تَابَ الله عَلَيْهِ». فانتظرت أبويَّ أن يجيبا عني، فلم يفعلا، فقلت: يا أبت أجبه، فقال: ماذا أقول؟ فقلت: يا أماه أجيبيه. فقالت: ماذا أقول؟ ثم استعبرت فبكيت، فقلت: لا والله لا أتوب مما ذكروني به وإني لأعلم أنني لو أقررت بما يقول الناس، لقلت وأنا منه بريئة، ولا أقول فيما لم يكن حقاً. ولئن أنكرت، فلا تصدقني.
قالت: ثم أنسيت اسم يعقوب، فلم أذكره، فقلت: ولكني أقول كما قال العبد الصالح أبو يوسف {وَجَآءُوا على قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ والله المستعان على مَا تَصِفُونَ} [يوسف: 18] قالت: فوالله ما برح رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى تغشاه من الله ما كان يغشاه.
قالت: أنا والله حينئذ أعلم أني بريئة، وأن الله عز وجل يبرئني، ولكني والله ما كنت أظن أن ينزل الله في شأني وحياً يتلى، ولساني كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بقرآن يقرأ به في المساجد، ولكنني كنت أرجو أن يرى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه شيئاً ببراءتي فلما سري عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم، وهو يضحك، كان أول كلمة تكلم بها أن قال: «يا عَائِشَةُ أبْشِرِي، أَمَا والله فَقَدْ بَرَّأَكِ الله تَعَالَى». فقالت لي أمي: قومي إليه. فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله تعالى، هو الذي أنزل براءتي.
وفي رواية قالت: أحمد الله تعالى وأذمكم. قالت: فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصعد المنبر، فحمد الله تعالى، وأثنى عليه ثم قال: «يا أيُّها النَّاسُ مَنْ يُعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ، قَدْ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي برَجُلٍ ما رَأَيْتُ عَلَيْهِ سُوءاً قَطُّ، وَلا دَخَلَ على أهْلِي إلاَّ وأنَا مَعَهُ».
فقام سعد بن معاذ، فقال: أخبرنا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم من هو؟ فإن يكن من الأوس نقتله، وإن يكن من الخزرج نرى فيه رأياً، أمرتنا ففعلنا أمرك. فقام سعد بن عبادة، وهو سيد الخزرج، وكان رجلاً صالحاً، ولكن حملته الحمية، فقال: كلا ولكنها عداوتك للخزرج. قال: فاسْتَبَّا، فقام أسيد بن حضير الأوسي، وقال: يا سعد بن عبادة، أتقول هذا. كلا والله ولكنك منافق تحب المنافقين، فاستب حي هذا وحي هذا، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللغط، نزل وتركهم، وقد تلا عليهم ما أنزل الله عليه في أمر عائشة رضي الله عنها

▲ تفسير الآية رقم [11]

{إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (11)}

{إِنَّ الذين *** جَاءوا بالإفك عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ} يعني جماعة منكم، وهو ما قال عبد الله بن أبيّ وأصحابه: ما برئت عائشة من صفوان، وما برئ عنها صفوان، والعصبة عشرة، فما فوقها، كما قال الكلبي.
{لاَ تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُمْ}، يعني: عائشة ومن كان ينسبها والنبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر، {بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ}؛ لأنه لو لم يكن قولهم لم يظهر فضل عائشة رضي الله عنها وإنما ظهر فضل عائشة بما صبرت على المحنة، فنزل بسببها سبع عشرة آية من القرآن من قوله: {إِنَّ الذين جَاءوا بالإفك} إلى قوله: {لَّهُم

مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} ووجه آخر، بل هو خير لكم، لأنه يؤخذ من حسناته ويوضع في ميزانه، يعني: عائشة وصفوان، وهذا خير له.
ثم قال: {لِكُلِّ امرئ مِّنْهُمْ مَّا اكتسب مِنَ الإثم}، يعني: لكل واحد منهم العقوبة بمقدار ما شرع في ذلك الأمر، لأن بعضهم قد تكلم بذلك، وبعضهم ضحك، وبعضهم سكت. فكل واحد منهم ما اكتسب من الإثم بقدر ذلك.
{والذى تولى كِبْرَهُ}، يعني: الذي تكلم بالقذف {مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ}، يعني: الحد في الدنيا. فأقام النبي صلى الله عليه وسلم الحد عليهم، وكان حميد يقرأ {والذى تولى كِبْرَهُ} بضم الكاف، يعني: عظمه. قال أبو عبيد: والقراءة عندنا بالكسر، وإنما الكبر في النسب وفي الولاء.

▲ تفسير الآيات رقم [12- 15]

{لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (12) لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (13) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (14) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (15)}

ثم قال عز وجل: {لَّوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ}، يعني: هلا إذ سمعتم قذف عائشة وصفوان. {ظَنَّ المؤمنون والمؤمنات بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً}، يعني: هلا ظننتم به كظنكم بأنفسكم؟ ويقال: ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم، كظن المؤمنين والمؤمنات بأمثالهم وبأهل دينهم خيراً؛ ويقال: يعني: هلا ظننتم كما ظن المؤمنون والمؤمنات؟ {وَقَالُواْ هذا إِفْكٌ مُّبِينٌ}، يعني: هلا قلتم حين بلغكم هذا الكذب، هذا كذب بيّن، وعلمتم أن أمكم لا تفعل ذلك؟ {لَّوْلاَ جَاءو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء}، يعني: هلا جاؤوا بها. {فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِكَ عِندَ الله هُمُ الكاذبون} في قولهم: اللفظ لفظ الماضي، والمراد به المستقبل، يعني: اطلبوا منهم أربعة شهداء، فإن لم يأتوا بها؛ فأقم عليهم الحد.
ثم قال عز وجل: {وَلَوْلاَ فَضْلُ الله عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ}، يعني: منته ونعمته عليكم. {فِى الدنيا والاخرة لَمَسَّكُمْ}، يعني: أصابكم {فِيمَا *** أَفَضْتُمْ فِيهِ}، يعني: فيما قلتم من القذف {عَذَابٌ عظِيمٌ} في الدنيا والآخرة على وجه التقديم.

قوله عز وجل: {إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ}، أي يرويه بعضكم من بعض، ويتلقاه بعضكم من بعض. وقرئ {إِذْ تَلَقَّوْنَهُ} بكسر اللام وضم القاف والتخفيف، أي تكذبون بألسنتكم؛ ويقال: معناه تسرعون إلى الكذب. يقال: ولق يلق، إذا أسرع إلى الكذب. وروى ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقرأ: {إِذْ تَلَقَّوْنَهُ} بكسر اللام، وقال ابن أبي مليكة هي أعلم، لأن الآية نزلت فيها. وروي عن أبيّ بن كعب أنه كان يقرأ: {إِذْ}، وقال أبو عبيد: لولا قراءة أبي وكراهة الخلاف على الناس، ما كان أحد أولى أن يتبع فيها من عائشة، كما احتج ابن أبي مليكة. ثم قال تعالى: {بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بأفواهكم مَّا لَّيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ} من الفرية، {وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً}؛ أي تحسبون عقوبته هينة. {وَهُوَ عِندَ الله عَظِيمٌ} في الوزر والعقوبة.

▲ تفسير الآيات رقم [16- 20]

{وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (16) يَعِظُكُمَ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (17) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (18) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (19) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (20)}

قوله تعالى: {وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ}، يعني: وهلا إذ سمعتم القذف. {قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا}، يعني: ما ينبغي لنا ولا يجوز لنا {أَن نَّتَكَلَّمَ بهذا سبحانك هذا بهتان عَظِيمٌ}. وفي هذا بيان فضل عائشة رضي الله عنها حيث نزهها الله باللفظ الذي نزه به نفسه، وهو لفظ سبحان الله؛ ويقال: سبحان الله أن تكون امرأة النبي صلى الله عليه وسلم زانية، ما كانت امرأة نبي زانية قط. ثم وعظ الذين يخوضون في أمر عائشة، فقال عز وجل: {يَعِظُكُمُ الله}، يعني: ينهاكم الله عز وجل: {أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِ أَبَداً}، يعني: القذف {إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}، يعني: مصدقين بالله وبرسوله عليه السلام وباليوم الآخر.
{وَيُبَيّنُ الله لَكُمُ الايات}، يعني: الأمر والنهي {والله عَلِيمٌ حَكِيمٌ}؛ ونزل في عبد الله بن أبيّ وأصحابه. {إِنَّ الذين يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الفاحشة}، يعني: يظهر الزنى ويفشو ويقال: تحبوا ما شاع لعائشة رضي الله عنها من الثناء السيئ {إِنَّ الذين يُحِبُّونَ}، يعني: عائشة وصفوان. {لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى الدنيا}

الحد {والاخرة} النار إن لم يتوبوا. {والله} تعالى {يَعْلَمْ} أنهما لم يزنيا {وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} ذلك منهما. ثم قال عز وجل: {وَلَوْلاَ فَضْلُ الله عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ}، وجوابه مضمر، يعني: لولا منُّ الله عليكم ونعمته لعاقبكم فيما قلتم في أمر عائشة وصفوان. {وَأَنَّ الله * رَءوفٌ ***** رَّحِيمٌ}، حيث لم يعجل بالعقوبة.

▲ تفسير الآيات رقم [21- 22]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (21) وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (22)}

قوله عز وجل: {يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ لاَ تَتَّبِعُواْ خطوات الشيطان}، يعني: لا تتبعوا تزيين الشيطان ووساوسه بقذف المؤمنين والمؤمنات، {وَمَن يَتَّبِعْ خطوات الشيطان}. وفي الآية مضمر، ومعناه ومن يتبع خطوات الشيطان، وقع في الفحشاء والمنكر. {فَإِنَّهُ}، يعني: به الشيطان {يَأْمُرُ بالفحشاء} يعني: المعاصي {والمنكر} ما لا يعرف في شريعة ولا سنة. وروي عن أبي مجلز قال: {خطوات الشيطان}، النذور في معصية الله تعالى فيه.
قال: {وَلَوْلاَ فَضْلُ الله عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم}، يعني: ما ظهر وما صلح منكم {مّنْ أَحَدٍ أَبَداً}، يعني: أحداً ومن صلة. {ولكن الله يُزَكّى}، يعني: يوفق للتوحيد {مَن يَشَآء}، ويقال: ما زكى، أي ما وحد ولكن الله يزكي أي يطهر. {والله سَمِيعٌ} لِمَقالتهم، {عَلِيمٌ} بهم. ثم قال عز وجل: {وَلاَ يَأْتَلِ}، يعني: لا يحلف وهو يفتعل من الألية وهي اليمين. قرأ أبو جعفر المدني، وزيد بن أسلم {وَلاَ} على معنى يتفعل، ويقال: معناه ولا يدع أن ينفق ويتصدق، وهو يتفعل من ألوت أني أصنع كذا؛ ويقال: ما ألوت جهدي، أي ما تركت طاقتي؛ وذلك أن أبا بكر كان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره، فلما تكلم بما تكلم به، حلف أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينفق عليه، فنزلت هذه الآية: {عَلِيمٌ وَلاَ يَأْتَلِ}.

{أُوْلُو *** الفضل مِنكُمْ} في طاعة الله، لأنه كان أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. {مِنكُمْ والسعة} يعني السعة في المال. وهذا من مناقب أبي بكر رضي الله عنه حيث سماه الله {أُوْلُو * الفضل} في الإسلام؛ ويقال: {وَلاَ يَأْتَلِ} يعني: ولا يحلف {أُوْلُو *** الفضل مِنكُمْ}، يعني: أولو الغنى والسعة في المال، والأول أشبه لكي لا يكون حمل الكلام على التكرار. {أَن يُؤْتُواْ}، أولي القربى، يعني: لا يحلف أن لا يعطي ولا ينفق على {أُوْلِى القربى}، يعني: على ذوي القربى وهو مسطح {والمساكين والمهاجرين فِى سَبِيلِ الله}، وكان مسطح من فقراء المهاجرين ومن أقرباء أبي بكر.

{وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُواْ}، يقول: ليتركوا وليتجاوزوا. {أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ الله لَكُمْ}، فقال أبو بكر: أنا أحب أن يغفر الله لي، فقد تجاوزت عن قرابتي، ويقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر: «أَلاَ تُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ الله لَكَ» قال: نعم. فقرأ عليه هذه الآية، وأمره بأن ينفق على مسطح. وفي الآية دليل على أن من حلف على أمر، فرأى الحنث أفضل منه، فله أن يحنث ويكفر عن يمينه، ويكون له ثلاثة أجور: أحدها ائتماره بأمر الله تعالى، والثاني أجر بره وذلك صلته في قرابته، والثالث أجر التكفير. ثم قال تعالى: {والله غَفُورٌ رَّحِيمٌ}، يعني: غفور لذنوبكم رحيم بالمؤمنين.

تفسير الآيات رقم [23- 26]

{إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (23) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (24) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (25) الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (26)}

قوله عز وجل: {إِنَّ الذين يَرْمُونَ المحصنات}، يعني: العفائف {الغافلات}، يعني: عن الزنى والفواحش. {المؤمنات}، أي المصدقات بالألسن والقلوب، {لُعِنُواْ فِى الدنيا والاخرة}؛ وأصل اللعنة، هي الطرد والبعد؛ ويقال للشيطان: اللعين، لبعده عن الرحمة. وروي في الخبر أن يوم القيامة تكون هذه الأمة شاهدة على الأمم الأولين، إلا الذين تجري على لسانهم اللعنة. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سمع رجلاً يلعن بعيره، فقال: «أَتَلْعَنُهَا وَتَرْكَبُهَا؟» فنزل عنها، ولم يركبها أحد.

قوله تعالى: {وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ}، أي شديد يوم القيامة. وذكر أن حسان بن ثابت ذهب بصره في آخر عمره، فدخل يوماً على عائشة، فجلس عندها ساعة، ثم خرج، فقيل لها: إن الله تعالى قال: {لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. فقالت عائشة: أوليس هذا أعظم؟ يعني: ذهاب بصره؛ ويقال: عذاب عظيم إن لم يتوبوا. {يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}، أي بِمَا تكلموا. ثم قال: {يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ الله دِينَهُمُ الحق}، يعني: يوفيهم جزاء أعمالهم. قرأ حمزة والكسائي {يَشْهَدُ} بالياء بلفظ المذكر، والباقون بالتاء بلفظ التأنيث، لأن الفعل مقدم، فيجوز أن يذكر ويؤنث؛ وقرأ مجاهد {الحق} بضم القاف، فيكون الحق نعت لله، وتكون قراءة أبي بن كعب شاهدة له، كأنه يقول: يومئذ يوفيهم الله الحق دينهم؛ وقراءة العامة الحق بالنصب. وإنما يكون نصباً، لنزع الخافض، أي يوفيهم الله ثواب دينهم بالحق، أي بالعدل. وجه أخر أن يكون الحق نعتاً للدين، ويكون كقوله: {حَقّاً} ثم يدخل عليه الألف واللام.

قوله تعالى: {وَيَعْلَمُونَ أَنَّ الله هُوَ الحق المبين}، أي عبادة الله هي الحق المبين؛ ويقال: ما يعلمون أن ما قال الله هو الحق. {الخبيثات لِلْخَبِيثِينَ}؛ قال الكلبي: الخبياث من الكلام للخبيثين من الرجال، يعني: عبد الله بن أبي، {والخبيثون} من الرجال {للخبيثات} من الكلام على معنى التكرار والتأكيد؛ ويقال: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، مثل عبد الله بن أبي تكون له زوجة خبيثة زانية، وامرأة النبي صلى الله عليه وسلم لا تكون زانية خبيثة. ويقال: {الخبيثات لِلْخَبِيثِينَ}، يعني: لا يتكلم بكلام الخبيث إلا الخبيث، ولا يليق إلا بالخبيث؛ ويقال: الكلمات الخبيثات إنما تلتصق بالخبيثين من الرجال.

ثم قال: {والطيبات لِلطَّيِّبِينَ}، يعني: الطيبات من الكلام للطيبين من الرجال، ويقال الطيبات من النساء للطيبين من الرجال، {والطيبون للطيبات} على معنى التكرار والتأكيد. ثم قال: {أُوْلَئِكَ مُبَرَّءونَ مِمَّا يَقُولُونَ}، يعني: عائشة رضي الله عنها وصفوان مما يقولون من الفرية، {لَهُم مَّغْفِرَةٌ} لذنوبهم {وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}، يعني: رزقاً في الجنة كثيراً؛ ويقال: {كَرِيمٌ} يعني: حسن. وذكر ابن عباس أنه دخل على عائشة رضي الله عنها في مرضها الذي ماتت فيه، فذكرت ما كان منها من الخروج في يوم الجمل وغيره، فقال لها

ابن عباس: أبشري، فإن الله تعالى يقول: {لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}، والله تعالى ينجز وعده. فسري بذلك عنها.

تفسير الآيات رقم [27- 29]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (27) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (28) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (29)}

قوله عز وجل: {كَرِيمٌ يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ لاَ تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ}، يعني: بيوتاً ليست لكم حتى تستأنسوا، يعني: حتى تستأذنوا. وروي عن سعيد بن جبير: أن عبد الله بن عباس كان يقرأ: {حتى} ويقال: تستأذنوا خطأ من الكاتب. وروي عن مجاهد، عن ابن عباس أنه قال: أخطأ الكاتب في قوله: {بُيُوتِكُمْ حتى تَسْتَأْنِسُواْ}، وقراءة العامة {تَسْتَأْنِسُواْ}. وقال القتبي: الاستئناس أن تعلم من في الدار، يقال: استأنست فما رأيت أحداً، أي استعلمت وتعرفت، ومنه. قوله: {وابتلوا اليتامى حتى إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فادفعوا إِلَيْهِمْ أموالهم وَلاَ تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُواْ وَمَن كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بالمعروف فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أموالهم فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وكفى بالله حَسِيباً} [النساء: 6]، أي علمتم. وروي، عن عدي بن ثابت، عن رجل من الأنصار قال: جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله، إني أكون في بيتي على الحالة التي لا أحب أن يراني عليها أحد، فيأتي الأب فيدخل، فكيف أصنع؟ قال: ارجعي. فنزلت هذه الآية: {كَرِيمٌ يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ لاَ تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ}، {حتى تَسْتَأْنِسُواْ}. قال مجاهد: وهو التنحنح. {وَتُسَلّمُواْ على أَهْلِهَا ذلكم خَيْرٌ لَّكُمْ}، يعني: التسليم والاستئذان خير لكم من أن تدخلوا بغير إذن وسلام، {لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} أن التسليم والاستئذان خير لكم. قال عز وجل: {فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَا أَحَداً}، يعني: في البيوت يأذن لكم في الدخول، {فَلاَ تَدْخُلُوهَا حتى يُؤْذَنَ لَكُمُ} في الدخول، {وَإِن قِيلَ لَكُمْ ارجعوا فارجعوا}، ولا تقيموا على أبواب الناس، فلعل لهم حوائج. {هُوَ أزكى لَكُمْ}، يعني: الرجوع أصلح لكم من القيام والقعود على أبواب الناس. {والله بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}، إذا دخلتم بإذن أو بغير إذن ثم

رخص لهم في البيوت على طريق الناس مثل الرباطات والخانات، وذلك أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا رسول الله، فكيف بالبيوت التي بين الشام ومكة والمدينة التي على ظهر الطريق، ليس لها ساكن، فنزل قوله عز وجل: {لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ}، مثل الخانات وبيوت السوق. {فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ}، يعني: منافع لكم؛ ويقال: في الخربات التي يدخل فيها لقضاء الحوائج فيها منفعة لكم؛ ويقال: في الخانات منفعة لكم من الحر والبرد. {والله يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ} من التسليم والاستئذان.

قوله عز وجل: {قُلْ لّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أبصارهم}، يعني: يكفوا أبصارهم ومن صلة في الكلام. {وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ} عما لا يحل لهم؛ وقال أبو العالية الرياحي: كلما ذكر حفظ الفرج في القرآن، أراد به الحفظ عن الزنى؛ إلا هاهنا، فإن المراد به هاهنا الستر عن النظر، يعني: قل للمؤمنين يغضوا أبصارهم عن عورات النساء، ويحفظوا فروجهم عن أبصار الناس؛ وقال النبي صلى الله عليه وسلم، لعلي رضي الله عنه:

»يا عَلِيُّ لا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإنَّ الأولَى لَكَ وَالأُخْرَى عَلَيْكَ«. وروي عن عيسى ابن مريم أنه قال: إياكم والنظرة، فإنها تزرع في القلب. قوله: {ذلك أزكى * لَكُمْ} وأطهر من الزينة، يعني: غض البصر والحفظ خير لكم من ترك الحفظ والنظر. ثم قال: {إِنَّ الله خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ}، يعني: عالم بهم.

▲ تفسير الآيات رقم [30- 34]

{قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آَبَائِهِنَّ أَوْ آَبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (31) وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (32) وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآَتُوهُمْ

مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آَتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ (33) وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آَيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (34)}

قوله عز وجل: {وَقُل للمؤمنات يَغْضُضْنَ مِنْ أبصارهن}، يعني: يحفظن أبصارهن عن الحرام، {وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ} عن الفواحش، {وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ}؛ يعني: لا يظهرن مواضع زينتهن، {إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا}. روى سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه قال: وجهها وكفيها، وهكذا قال إبراهيم النخعي. وروي أيضاً عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: الوجه والكفان، وهكذا قال الشعبي. وروى نافع، عن ابن عمر أنه قال: الوجه والكفان، وقال مجاهد: الكحل والخضاب. وروى أبو صالح، عن ابن عباس: الكحل والخاتم. وروي، عن ابن عباس في رواية أُخرى، إلا ما ظهر منها، أي فوق الثياب. وروى أبو إسحاق، عن ابن مسعود أنه قال: ثيابها، وروي عن ابن مسعود رواية أُخرى أنه سئل عن قوله: {إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا} فتقنع عبد الله بن مسعود، وغطى وجهه وأبدى عن إحدى عينيه.

ثم قال: {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ على جُيُوبِهِنَّ}، يعني: على الصدر والنحر. قال ابن عباس: وكان النساء قبل هذه الآية يسدلن خمرهن من ورائهن، كما تفعل النبط. فلما نزلت هذه الآية، سدلن الخمر على الصدر والنحر. ثم قال: {وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ}، يعني: لا يظهرن مواضع زينتهن، وهو الصدر والساق والساعد والرأس، لأن الصدر موضع الوشاح، والساعد موضع الخلخال، والساق موضع السوار، والرأس موضع الإكليل، فقد ذكر الزينة وأراد بها موضع الزينة. {إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ}، يعني: لأزواجهن، {وَقُل للمؤمنات}؛ يعني: يجوز للآباء النظر إلى مواضع زينتهن، {وَقُل للمؤمنات يَغْضُضْنَ مِنْ أبصارهن وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ}. وقد ذكر في الآية بعض ذوي الرحم المحرم، فيكون فيه دليل على ما كان بمعناه، لأنه لم يذكر فيها الأعمام والأخوال، ولكن الآية إذا نزلت في شيء، فقد نزلت فيما هو في معناه، والأعمام والأخوال بمعنى الإخوة وبني الإخوة، لأنه ذو رحم محرم. وقد ذكر الأبناء في آية أُخرى، وهي قوله: {لاَّ جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فى ءابَآئِهِنَّ وَلاَ أَبْنَآئِهِنَّ وَلاَ إخوانهن وَلاَ أَبْنَآءِ إخوانهن وَلاَ أَبْنَآءِ

أخواتهن وَلاَ نِسَآئِهِنَّ وَلاَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ واتقين الله إِنَّ الله كَانَ على كُلِّ شَئ شَهِيداً} [الأحزاب: 55].
والنظر إلى النساء على أربع مراتب: في وجه يجوز النظر إلى جميع أعضائها، وهو النظر إلى زوجته وأمته، وفي وجه يجوز النظر إلى الوجه والكفين، وهو النظر إلى المرأة التي لا يكون محرماً لها، ويأمن كل واحد منهما على نفسه، فلا بأس بالنظر عند الحاجة؛ وفي وجه يجوز النظر إلى الصدر والرأس والساق والساعد، وهو النظر إلى امرأة ذي رحم أو ذات رحم محرم، مثل الأخت والأم والعمة والخالة وأولاد الأخ والأخت وامرأة الأب وامرأة الابن وأم المرأة سواء كان من قبل الرضاع أو من قبل النسب، وفي وجه لا يجوز النظر إلى شيء، وهو أن يخاف أن يقع في الإثم إذا نظر.
ثم قال تعالى: {أَوْ نِسَائِهِنَّ} يعني: نساء أهل دينهن ويكره للمرأة أن تظهر مواضع زينتها عند امرأة كتابية لأنها تصف ذلك عند غيرها ويقال: نسائهن يعني: العفائف ولا ينبغي أن تنظر إليها المرأة الفاجرة، لأنها تصف ذلك عند الرجال. ثم قال: {أَوْ مَا مَلَكَتْ أيمانهن}، يعني: الجواري، فإنها نزلت في الإماء؛ وقال سعيد بن المسيب: لا تغرنكم هذه الآية. {أَوْ مَا مَلَكَتْ أيمانهن}، يعني: الجواري، فإنها نزلت في الإماء لا ينبغي للمرأة أن ينظر العبد إلى شعرها، ولا إلى شيء من محاسنها؛ وقال مجاهد: في بعض القراءات {أَوْ مَا مَلَكَتْ أيمانهن}، الذين لم يبلغوا الحلم. وروى سفيان، عن ليث قال: كان بعضهم يقرأ: {أَوْ مَا مَلَكَتْ أيمانهن} من الصغار وقال الشعبي: لا ينظر العبد إلى مولاته، ولا إلى شعرة منها.
ثم قال تعالى: {أَوِ التابعين غَيْرِ أُوْلِى الإربة}، يعني: الخادم أو الأجير للمرأة، يعني: غير ذوي الحاجة مثل الشيخ الكبير ونحوه، وقال مجاهد: هو الذي لا إرب له، أي لا حاجة له بالنساء، مثل فلان، وكذا روى الشعبي عن علقمة، وقال الحسن والزهري: غير أولي الإربة هو الأحمق؛ وقال الضحاك هو الأبله؛ ويقال: هو الذي طبعه طبع النساء، فلا يكون له شهوة الرجال. وسئلت عائشة رضي الله عنها هل يرى الخصي حسن المرأة قالت: لا، ولا كرامة، أليس هو رجل؟ قرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر {غَيْرِ أُوْلِى الإربة} بنصب الراء، وقرأ الباقون بالكسر. فمن قرأ بالكسر، يكون على النعت للتابعين، فيكون معناها التابعين الذين هذه حالهم؛ ومن نصب، أراد به الاستثناء، والمعنى إلا أولي الإربة.

ثم قال: {مِنَ الرجال أَوِ الطفل الذين لَمْ يَظْهَرُواْ على عورات النساء}، يعني: لم يطلعوا ولم يشتهوا الجماع. ثم قال: {وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ}، يعني: لا يضربن بإحدى أرجلهن على الأخرى ليقرع الخلخال بالخلخال، {لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ}؛ يعني: ما يواري الثياب من زينتهن. وروى سفيان، عن السدي قال: كانت المرأة تمر على المجلس وفي رجلها الخلخال؛ فإذا جازت بالقوم، ضربت رجلها ليصوت خلخالها، فنزلت: {وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ} وقال بعض المفسرين: قد علم الله تعالى أن من النساء من تكون حمقاء، فتحرك رجلها ليعلم أن لها خلخالاً، فنهي النساء أن يفعلن، كما تفعل الحمقاء.

ثم قال: {وَتُوبُواْ إِلَى الله جَمِيعاً}، يعني: من جميع ما وقع التقصير من الأوامر والنواهي التي ذكر من أول السورة إلى هاهنا.

{أَيُّهَ المؤمنون}، يعني: أيها المصدقون بالله ورسوله، وفي هذه الآية دليل أن الذنب لا يخرج العبد من الإيمان، لأنه أمر بالتوبة. والتوبة لا تكون إلا من الذنب، ولم يفصل بين الكبائر وغيرها، فقال، بعدما أمر بالتوبة {أَيُّهَ المؤمنون}، سماهم مؤمنين بعد الذنب. ثم قال: {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}، أي تنجون من العذاب. قرأ ابن عامر {أَيُّهَ} بضم الهاء، وكذلك في قوله: {وَقَالُواْ يأَيُّهَ الساحر}، {أَيُّهَا الثقلان}، وقرأ الباقون بالنصب.

قوله عز وجل: {وَأَنْكِحُواْ الايامى مِنْكُمْ}، والأَيَامَى الرجال والنساء الذين لا أزواج لهم، يقال: رجل أيم وامرأة أيم، كما يقال: رجل بكر وامرأة بكر، ويقال: الأيم من النساء خاصة كل امرأة لا زوج لها، فهي أيم؛ فأمر الأولياء بأن يزوجوا النساء، وأمر الموالي بأن يزوجوا العبيد والإماء إذا احتاجوا إلى ذلك، فقال للأولياء: {وَأَنْكِحُواْ الايامى مِنْكُمْ}، يعني: من قومكم ومن عشيرتكم. ثم قال المولى سبحانه: {والصالحين مِنْ عِبَادِكُمْ}، يعني: من عبيدكم زوجوهم امرأة، وهذا أمر استحباب وليس بحتم، {وَإِمائِكُمْ}؛ يعني: زوجوا إماءكم لكيلا يقعن في الزنى. {إِن يَكُونُواْ فُقَرَاء يُغْنِهِمُ الله مِن فَضْلِهِ}، يعني: يرزقهم الله من فضله وسعته.

وقال بعضهم: هذا منصرف إلى الحرائر خاصة دون العبيد والإماء؛ وقال بعضهم: انصرف إلى جميع ما سبق ذكرهم من الأحرار والمماليك {يُغْنِهِمُ الله مِن فَضْلِهِ} يعني: من رزقه، والغنى على وجهين، غني بالمال وهو أضعف الحالين، وغنى بالقناعة وهو أقوى الحالين. كما روي في الخبر: الغنى غنى النفس. وروى هشام بن عروة، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم

أنه قال: «أَنْكِحُوا النِّسَاءَ فَإِنَّهُنَّ يَأْتِينَكُمْ بِالْمَالِ». وقال عمر رضي الله عنه: ابتغوا الغنى في النكاح. ثم قرأ {يُغْنِهِمُ الله مِن فَضْلِهِ}. وروي عن جعفر بن محمد أن رجلاً شكا إليه الفقر، فأمره أن يتزوج فتزوج الرجل، ثم جاء فشكا إليه الفقر، فأمره بأن يطلقها؛ فسأل عن ذلك، فقال: قلت لعله من أهل هذه الآية {إِن يَكُونُواْ فُقَرَاء يُغْنِهِمُ الله مِن فَضْلِهِ}. فلما لم يكن من أهلها قلت لعله من أهل آية أخرى {وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ الله كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ الله واسعا حَكِيماً} [النساء: 130].

ثم قال: {والله واسع عَلِيمٌ}، أي واسع الفضل؛ ويقال: واسع أي موسع في الرزق، يوسع على من يشاء عليم بقدر ما يحتاج إليه كل واحد منهم. ثم أخبر أنه لا رخصة لمن لم يجد النكاح في الزنى، وأمر بالتعفف للذي لا امرأة له، فقال عز وجل: {وَلْيَسْتَعْفِفِ الذين}، أي ليحفظ نفسه عن الحرام الَّذِينَ {لاَ يَجِدُونَ نِكَاحاً}، يعني: سعة بالنكاح، المهر والنفقة ويقال: يعني: امرأة موافقة، {حتى يُغْنِيَهُمُ الله مِن فَضْلِهِ}؛ يعني: من رزقه بالنكاح.

وقد قيل: إنَّ الصبر والطلب خير من الهرب.

{والذين يَبْتَغُونَ الكتاب}؛ قال ابن عباس: وذلك أن مملوكاً لحُويطب، يقال له صبيح، سأل مولاه أن يكاتبه، فأبى عليه، فنزلت الآية {والذين يَبْتَغُونَ الكتاب} يعني: يطلبون الكتابة {مِمَّا مَلَكَتْ أيمانكم فكاتبوهم إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً}، يعني: حرفة. قال مجاهد وعطاء، يعني: مالاً.

وروي، عن ابن سيرين، عن عبيدة السلماني قال أدَباً وصلاحاً، وقال إبراهيم: يعني: وفاءً وصدقاً. وروى يحيى بن أبي كثير، قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً}، أي حِرْفَةً وَلا تُرْسِلُوهُمْ كَلاًّ عَلَى النَّاسِ} وقال ابن عباس: الخير المال، كقوله {كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الموت إِن تَرَكَ خَيْرًا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حَقًّا عَلَى المتقين} [البقرة: 180] أي مالاً، وقيل: {خَيْرًا}، يعني: صلاحاً في دينه، لكيلا يقع في الفساد بعد العتق، وهذا أمر استحباب لا إيجاب؛ وقال بعضهم: هو واجب. وروى معمر، عن قتادة قال: سأل سيرين أبو محمد بن سيرين، أنس بن مالك بأن يكاتبهُ، فأبى أنس بن مالك، فرفع عليه عمر الدرة وتلا عليه هذه الآية: {فكاتبوهم إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً}.

{وَلْيَسْتَعْفِفِ الذين لاَ يَجِدُونَ نِكَاحاً حتى}، يعني: أعطاكم، يعني: يعطيه من الكتابة شيئاً، ويقال: يعطى من بيت المال، حتى يؤدي كتابه. وقال عمرو، عن

علي رضي الله عنه: يترك له ربع الكتابة، وقال قتادة: يترك له العشر؛ وقال: آتوهم أي حث الموالي وغيرهم أن يعينوهم، هذا أمر استحباب وليس بواجب، وقال بعضهم: الحط واجب، والأول أصح. {وَلاَ تُكْرِهُواْ فتياتكم عَلَى البغاء}، يعني: لا تكرهوا إماءكم على الزنى. وقال عكرمة: كانت جارية لعبد الله بن أبيّ، يقال لها معاذة، وكان يكلفها الخراج على الزنى، فنزل: {وَلاَ تُكْرِهُواْ فتياتكم عَلَى البغاء إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً} يعني: تعففاً {لّتَبْتَغُواْ عَرَضَ الحياة الدنيا}، يعني: لتطلبوا بكسبهن وولدهن المال. {وَمَن يُكْرِههُنَّ}، يعني: يجبرهن على الزنى، {فَإِنَّ الله مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ}؛ يعني: من بعد إجبارهن على الزنى، {غَفُورٌ رَّحِيمٌ} بهن، يعني: الإماء، لأنهن كن مكرهات على فعل الزنى. قوله عز وجل: {وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءايات مبينات} يعني: واضحات {وَمَثَلاً مّنَ الذين خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ}، يعني: فيه خير من قبلكم من الأمم الماضية {وَمَوْعِظَةً لّلْمُتَّقِينَ}، لكي يعتبروا بما أصابهم.

▲ تفسير الآية رقم [35]

{اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (35)}

قوله عز وجل: {الله نُورُ * السموات والارض}؛ قال ابن عباس رضي الله عنه: هادي أهل السموات وأهل الأرض، ويقال: هادي أهل السموات والأرض من يشاء، وبين ذلك في آخر الآية بقوله: {يَهْدِى لِنُورِهِ مَن يَشَاء} ويقال: معناه الله مُنَوِّرُ السموات والأرض، وقال ابن عباس: بدليل قوله: {مَثَلُ نُورِهِ}، فأضاف النور إليه، وبدليل ما قال في سياق الآية {أَوْ كظلمات فِى بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يغشاه مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظلمات بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ الله لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُورٍ} [النور: 40]. وروي عن أبي العالية أنه قال: معناه الله منور قلوب أهل السموات وقلوب أهل الأرض بالمغفرة والتوحيد، يعني: من كان أهلاً للإيمان؛ ويقال: الله منور السموات والأرض. أما السموات، فنورها بالشمس والقمر والكواكب، وأما الأرض، فنورها بالأنبياء والعلماء والعباد عليهم السلام.

ثم قال تعالى: {مَثَلُ نُورِهِ}، يعني: مثل نور المعرفة في قلب المؤمن، {كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ}؛ يعني: كمثل كوة فيها سراج، ويقال: المشكاة

الكوة التي ليست بنافذة وهي بلغة الحبشة. وروي في قراءة ابن مسعود {مَثَلُ نُورِهِ} في قلب المؤمن، {كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ}. ثم وصف المصباح، فقال: {المصباح فِى زُجَاجَةٍ}، يعني: كمثل سراج في قنديل في كوة، فكذلك الإيمان والمعرفة في قلب المؤمن؛ والقلب في الصدر، والصدر في الجسد. فشبه القلب بالقنديل، والماء الذي في القنديل شبه بالعلم، والدهن بالرفق. وحسن المعاملة، وشبه الفتيلة باللسان، وشبه النار بالجوف في زجاجة. يعني: في قلب مضيء؛ ويقال: إنما شبَّه القلب بالزجاجة، لأن ما في الزجاجة يرى من خارجها، فكذلك ما في القلب يرى من ظاهره، ويبيّن ذلك في أعضائه؛ ويقال: لأن الزجاجة تسرع الكسر بأدنى آفة تصيبها؛ فكذلك القلب بأدنى آفة تدخل فيه فإنه يفسد.

ثم وصف {الزجاجة}، فقال: {كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرّىٌّ}، يعني: استنار القنديل بصفاء الزجاجة. من قرأ بضم الدال، فهو منسوب إلى الدر، يعني: يشبه في ضوئه الدر، ومن قرأ بكسر الدال، يعني: الذي يدرأ عن نفسه، يعني: لا يكاد يقدر النظر إليه من شدة ضوئه. قرأ نافع، وابن كثير، وعاصم في رواية حفص {دُرّىٌّ} بضم الدال غير مهموز، وقرأ أبو عمرو والكسائي بكسر الدال وبهمز الياء، وقرأ حمزة وعاصم في رواية أبي بكر بالضم والهمز.

ثم قال تعالى: {يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مباركة}، يعني: السراج يوقد بدهن من شجرة مباركة {زَيْتُونَةٍ}؛ قرأ أبو عمر وابن كثير {***توقد} بنصب التاء والواو والقاف بلفظ التأنيث؛ وأصله تتوقد فحذف إحدى التاءين، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي بضم التاء والتخفيف بلفظ التأنيث، على فعل ما لم يسم فاعله؛ وقرأ الباقون {***توقد} بلفظ التذكير والتفسير، على معنى فعل ما لم يسم فاعله.

فمن قرأ بالتأنيث، انصرف إلى الزجاجة؛ ومن قرأ بالتذكير، انصرف إلى المصباح والسراج.

ثم وصف الشجرة المباركة، فقال: زَيْتُونَةٍ {زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ}، أي لم تكن بحال تصيبها الشمس في أول النهار وآخره، فكذلك هذا المؤمن تكون كلمة الإخلاص في قلبه ثابتة مثل ثبوت الشجرة، فلا يكون مشبهياً، ولا معطلياً، ولا قدرياً، ولا جبرياً؛ ولكنه على الاستقامة؛ ويقال: {لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ}، يعني: تكون في وسط الأشجار، حتى لا تحرقها الشمس؛ فكذلك هذا المؤمن بين أصحاب صلحاء، يثبتونه على الاستقامة. وروي، عن الحسن أنه

قال: ليس هذه من أشجار الدنيا، لكن من أشجار الآخرة، يعني: أن أشجار الدنيا لا تخلو من أن تكون شرقية أو غربية، ولكن هذه من أشجار الآخرة، فكذلك هذا المؤمن أصاب المعرفة بتوفيق الله عز وجل.
قال: {يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ} يعني: أن الزيت في الزجاجة. يكاد أن يضيء، وإن لم يكن موقداً؛ فكذلك المؤمن يعرف الله تعالى ويخافه ويطيعه، وإن لم يكن له أحد يذكره ويأمره وينهاه. ثم قال: {نُّورٌ على نُورٍ}، يعني: الزجاجة نور، والسراج نور، والزيت نور، فكذلك المؤمن اعتقاده نور، وقوله نور، وفعله نور. وقال أبو العالية: فهو يتقلب في خمسة أنوار، فكلامه نور، وعمله نور، ومخرجه نور، ومدخله نور، ومصيره إلى النور يوم القيامة.
{يَهْدِى الله لِنُورِهِ مَن يَشَاء}، يعني: يوفق ويعطي من يشاء، يعني: الهدى وللآية وجه آخر {الله نُورُ * السموات والارض} يعني: الله مرسل الرسل لأهل السموات وأهل الأرض {مَثَلُ نُورِهِ} يعني: مثل نور محمد صلى الله عليه وسلم، فسماه نوراً كقوله: «ياأهل الكتاب قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الكتاب وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُمْ مِّنَ الله نُورٌ وكتاب مٌّبِينٌ» [المائدة: 15]. ثم قال: {مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ}، يعني: مثل نور محمد صلى الله عليه وسلم في صلب أبيه، كالقنديل يضيء البيت المظلم. فكما أن البيت يكون مضيئاً بالقنديل، فإذا أخذ منه القنديل يبقى البيت مظلماً؛ فكذلك محمد صلى الله عليه وسلم كان كالقنديل في صلب أبيه فلما خرج بقي صلب أبيه مظلماً. {يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مباركة}، يعني: نور محمد صلى الله عليه وسلم من نور إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام {زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ}، يعني: لم يكن إبراهيم عليه السلام يهودياً ولا نصرانياً، ولكن كان حنيفاً مسلماً؛ ويقال: {لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ}، يعني: يعطي الله النبوة لمن يشاء، ولها وجه آخر {الله نُورُ * السموات والارض}، يعني: منزل القرآن، فنور بالقرآن السموات والأرض.
{مَثَلُ نُورِهِ} يعني: مثل نور القرآن في قلب المؤمن {كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ}، يعني: قلب المؤمن بالقرآن، {يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مباركة} يعني: ينزل القرآن من رب كريم ذي بركة {لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ}، أي ليس القرآن بلغة السريانية ولا بلغة العبرانية، ولكنه عربي مبين {يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ}، يعني: القرآن يضيء وألفاظه مهذبة، وإن لم تفهم معانيه {يَهْدِى الله لِنُورِهِ مَن

يَشَاء}، يعني: يوفق ويكرم بفهم القرآن من يشاء. {وَيَضْرِبُ الله الامثال لِلنَّاسِ}؛ يعني: الله عز وجل يبيِّن الأشياء للناس لكي يفهموا، ويقال: المثل كالمرآة يظهر عنده الحق {والله بِكُلّ شَيْء عَلِيمٌ} من ضرب الأمثال.

▲ تفسير الآيات رقم [36- 38]

{فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (36) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (37) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (38)}

ثم قال الله عز وجل: {فِى بُيُوتٍ أَذِنَ الله أَن تُرْفَعَ}، يعني: ما ذكر من القنديل المضيء، يعني: هو في المساجد. ثم وصف المساجد؛ ويقال هذا ابتداء القصة، وفيه معنى التقديم، يعني: أذن الله أن ترفع البيوت وهي المساجد {أَذِنَ الله أَن تُرْفَعَ}، أي تبنى وتعظم، {وَيُذْكَرَ فِيهَا اسمه}؛ يعني: توحيده؛ ويقال: بالأذان والإقامة. {يُسَبّحُ لَهُ} فيها، يعني: يصلي لله في المساجد {بالغدو والاصال}، يعني: عند الغداة والعشي. قرأ ابن عامر، وعاصم في رواية أبي بكر {يُسَبّحُ} بنصب الباء على معنى فعل ما لم يسم فاعله.

ثم قال عز وجل: {رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تجارة} يعني: هم رجال، وقرأ الباقون {يُسَبّحُ} بكسر الباء، ويكون الفعل للرجال، يعني: يسبح فيها {رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ}، يعني: لا يشغلهم البيع والشراء عن ذكر الله، يعني: عن طاعة الله، وعن مواقيت الصلاة. {وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ الله وَإِقَامِ الصلاة}، يعني: عن إتمام الصلاة.

قال بعضهم: نزلت الآية في أصحاب الصفة وأمثالهم، الذين تركوا التجارة ولزموا المسجد؛ وقال بعضهم: هم الذين يتجرون ولا تشغلهم تجارة عن الصلوات في مواقيتها، وهذا أشبه، لأنه قال: {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً}، وأصحاب الصفة وأمثالهم لم يكن عليهم الزكاة، وقال الحسن: {رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تجارة}. أما أنهم كانوا يتجرون، ولم تكن تشغلهم تجارة عن ذكر الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة. وروي عن ابن مسعود أنه رأى قوماً من أهل السوق سمعوا الأذان، فتركوا بياعاتهم، وقاموا إلى الصلاة، فقال: هؤلاء من الذين. {لاَّ تُلْهِيهِمْ تجارة وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ الله}.

ثم قال: {يخافون يَوْماً} يعني: من اليوم الذي {تَتَقَلَّبُ فِيهِ القلوب والابصار} يعني: يتردد فيه القلوب والأبصار في الصدر، إن كان كافراً فإنه يبلغ الحناجر

من الخوف، وإن كان تقيّاً مؤمناً تقول الملائكة {هذا يَوْمُكُمُ الذى كُنتُمْ تُوعَدُونَ} فبين ما في قلبه في البصر، وإن كان حزناً فحزن، وإن كان سروراً فسرور، ويقال يتقلب يعني: يتحول حالاً بعد حال مرة، يعرفون ومرة لا يعرفون، ويقال ينقلب يعني: يتحول عما كانت عليه في الدنيا من الشك حين رأى بالمعاينة فيتحول قلبه وبصره من الشك إلى اليقين.
ثم قال عز وجل: {لِيَجْزِيَهُمُ الله أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ} يعني: يجزيهم الله بإحسانهم، ويقال: يجزيهم أحسن وأفضل من أعمالهم وهو الجنة، ويقال: ويجزيهم أكثر من أعمالهم بكل حسنة عشرةً وأضعافاً مضاعفة ويقال يجزيه ويغفر له بأحسن أعماله ويبقى سائر أعماله فضلاً.
ثم قال: {وَيَزِيدَهُم مّن فَضْلِهِ} أي يرزقهم من عطائه {والله يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ} أي يرزقه ولايحاسبه، ويقال: يرزقه رزقاً لا يدرك حسابه، ويقال: ليس أحد يحاسبه فيما يُعطي، ويقال: بغير حساب، أي من غير حساب، أي من حيث لا يحتسب.
ثم ضرب مثلاً لعمل الكفار، فقال عز وجل:

▲ تفسير الآيات رقم [39- 40]

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآَنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (39) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ (40)}
{والذين كَفَرُواْ أعمالهم كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ} يعني: مثل أعمالهم الخبيثة في الآخرة {كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ} يعني: كمثل سراب في مفازة، ويقال: قاع وقيعة وقيعان، يعني: أرضاً مستوية كما يقال: صبي وصبية وصبيان.
ثم قال: {يَحْسَبُهُ الظمان مَاء} يعني: العطشان إذا رأى السراب من بعيد يحسبه ماء {حتى إِذَا جَاءهُ} يعني: فإذا أتاه ليشرب منه {لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً}، يعني: لم يجده ماء ويقال لم يجده شيئاً مما طلبه وأراده، فكذلك الكافر يظن أنه يثاب في صدقته وعتقه وسائر أعماله، فإذا جاءه يوم القيامة وجده هباءً منثوراً ولا ثواب له.

قوله: {وَوَجَدَ الله عِندَهُ} أي يوم القيامة عند عمله وهذا كما قال {إِنَّ رَبَّكَ لبالمرصاد}، يعني: مصير الخلائق إليه {فوفاه حِسَابَهُ}، يعني: يوفيه ثواب عمله {والله سَرِيعُ الحساب}، فكأنه حاسب، ويقال: سريع الحفظ، ويقال: إذا حاسب فحسابه سريع، فيحاسبهم جميعاً، فيظن كل واحد منهم أنه يحاسبه خاصة، فلا يشغله حساب أحدهم عن الآخر، لأنه لا يحتاج إلى أخذ الحساب، ولا يجري فيه الغلط، ولا يلتبس عليه، ويحفظ على كل صاحب حسابٍ حسابه ليذكره، فهذا المثل لأعمال الكفار، والتي في ظاهرها طاعة، فأخبر أنه لا ثواب لهم بها.

ثم ضرب مثلاً آخر للكافر، فقال عز وجل: {أَوْ كظلمات} قال بعضهم: الألف زيادة، ومعناه وكظلمات، يعني: مثلهم أيضاً كظلمات. ويقال: أو للتخيير، يعني: إن شئت فاضرب لهم المثل بالسراب، وإن شئت بالظلمات، فقال: {أَوْ كظلمات} {فِى بَحْرٍ لُّجّىّ} يعني: مثل الكافر كمثل رجل يكون في بحر عميق في الليل، كثير الماء {يغشاه مَوْجٌ مّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظلمات} يعني: يكون في ظلمة البحر، وظلمة الليل، وظلمة السحاب، فكذلك الكافر في ظلمة الكفر، وظلمة الجهل، وظلمة الجور والظلم. ويقال: {يغشاه مَوْجٌ مّن فَوْقِهِ مَوْجٌ} يعني: المعاصي، ومن فوقه العداوة والحسد والبغضاء، و{مّن فَوْقِهِ سَحَابٌ} يعني: الخذلان من الله تعالى.

ثم قال: {ظلمات بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ} كما قال للمؤمن: {نُّورٌ على نُورٍ} فيكون للكافر ظلمة على ظلمة، قوله ظلمة، وعمله ظلمة، واعتقاده ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة ومصيره إلى الظلمة، وهو النار. ويقال: شبه قلب الكافر بالبحر العميق، وشبه أعضاءه بالأمواج الثلاث، طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم، فهذه الظلمات الثلاث تمنعه عن الحق.

ثم قال: {إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا} يعني: لم يكن أقرب إليه من نفسه، فإذا أبرز يده لم يكد يراها من شدة الظلمة، ومع ذلك لم ير نفسه/

فكذلك الكافر لم ينظر إلى القبر ولم يتفكر في أمر نفسه أيضاً، كقوله عز وجل: {وفى أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ} [الذاريات: 21].

ثم قال: {وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ الله لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُورٍ} يعني: من لم يكرمه الله بالهدى فما له من مكرم بالمعرفة. قرأ ابن كثير {ظلماتٍ} بكسر التاء والتنوين، فكأنه يجعله بمنزلة قوله كظلمات. وقرأ الباقون بالضم على معنى الابتداء. وقرئ في الشاذ: سحاب ظلمات، على معنى الإضافة.

▲ تفسير الآيات رقم [41- 44]

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (41) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (42) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (43) يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (44)}

قوله عز وجل: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله يُسَبّحُ لَهُ} يعني: يصلي له ويذكر له. ويقال: يخضع له. {مَن فِى *** السموات والارض} أي من في السموات من الملائكة، ومن في الأرض من الخلق. {والطير صافات} يعني: مفتوحة الأجنحة. وأصل الصّفّ هو البسط، ولهذا يُسمى اللحم القديد صفيفاً لأنه يبسط {كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاَتَهُ وَتَسْبِيحَهُ والله عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ} يعني: كل واحد من المسبحين يعلم كيف يصلي، وكيف يسبح، يعني: والله يعلم عمل كل عامل، فيجازيهم بأعمالهم، إلا أنه لا يعجل بعقوبة المذنبين والكافرين، لأنه قادر عليهم.

قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مُلْكُ السماوات والارض} وهذا معنى قوله وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قال مجاهد في قوله: {كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاَتَهُ وَتَسْبِيحَهُ} الصلاة للإنسان والتسبيح لما سوى ذلك من خلقه، ثم قال: {وإلى الله المصير} يعني: إليه المرجع في الآخرة.

قوله عز وجل: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله يُزْجِى سَحَاباً} يعني: يسوق سحاباً {ثُمَّ يُؤَلّفُ بَيْنَهُ} يعني: يجمع بينه {ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً} يعني: قطعاً قطعاً، ويقال: يجعل بعضها فوق بعض. {فَتَرَى الودق} يعني: المطر {يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ} يعني: من وسط السحاب. قرأ ابن عباس: يخرج من خلله وقراءة العامة {مِنْ خِلاَلِهِ}، وهي جمع خلل. {وَيُنَزّلُ مِنَ السماء مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ} يعني: من جبال في السماء. قال مقاتل: روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: جبال السماء أكثر من جبال الأرض، فيها من برد أي في الجبال من برد، ويقال: وهو الجبال من البرد، أي: ينزل من السماء من جبال البرد. وروي عن ابن

عباس أنه قال: البرد هو الثلج، وما رأيته. ويقال: الجبال عبارة عن الكثرة، يعني: ينزل الثلج مقدار الجبال، كما يقال: عند فلان جبال من مال، أي: مقدار جبال من كثرته. ويقال البرد هو الذي له صلابة كهيئة الجمد {فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاء} يعني: البرد، يصيب الزرع والإنسان إذا كان في مفازة.
قوله: {وَيَصْرِفُهُ *** مَا يَشَاء} فلا يصيبه، ويقال: يصيب به، يعني: يعذب به من يشاء، ويصرفه عمن يشاء فلا يعذبه.
قوله: {يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ} يعني: ضوء برقه. {يَذْهَبُ بالابصار} يعني: من شدة نوره. قرأ أبو جعفر المدني: يذهب، بضمِّ الياء وكسر الهاء، وقراءة العامة يذهب بنصب الياء والهاء.
ثم قال: {يُقَلِّبُ الله اليل والنهار} يعني: يذهب الله بالليل ويجيء بالنهار، ويقال ينقص من النهار، ويزيد من الليل. {إِنَّ فِى ذَلِكَ} يعني: في تقلبهما، واختلاف ألوانهما {لَعِبْرَةً} يعني: لآية {لاِوْلِى الابصار} يعني: لذوي العقول والفهم في الدين. وسئل سعيد بن المسيب: أي العبادة أفضل؟ فقال: التفكير في خلقه والتَّفَقُّه في دينه. ويقال العِبَرُ بِالوِقَارِ، وَالْمُعْتَبِرُ بِمِثْقَالٍ.
ثم قال:

▲ تفسير الآيات رقم [45- 46]

{وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (45) لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (46)}
قوله عز وجل: {والله خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مّن مَّاء} يعني: من ماء الذكور. قرأ حمزة والكسائي {خالق كُلّ دَابَّةٍ} على معنى الإضافة. وقرأ الباقون {خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ} على معنى فعل الماضي، ويقال هذا معطوف على ما سبق. {يَهْدِى الله لِنُورِهِ مَن يَشَاء} فكأنَّه يقول: يهدي من يشاء ويضلُّ من يشاء كما أنه يخلق ما يشاء من الخلق ألواناً.
ثم وصف الخلق فقال تعالى: {فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِى على بَطْنِهِ} مثل الحية ونحو ذلك فإن قيل لا يقال للدواب منهم، وإن هذا اللفظ يستعمل للعقلاء، قيل له: الدابة اسم عام وهو يقع على ذي روح، فيقع ذلك على العقلاء وغيرهم، فإذا كان هذا اللفظ يقع على العقلاء وغيرهم فذكر بلفظ العقلاء، ولو قال: فمنه كان جائزاً، وينصرف إلى قوله كل، ولكنه لم يقرأ، وإنما قال: يمشي على وَجْهِ

المجاز، وإن كان حقيقته المشي بالرِّجل، لأنه جمعه مع الذي يمشي على وجه التبع.
ثم قال: {وَمِنهُمْ مَّن يَمْشِى على رِجْلَيْنِ} مثل الإنسان ونحوه {وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِى على أَرْبَعٍ} أي على أربع قوائم مثل الدوابّ وأشباهها، فإن قيل: إيش الحكمة في خلق كل شيء من الماء؟ قيل له: لأن الخلق من الماء أعجب، لأنه ليس شيء من الأشياء أشدّ طوعاً من الماء، لأن الإنسان لو أراد أن يمسكه بيده، أو أراد أن يبني عليه، أو يتخذ منه شيئاً لا يمكنه، والناس يتخذون من سائر الأشياء أنواع الأشياء، قيل: فالله تعالى أخبر أنه يخلق الماء ألواناً من الخلق، وهو قادر على كل شيء.
ثم قال: {يَخْلُقُ الله مَا يَشَاء} يعني: كما يشاء، وكيف يشاء {إِنَّ الله على كُلِّ شَئ} من الخلق وخلقه {قَدِيرٌ} أي قادر.
قوله عز وجل: {لَّقَدْ أَنزَلْنَا ءايات مبينات} قرأ أبو عمرو وعاصم ونافع وابن كثير وأبو بكر: {مبينات} بنصب الياء في جميع القرآن، يعني: مفصلات. وقرأ حمزة والكسائي وابن عامر {مبينات} بكسر الياء، يعني: يبين للناس دينهم.
{والله يَهْدِى مَن يَشَاء} أي يرشد من كان أهلاً لذلك {إلى صراط مُّسْتَقِيمٍ} يعني: دين مستقيم وهو دين الإسلام.

▲ تفسير الآيات رقم [47- 51]

{وَيَقُولُونَ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (47) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (48) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (49) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (50) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (51)}
قوله عز وجل: {وَيِقُولُونَ امَنَّا بالله وبالرسول} قال مقاتل نزلت في شأن بشر المنافق وذلك أن رجلاً من اليهود كانت بينه وبين خصومة، وأن اليهودي دعا بشراً إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقال بشر، نتحاكم إلى كعب بن الأشرف، فإنَّ محمداً يحيف علينا فنزل: {وَإِذَا دُعُواْ إِلَى الله وَرَسُولِهِ} وقال في رواية

أخرى: كان عثمان بن عفان رضي الله عنه اشترى أرضاً من عليّ، فَنَدَّمَهُ قومه، وقالوا: عمدت إلى أرض سَبْخَةٍ لا ينالها الماء فاشتريتها: رُدَّها عليه، فقال: قد ابتعتها منه، فقالوا: ردها، فلم يزالوا به حتى أتاه فقال: اقبض مني أرضك، فإني قد اشتريتها، ولم أرضها لأنه لا ينالها الماء، فقال له عليّ رضي الله عنه: بل اشتريتها ورضيتها وقبضتها مني، وأنت تعرفها، وتعلم ما هي، فلا أقبلها منك. قال: فدعا عليٌّ عثمان رضي الله عنهما أن يخاصمه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال قوم عثمان: لا تخاصمه إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم، فإن أنت خاصمته إليه قَضَى له عليك، وهو ابن عمه، وأكرم عليه منك، ثم اختصما إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقضى لعليّ على عثمان، فنزل في قوم عثمان {وَيِقُولُونَ امَنَّا بالله وبالرسول} {وَأَطَعْنَا} يعني: صدقنا بالله وبالرسول، وأطعنا. {ثُمَّ يتولى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ} أي يعرض عن طاعتهما طائفة منهم {مِن بَعْدِ ذلك} الإقرار {وَمَا أُوْلَئِكَ بالمؤمنين} يعني: بمصدقين.

قال بعضهم: هذا التفسير الذي ذكره الكلبي غير صحيح، لأن قوم عثمان إن كانوا مؤمنين من الذين هاجروا معه إلى المدينة، وقد ذكر أنهم ليسوا بمؤمنين.

وقال بعضهم هو الصحيح لأن قوم عثمان بعضهم منافقون مبغضون لبني هاشم لعداوة كانت بينهم في الجاهلية، وكان عثمان يميل إلى قرابته، ولا يعرف نفاقهم. ويقال: {وَمَا أُوْلَئِكَ بالمؤمنين} يعني: ليس عملهم عمل المؤمنين المخلصين.

ثم قال عز وجل: {وَإِذَا دُعُواْ إِلَى الله وَرَسُولِهِ} يعني: إلى حكم الله ورسوله ويقال: إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم {لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ} يعني: ليقضي بينهم بالقرآن {إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ} يعني: طائفة منهم معرضون عن طاعة الله ورسوله.

قوله عز وجل: {وَإِن يَكُنْ لَّهُمُ الحق} يعني: القضاء {يَأْتُواْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ} يعني: خاضعين، مسرعين، طائعين قال الزجاج: الإذعان الإسراع مع الطاعة.

ثم قال: {أَفِى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ} أي: شك ونفاق {أَمِ ارتابوا} يعني: شكوا في القرآن {أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ الله عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ} يعني: يجور الله عليهم ورسوله. قال بعضهم: اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به الإفهام، فكأن الله تعالى يعلمنا بأن في قلوبهم مرضاً، وأنهم شكوا.

ويقال في قلوبهم مرض، يعني: بل في قلوبهم مرض أم {ارتابوا} بل شكوا ونافقوا.
ثم قال تعالى: {بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظالمون} يعني: هم الظالمون لا النبي صلى الله عليه وسلم.
ثم قال عز وجل: {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ المؤمنين} يعني: المصدقين {إِذَا دُعُواْ إِلَى الله وَرَسُولِهِ} يعني: إلى كتاب الله ورسوله يعني: أمر رسوله {لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ} يعني: ليقضي بينهم بالقرآن {أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا} أي: سمعنا قول النبي صلى الله عليه وسلم وأطعنا أمره، فإن فعلوا ذلك {وأولئك هُمُ المفلحون} يعني: الناجون الفائزون.

▲ تفسير الآيات رقم [52- 55]

{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (52) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (53) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (54) وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (55)}

ثم قال عز وجل: {وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ} يعني: يطع الله في الفرائض، ويطع الرسول في السنن. {وَيَخْشَ الله} فيما مضى {وَيَتَّقْهِ} فيما يستقبل {فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفائزون} أي الناجون. وروي عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: {وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ} فيوحده، ورسوله فيصدقه بالرسالة، ويخشَ الله فيما مضى من ذنوبه، ويتقه فيما بقي من عمره، فأولئك هم الفائزون، يعني: الناجون من العذاب آمنون عند سكرات الموت. قال: فلما نزلت هذه الآية أقبل، عثمان إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله إن شئت لأخرجن من أرضي ولأدفعنها إليه، وحلف على ذلك، فمدحه الله عز وجل بذلك فقال عز وجل: {وَأَقْسَمُواْ بالله جَهْدَ أيمانهم}

يعني: حلفوا بالله، وإذا حلفوا بالله كان ذلك جهد اليمين. {لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ} من الأموال. قال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: {قُل لاَّ تُقْسِمُواْ} أي لا تحلفوا {طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ} يعني: هذه منكم طاعة معروفة، لا طاعة نفاق، فكأن فيه مضمراً، لأن بعض الناس منافقون، فأخبر أن هذه طاعة ليس فيها نفاق.
ثم قال: {إِنَّ الله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} يعني: في السر والعلانية ثم قال عز وجل {قُلْ أَطِيعُواْ الله وَأَطِيعُواْ الرسول} يعني: أطيعوا الله في الفرائض، وأطيعوا الرسول في السنن.
{فَإِن تَوَلَّوْاْ} يعني: أعرضوا عن الطاعة لله والرسول {فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ} يعني: ما أمر بتبليغ الرسالة وليس عليه من وزركم شيء، {وَعَلَيْكُمْ مَّا حُمِّلْتُمْ} يعني: ما أمرتم، والإثم عليكم، وإذا تركتم الإجابة {وَإِن تُطِيعُوهُ} يعني: النبي صلى الله عليه وسلم {تَهْتَدُواْ} من الضلالة.
ثم قال: {وَمَا عَلَى الرسول إِلاَّ البلاغ المبين} وفي الآية مضمر، فكأنه يقول: وإن تعصوه {وَمَا عَلَى الرسول إِلاَّ البلاغ المبين} يعني: ليس عليه إلا التبليغ.
قوله عز وجل: {وَعَدَ الله الذين ءامَنُواْ مِنْكُمْ وَعَمِلُواْ الصالحات} وذلك أن كفار مكة لما صَدُّوا المسلمين عن مكة عام الحديبية، فقال المسلمون: لو فتح الله مكة ودخلناها آمنين، فنزل قوله {لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الارض} يعني: لينزلنهم في أرض مكة {كَمَا استخلف الذين مِن قَبْلِهِمْ} يعني: من قبل أمة محمد صلى الله عليه وسلم من بني إسرائيل وغيرهم، {وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ} يعني: ليظهرن لهم {دِينَهُمُ} الإسلام {الذى ارتضى لَهُمْ وَلَيُبَدّلَنَّهُمْ مّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً} من الكفار {يَعْبُدُونَنِى} يعني: لكي يعبدوني {لاَ يُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً} ويقال: معناه يعبدونني لا يشركون بي شيئاً، أي: يظهر عبادة الله تعالى، ويبطل الشرك.
وروى الربيع بن أنس عن أبي العالية قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة زماناً، نحواً من عشر سنين، وهم خائفون لا يؤمرون بالقتال، حتى إذا أمروا بالهجرة إلى المدينة، فقدموا المدينة، أمرهم الله تعالى بالقتال، فكانوا بها خائفين يُمسون في السلاح، ويصبحون في السلاح، فقال رجل من أصحابه يا رسول الله نحن أبداً خائفون، هل يأتي علينا يوم نأمن فيه، ونضع فيه السلاح؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لاَ يَكُونُ إلاَّ يَسِيراً حَتَّى يَجْلِسَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي المَلاِ العَظِيمِ مُحْتَبِياً لَيْسَتْ فِيهِ حَدِيدَةٌ» ونزلت هذه الآية {وَعَدَ الله الذين ءامَنُواْ مِنْكُمْ وَعَمِلُواْ الصالحات *** ضَلَلْنَا فِى الارض} الآية.

ويقال: نزلت في شأن أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم {لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ} يعني: يكونوا خلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واحداً بعد واحد.
ثم قال: {وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذلك} يعني: بعد الأمن والتمكين {فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفاسقون} أي العاصون. قرأ عاصم في رواية أبي بكر {كَمَا استخلف} بضم التاء على فعل ما لم يُسَمَّ فاعله. وقرأ الباقون بنصب التاء لأنه سبق ذكر الله تعالى. وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر {وَلَيُبَدّلَنَّهُمْ} بالتخفيف. وقرأ الباقون بتشديد الدال من بدَّل يبدِّل والأول من أبْدَلَ يُبْدِلُ.

تفسير الآيات رقم [56- 59]

{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (56) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ (57) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآَيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (58) وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آَيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (59)}

قوله عز وجل: {وَإِذْ أَخَذْنَا} يعني: أقروا بها وأتموها. {وَإِذْ أَخَذْنَا} يعني: أقروا بها وأعطوها. {وَأَطِيعُواْ الرسول} فيما يأمركم به من التوحيد والطاعة {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} فلا تعذبون.
قوله عز وجل: {لاَ تَحْسَبَنَّ الذين كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِى الارض} يعني: فائتين، ويقال سابقين أمر الله تعالى، ويقال: معناه لا تظن أنهم يهربون منا وأنهم يفوتون من عذابنا. {وَمَأْوَاهُمُ النار وَبِئْسَ *** المصير} يعني: صاروا إليه وبئس المرجع. قرأ حمزة وابن عامر {لا * يَحْسَبَنَّ} بالياء ونصب السين، وقرأ الباقون بالتاء بلفظ المخاطبة وكسر السين.
قوله عز وجل: {ذَلِكَ بِأَنَّ الذين كَفَرُواْ} قال ابن عباس: وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث غلاماً من الأنصار يقال له مدلج إلى عمر بن

الخطاب رضي الله عنه ظهيرة ليدعوه فانطلق الغلام ليدعوه، فوجده نائماً قد أغلق الباب، فأخبر الغلام أنه في هذا البيت، فقرع الباب على عمر فلم يستيقظ، فدخل فاستيقظ عمر، فجلس، فانكشف منه شيء، فرآه الغلام، فعرف عمر أنه قد رآه، فقال عمر: وددت أن الله تعالى نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا أن يدخلوا علينا هذه الساعة إلا بإذن، ثم انطلق معه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية {المصير ياأيها الذين ءامَنُواْ لِيَسْتَأْذِنكُمُ الذين مَلَكَتْ أيمانكم} يعني: العبيد والإماء والولاية {والذين لَمْ يَبْلُغُواْ الحلم مِنكُمْ} يعني: وليستأذنكم الذين لم يبلغوا الحلم، يعني: الاحتلام، وهم الأحرار من الغلمان {ثَلاَثَ مَرَّاتٍ} لأنها ساعات غرة وغفلة، ثم بين الساعات الثلاث، فقال: {مّن قَبْلِ صلاة الفجر} لأن ذلك وقت لبس الثياب {وَحِينَ تَضَعُونَ ثيابكم مّنَ الظهيرة} أي وقت القيلولة {وَمِن بَعْدِ صلاة العشاء} وذلك وقت النوم {ثَلاَثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ} يعني: ثلاث ساعات وقت غرة، أي: عورة وغفلة، وهن أوقات التجرد وظهور العورة.

وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية واحدة {ثَلاَثُ عَوْرَاتٍ} بنصب الثاء، وقرأ الباقون بالضم، فمن قرأ بالنصب فمعناه ليستأذنكم ثلاث عورات أي ثلاث ساعات، ومن قرأ بالضم معناه هي ثلاث عورات، فيكون خبراً عن الأوقات الثلاثة.

وروى عكرمة أن رجلين من أهل العراق سألا ابن عباس عن قوله: {لِيَسْتَأْذِنكُمُ الذين مَلَكَتْ أيمانكم والذين لَمْ يَبْلُغُواْ الحلم مِنكُمْ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ} فقال ابن عباس: إنَّ الله تعالى سِتِّيرٌ يحب الستر، وكان الناس لم يكن لهم ستور على أبوابهم، ولا حجاب في بيوتهم، فربما فاجأ الرجلَ ولده أو خادمه أو يتيم في حجره وهو مع أهله، فأمرهم الله تعالى أن يستأذنوا في ثلاث ساعات التي سمى الله تعالى، ثم جاء الله باليسر، وبسط الرزق عليهم، فاتخذوا الستور، واتخذوا الحجاب، فرأى الناس أن ذلك قد كفاهم من الاستئذان الذي قد أمروا به، وقد قيل إن فيه دليلاً أن ذلك الحكم إذا ثبت فإذا زال المعنى زال الحكم.

وقال مجاهد: الاستئذان هو التنحنح.

ثم قال تعالى: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلاَ عَلَيْهِمْ} أي ليس عليكم معشر المؤمنين، ولا عليهم، يعني: الخدم {جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ} يعني: بعد الساعات الثلاث {طَوفُونَ عَلَيْكُمْ} يعني: يتقلبون فيكم ليلاً ونهاراً يدخلون عليكم بغير استئذان في الخدمة {بَعْضُكُمْ على بَعْضٍ} أي يدخل بعضكم على بعض بغير إذن {كذلك

يُبيّنُ الله لَكُمُ الآيات} يعني: أمره ونهيه في الاستئذان {والله عَلِيمٌ} بصلاح الناس {حَكِيمٌ} حكم بالاستئذان.
قوله عز وجل: {وَإِذَا بَلَغَ الاطفال مِنكُمُ الحلم} يعني: الاحتلام {فَلْيَسْتَأْذِنُواْ كَمَا استأذن الذين مِن قَبْلِهِمْ} يعني: الكبار من ولد الرجل وأقربائه معناه فليستأذنوا في كل وقت، كما استأذن الذين من قبلكم، يعني: من الرجال {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمْ آياته} أي أمره ونهيه في كل وقت، {والله عَلِيمٌ} بِصَلاَحِكُم {حَكِيمٌ} حكم بالاستئذان.

تفسير الآيات رقم [60- 61]

{وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (60) لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آَبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآَيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (61)}

{والقواعد مِنَ النساء} يعني: الآيسات من الحيض. والقاعدة: المرأة التي قعدت عن الزوج، وعن الحيض والولد، والجماعة قواعد {اللاتى لاَ يَرْجُونَ نِكَاحاً} يعني: لا يحتجن إلى الزوج، ولا يرغب فيهن. {فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ} أي جلبابهن ويخرجن بغير جلباب {غَيْرَ متبرجات بِزِينَةٍ} والتبرج: إظهار الزينة، يعني: لا يردن بوضع الجلباب أن ترى زينتهن. {وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ} يعني: يتعففن، فلا يضعن الجلباب. {خَيْرٌ لَّهُنَّ} من الوضع. {والله سَمِيعٌ} لمقالتهن يعني: أن العجوز إذا وضعت جلبابها، وتبدي زينتها وتقول: من يرغب فيَّ {عَلِيمٌ} بنيتها وبفعلها. ويقال: سميع عليم بجميع ما سبق في هذه السورة. ويقال: سميع عليم انصرف إلى ما بعده فيما يتحرجون عن الأكل.
قوله عز وجل: {لَّيْسَ عَلَى الاعمى حَرَجٌ} قال في رواية الكلبي: كانت الأنصار يتنزهون عن الأكل مع الأعمى والمريض والأعرج، وقالوا: إن

هؤلاء لا يقدرون أن يأكلوا مثل ما نأكل، فنزل {لَّيْسَ عَلَى الاعمى حَرَجٌ} يعني: ليس على من أكل مع الأعمى حَرَجٌ {وَلاَ عَلَى} من أكل مع {الاعرج حَرَجٌ وَلاَ عَلَى} من أكل مع {المريض حَرَجٌ} إذا أنصف في مؤاكلته. وقال بعضهم: هذا التفسير خطأ، وهو غير محتمل في اللغة، لأنه أضاف الحرج إلى الأعمى لا إلى من أكل معه، وقد قيل: إن هذا صحيح، لأنه ذكر الأعمى، وأراد به الأكل مع الأعمى، كقوله {وَإِذْ أَخَذْنَا ميثاقكم وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطور خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ واسمعوا قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ العجل بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إيمانكم إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [البقرة: 93] أي حب العجل، قال: وكما قال: {واسئل القرية} وللآية وجه آخر، وهو أن الأعمى كان يتحرج عن الأكل مع الناس مخافة أن يأكل أكثر منهم وهو لا يشعر، والأعرج أيضاً يقول: إني أحتاج لزمانتي أن يوسع لي في المجلس، فيكون عليهم مضرة، والمريض يقول: الناس يتأذون مني لمرضي، ويقذرونني، فيفسد عليهم الطعام، فنزل {لَّيْسَ عَلَى الاعمى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الاعرج حَرَجٌ وَلاَ عَلَى المريض حَرَجٌ} يعني: لا بأس بأن يأكلوا مع الناس، ولا مأثم عليهم. ولها وجه آخر وهو ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان الناس يخرجون إلى الغزو، ويدفعون مفاتيحهم إلى الزَّمْنى والمرضى، ويقولون: قد أحللنا لكم أن تأكلوا في منازلنا. وكانوا يتورعون منازلهم حتى نزلت هذه الآية، وإلى هذا يذهب الزهري رضي الله عنه.

وذكر أيضاً أن مالك بن زيد، وكان صديقه الحارث بن عمرو خرج غازياً، وخلف مالكاً في أهله وماله وولده، فلما رجع الحارث رأى مالكاً متغيراً لونه، فقال: ما أصابك، فقال: لم يكن عندي شيء آكله، فجهدت من الشدة والجوع، ولم يكن يحل لي أن آكل شيئاً من مالك، فنزلت هذه الآية إلى قوله {أَوْ صَدِيقِكُمْ} وقوله: {وَلاَ على أَنفُسِكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُواْ مِن بُيُوتِكُمْ} أي: لا حرج عليكم أن تأكلوا من بيوتكم، أو من بيوت عيالكم وأزواجكم.

ويقال: بيوتكم أي بيوت أولادكم. ويقال: من بيوتكم، يعني: من بيوت بعضكم، وذلك أنه لما نزل {وَلاَ تَأْكُلُواْ أموالكم بَيْنَكُم بالباطل} امتنع الناس من أن يأكل بعضهم من طعام بعض، فنزل في ذلك: {وَلاَ على أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِن بُيُوتِكُمْ} يعني: من بيوت بعضكم بعضاً. {لَّيْسَ عَلَى الاعمى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الاعرج حَرَجٌ وَلاَ عَلَى المريض حَرَجٌ وَلاَ على أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِن بُيُوتِكُمْ}

يعني: لا بأس أن يأكل من بيت هؤلاء بغير إذنهم، لأنه يجري بينهما من الانبساط ما يغني عن الإذن.
ثم قال: {أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحهُ} أي: خزائنه يعني: عبيدكم وإماءكم، إذا كان له عبد مأذون، فلا بأس أن يأكل من ماله، لأن ذلك من مال مواليه. ويقال: يعني: حافظ البيوت، فلا بأس أن يأكل مقدار حاجته.
ثم قال: {**وَصَدِيقِكُمْ} يعني: لا جناح على الصديق أن يأكل من بيت صديقه إذا كان بينهما انبساط. وروي عن قتادة أنه قال: لو دخلت على صديق، ثم أكلت من طعامه بغير إذنه كان حلالاً.
ثم قال: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ أَن تَأْكُلُواْ جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً} يعني: جماعة أو متفرقين في بيت هؤلاء. ويقال: إنهم كانوا يمتنعون عن الأكل وحده، وذكر في قوله تعالى: {إِنَّ الإنسان لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ} [العاديات: 6] يعني: الذي يأكل وحده، ويمنع رفده، ويضرب عبده، فرخص في هذه الآية، لأن الإنسان لا يمكنه أن يطلب في كل مرة أحداً يأكل معه. وروى معمر عن قتادة قال: نزلت الآية في حي من العرب كان الرجل منهم لا يأكل طعامه وحده، وكان يحمله بعض يوم حتى يجد من يأكل معه، فنزل {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُواْ جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً}.
ثم قال: {فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً} قال مقاتل: يعني: دخلتم بيوتاً للمسلمين {فَسَلِّمُواْ على أَنفُسِكُمْ} يعني: بعضكم على بعض، كما قال: {وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ} يعني: بعضكم بعضاً. وروى عمرو بن دينار، عن ابن عباس، قال: {فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً} قال: هو المسجد {فَسَلِّمُواْ على أَنفُسِكُمْ} فقولوا السلام علينا من ربنا {تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ الله} يعني: السلام {مباركة} بالأَجْرِ {طَيِّبَةً} بالمغفرة. وقال إبراهيم النخعي: {فَسَلِّمُواْ على أَنفُسِكُمْ} إذا كان في البيت إنسان يقول: السلام عليكم، وإذا لم يكن فيه أحد يقول: السلام علينا من ربنا، وعلى عباد الله الصالحين، وهكذا قال مجاهد، وقال الحسن والكلبي: {فَسَلِّمُواْ على أَنفُسِكُمْ} يعني: بعضكم على بعض.
وروى أبو ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أبْخَلُ النَّاسِ الَّذِي يَبْخَلُ بِالسَّلامِ» ويقال: معنى السلام: إذا قال السلام عليكم يعني: السلامة لكم مني، فكأنه أمنه من شر نفسه. ويقال: يعني: حفظكم الله من الآفات. ويقال: السلام هو الله، فكأنه الله حفيظ عليكم، ومطلع على ضمائركم، فإن كنتم في خير فزيدوا، وإن كنتم في شر فانزجروا {تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ الله} وأصل التحية هو البقاء والحياة كقوله: حَيَّاكَ الله. وإنما صار نصباً على

المصدر، ثم قال: {كذلك يُبيّنُ الله لَكُمُ الآيات} يعني: أمره ونهيه في أمر الطعام والشراب {لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} أي لكي تعقلوا وتفهموا.

تفسير الآيات رقم [62- 64]

{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (62) لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (63) أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (64)}

قوله عز وجل: {إِنَّمَا المؤمنون} يعني: المصدقين {الذين ءامَنُواْ بالله وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُ على أَمْرٍ جَامِعٍ} يعني: مع النبي صلى الله عليه وسلم إذا جمعهم على أمر لتدبير في أمر جهاد، أو في أمر من أمور الله تعالى فيه طاعة لله ولرسوله {لَّمْ يَذْهَبُواْ} يعني: لم يفارقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم {حتى يَسْتَذِنُوهُ}.

وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجمعهم يوم الجمعة، فيستشيرهم في أمر الغزو، فكان يثقل على بعضهم المقام، فيخرجون بغير إذنه. وقال بعضهم: نزلت في يوم الخندق، وكان بعض الناس يرجعون إلى منازلهم بغير إذن النبي صلى الله عليه وسلم وتركوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فنهاهم الله تعالى عن ذلك، وأمرهم بأن لا يرجعوا إلا بإذنه عليه السلام، وكذلك إذا خرجوا إلى الغزو، ولا ينبغي لأحد أن يرجع بغير إذنه.

وفي الآية بيان حفظ الأدب، بأن الإمام إذا جمع الناس لتدبير أمر من أمور المسلمين ينبغي أن لا يرجعوا إلا بإذنه، وكذلك إذا خرجوا إلى الغزو، لا ينبغي لأحد أن يرجع إلا بإذنه، ولا يخالف أمر السرية. وروي عن مكحول أنه سئل عن هذه الآية وعنده عطاء، فقال: هذا في الجمعة، وفي الزحف، وفي كل أمر جامع.

ثم قال تعالى: {إِنَّ الذين يَسْتَذِنُونَكَ أُوْلَئِكَ الذين يُؤْمِنُونَ بالله وَرَسُولِهِ} وليسوا بمنافقين، وكان المؤمنون بعد نزول هذه الآية لم يكونوا يرجعون حتى يستأذنوا وأما المنافقون فيرجعون بغير إذن.

ثم قال: {فَإِذَا استذنوك لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ} يعني: لبعض أمورهم وحوائجهم {فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ} ولا تأذن لمن شئت لأن بعض المنافقين لم يكن لهم في الرجوع حاجة، فإن أرادوا أن يرجعوا فلم يأذن لهم، وأذن للمؤمنين.
وقال مقاتل: نزلت في شأن عثمان حين استأذن في غزوة تبوك بالرجوع إلى أهله، فأذن له. {واستغفر لَهُمُ الله} أي فيما استأذنوك من الرجوع بغير حاجة لهم. {أَنَّ الله غَفُورٌ} رَحِيمٌ لمن تاب {رَّحِيمٌ} به.
ثم قال عز وجل: {لاَّ تَجْعَلُواْ دُعَاء الرسول بَيْنَكُمْ} يعني: لا تدعوا محمداً باسمه صلى الله عليه وسلم {كَدُعَاء بَعْضِكُمْ بَعْضاً} ولكن وقِّروه وعظموه، وقولوا: يا رسول الله، ويا نبي الله، ويا أبا القاسم.
وفي الآية بيان توقير معلم الخير، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلم الخير، فأمر الله عز وجل بتوقيره وتعظيمه، وفيه معرفة حق الأستاذ، وفيه معرفة أهل الفضل.
ثم ذكر المنافقين فقال عز وجل: {قَدْ يَعْلَمُ الله} يعني: يرى الله {الذين يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ} يعني: يخرجون من المسجد {لِوَاذاً} يلوذ بعضهم ببعض، وذلك أن المنافقين كان يشقُّ عليهم المقام هناك يوم الجمعة وغيره، فيتسللون من بين القوم، ويلوذ الرجل بالرجل، أو بالسارية لِئلاَّ يراه النبي صلى الله عليه وسلم حتى يخرج من المسجد.
يقال: لاذ يلوذ إذا عاذ وامتنع بشيء. ويقال: معنى (لِوَاذاً) هنا من الخلاف، يعني: يخالفون خلافاً، فخوفهم الله تعالى عقوبته فقال: {فَلْيَحْذَرِ الذين يخالفون عَنْ أَمْرِهِ} يعني: عن أمر الله تعالى. ويقال: عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويقال: عن: زيادة في الكلام للصلة. ومعناه: يخالفون أمره إلى غير ما أمرهم به {أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ} يعني: الكفر، لأن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب، فمن تركه على وجه الجحود كفر. ويقال: فتنة، يعني: بلية في الدنيا. ويقال: فساد في القلب. ويقال: {أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} يعني: يصيبهم عذاب عظيم في الآخرة. ويقال: القتل بالسيف. ويقال: يجعل حلاوة الكفر في قلبه. وقوله: {أَوْ} على معنى الإبهام، لا على وجه الشك والتخيير.
ثم قال عز وجل: {أَلا إِنَّ للَّهِ مَا فِى *** السموات والارض} من الخلق عبيده وإماؤه في مملكته {قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ} من خير أو شر، فيجازيكم بذلك {وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ} في الآخرة {فَيُنَبّئُهُمْ بِمَا عَمِلُواْ} من خير أو شر، فيجازيهم بذلك. {والله بِكُلّ شَيْء عَلِيمٌ} من أعمالهم وأقوالهم، وبما في أنفسهم.

وروي عن الأعمش، عن سفيان بن سلمة، قال: شهدت ابن عباس ولي الموسم، وقرأ سورة النور على المؤمنين، وفسرها على المنبر، فلو سمعتها الروم لأسلمت. وقال عمر رضي الله تعالى عنه: تعلموا سورة براءة، وَعَلِّموا نساءكم سورة النور، والله أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

25

سورة الفرقان

تفسير الآيات رقم [1- 3]

{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (1) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (2) وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آَلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا (3)}

قول الله سبحانه وتعالى: {تبارك} قال ابن عباس رضي الله عنه يعني: تعالى وتعظم. قال ابن عباس: ويقال: تفاعل من البركة، وهذه لفظة مخصوصة، ولا يقال: يتبارك، كما يقال يتعالى. ولا يقال: متبارك، كما يقال متعالٍ. ويقال تبارك أي ذو بركة. والبركة هي كثرة الخير. ويقال: أصله من بروك الإبل. ويقال للواحد بارك، وللجماعة برك. وكان الإنسان إذا كان له إبل كثيرة وقد برك هو على الباب يقولون: فلان ذو بركة، ويقولون للذي كان له إبل تحمل إليه الأموال من بلاد بعيدة: فلان ذو بركة، فصار ذلك أصلاً، حتى أنه لو كان له مال سوى الإبل لا يقال فلان ذو بركة. قال الله تعالى: {تبارك} أي ذو البركة. ويقال: أصله من الدوام. ويقال: بارك في موضوع إذا دام فيه. ويقال: معناه البركة في اسمه وفي الذي ذكر عليه اسمه.

ثم قال: {الذى نَزَّلَ الفرقان} يعني: أنزل جبريل عليه السلام بالقرآن والفرقان هو المخرج من الشبهات {على عَبْدِهِ} يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم {لِيَكُونَ للعالمين نَذِيراً} يعني: ليكون الفرقان نذيراً للإنس والجن. ويقال: يعني: النبي صلى الله عليه وسلم ويقال يعني: الله تبارك وتعالى وأراد ها هنا جميع الخلق، وقد يذكر العام ويراد به الخاص من الناس، كقوله عزّ وجل: {يابنى إسراءيل اذكروا نِعْمَتِيَ التى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُم وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى العالمين} [البقرة: 47و122] أي: على عالمي زمانهم، ويذكر ويراد به جميع الخلائق، كقوله: {الحمد للَّهِ رَبِّ العالمين} [الفاتحة: 2] ثم قال عز وجل: {الذى لَهُ مُلْكُ *** السموات والارض} يعني: خزائن السموات

والأرض. ويقال: له نفاذ الأمر في السموات والأرض. {وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً} ليورثه ملكه {وَلَم يَكُنْ لَّهُ شَرِيكٌ فِى الملك} فينازعه في عظمته. {وَخَلَقَ كُلَّ شَىْ} كما ينبغي أن يخلقهم. {فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً} يعني: بين الصلاح في كل شيء، وجعله مقدراً معلوماً. ويقال: كل شي خلقه من الخلق فقدره تقديراً، أي: قدر لكل ذكر وأنثى.

قوله عز وجل: {واتخذوا مِن دُونِهِ ءالِهَةً} يعني: تركوا عبادة الله الذي خلق هذه الأشياء، وعبدوا غيره. {لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا} يعني: عبدوا شيئاً لا يقدر أن يخلق ذباباً، ولا غيره {وَهُمْ يُخْلَقُونَ} يتخذونها بأيديهم {وَلاَ يَمْلِكُونَ لاِنفُسِهِمْ ضَرّاً} أي: لا تقدر الآلهة أن تمتنع ممن أراد بها سوءاً {وَلاَ نَفْعاً} أي لا تقدر أن تسوق إلى نفسها خيراً. ويقال: لا يملكون دفع مضرة، ولا جر منفعة. {وَلاَ يَمْلِكُونَ مَوْتاً} يعني: لا يقدرون أن يميتوا أحداً {وَلاَ يَمْلِكُونَ} أي: ولا يحيون أحداً {وَلاَ نُشُوراً} يعني: بعث الأموات. ويقال: ولا يملكون موتاً، يعني: الموت الذي كان قبل أن يخلقوا، ولا حياة، يعني: أن يزيدوا في الأجل، ولا نشوراً بعد الموت. ويقال: {لاَّ يَمْلِكُونَ *** مَوْتاً وَلاَ حياة} يعني: أن يبقوا أحداً {وَلاَ نُشُوراً} يعني: أن يحيوه بعد الموت. وإنما ذكر الأصنام بلفظ العقلاء، لأن الكفار يجعلونهم بمنزلة العقلاء، فخاطبهم بلغتهم.

▲ تفسير الآيات رقم [4- 9]

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آَخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (4) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (5) قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (6) وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا (7) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (8) انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (9)}

ثم قال عز وجل: {وَقَالَ الذين كَفَرُواْ} يعني: كفار مكة {إِنْ هذا إِلاَّ إِفْكٌ} يعني: ما القرآن إلا كذب {افتراه} يعني: كذباً اختلقه من ذات نفسه {وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ ءاخَرُونَ} يعني: جبراً ويساراً {فَقَدْ جَاءوا ظُلْماً وَزُوراً} وقال بعضهم: هذا قول الله تعالى ردّاً على الكفار بقولهم هذا {فَقَدْ جَاءوا ظُلْماً وَزُوراً} يعني:

شركاً وكذباً {وَقَالُواْ أساطير الاولين اكتتبها} يعني: أباطيل اكتتبها، أي كتبها من جبر ويسار يعني: أساطير الأولين. {فَهِىَ تملى عَلَيْهِ} يعني: تقرأ وتملى عليه {بُكْرَةً وَأَصِيلاً} يعني: غدوة وعشية.

قوله عز وجل: {قُلْ} يا محمد {أَنزَلَهُ} يعني: القرآن {الذى يَعْلَمُ السر فِى * السموات والارض} يعني: يعلم السِّرَّ والعلانية، ومعناه: لو كان هذا القول من ذات نفسه لعلمه الله تعالى، وإذا علمه عاقبه، كما قال تعالى: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الاقاويل * لأَخَذْنَا مِنْهُ باليمين} [الحاقة: 44، 45] ثم قال {إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً} فكأنه يقول: ارجعوا وتوبوا، فإنه كان غفوراً لمن تاب، رحيماً بالمؤمنين.

قوله عز وجل: {وَقَالُواْ *** مَّالِ *** هذا ***** الرسول يَأْكُلُ الطعام} مثل ما نأكل {وَيَمْشِى فِى الاسواق} يعني: يتردد في الطريق {لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً} يعني: معيناً يخبره بما يراد به من الشر {أَوْ يلقى إِلَيْهِ كَنْزٌ} يعني: يعطى له كنز {أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ} يعني: بستاناً {يَأْكُلُ مِنْهَا} أي وذلك أن كفار قريش اجتمعوا في بيت، فبعثوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأتاهم، فقال له العاص بن وائل السهمي وقريش معه: قد تعلم يا محمد أن لا بلاد أضيق من بلادنا ساحة، ولا أقل أنهاراً ولا زرعاً، ولا أشدَّ عيشاً، فادع ربك أن يسير عنا هذه الجبال، حتى يفسح لنا في بلادنا، ثم يفجر لنا فيها أنهاراً، حتى نعرف فضلك عند ذلك. ونراك تمشي في الأسواق معنا تبتغي من سير العيش، فاسأل ربك أن يجعل لك قصوراً أو جناناً، وليبعث معك ملكاً يصدقك، فنزل حكاية عن قولهم: {أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا} قرأ حمزة والكسائي: نأكل بالنون، وقرأ الباقون بالتاء.

{وَقَالَ الظالمون إِن تَتَّبِعُونَ} يعني: ما تطيعون يا أصحاب محمد {إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا} يعني: مغلوب العقل. ويقال: مسحوراً أي مخلوقاً، لأن الذي يكون مخلوقاً يكون حياته بالمعالجة بالأكل والشرب، فيسمى مسحوراً. ويقال: مسحوراً أي سحر به.

قوله عز وجل: {انظر كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ الامثال} يعني: انظر يا محمد كيف وصفوا لك الأشباه إلى ماذا شبهك قومك بساحر وكاهن وكذاب {فَضَلُّواْ} عن الهدى، ويقال ذهبت حيلتهم، وأخطؤوا في المقالة. {فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً} يعني: لا يجدون حيلة، ولا حجة على ما قالوا لك، ولا مخرجاً لأنه تناقض كلامهم، حيث قالوا مرة: مجنون، ومرة: ساحر.

▲ تفسير الآيات رقم [10- 16]

{تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا (10) بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا (11) إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا (12) وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا (13) لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا (14) قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا (15) لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا (16)}

ثم قال عز وجل: {تبارك} وتعالى، وقد ذكرناه {الذى إِن شَاء جَعَلَ لَكَ خَيْراً مّن ذلك} يعني: خيراً مما يقول الكفار في الآخرة {جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار وَيَجْعَل لَّكَ قُصُوراً} في الجنة، ويقال في الدنيا إن شاء أعطاك. وروى سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت قال: عن خيثمة قال: قيل للنبيِّ صلى الله عليه وسلم إن شئت أن نعطيك خزائن الأرض ومفاتحها ما لم نعط من قبلك أحداً، ولا نعطي من بعدك أحداً، ولا ينقص ذلك مما عند الله شيئاً وإن شئت جمعناها لك في الآخرة. قال صلى الله عليه وسلم: «بَلْ اجْمَعُوها لِي في الآخِرَة» فنزل {تَبَارَكَ الذى إِن شَاء جَعَلَ لَكَ خَيْراً مّن ذلك} الآية قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر (وَيَجْعَلُ) بضم اللام على معنى خبر الابتداء والباقون بالجزم لأنه جواب الشرط ثم قال عز وجل {بَلْ كَذَّبُواْ بالساعة} معناه ولكن كذبوا بالساعة يعني: بالقيامة {وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بالساعة سَعِيراً} يعني: هيأنا لمن كذب بالقيامة وقوداً، وهُوَ نار جهنم {إِذَا رَأَتْهُمْ} جهنم {مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ} يعني: من مسيرة خمسمائة عام. ويقال: من مسيرة خمسمائة سنة {سَمِعُواْ لَهَا} يعني: منها {تَغَيُّظاً} على الكفار {وَزَفِيراً} يعني: صوتاً كصوت الحمار. وقال قوم: معناه يسمعون منها تغيظ المعذبين وزفيرهم، كما قال: {فَأَمَّا الذين شَقُواْ فَفِى النار لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ} [هود: 106] وقال عامة المفسرين: التغيظ زفير يسمع من النار، ألا ترى أنه قال: {سَمِعُواْ لَهَا}، ولم يقل: سمعوا منها، ولا فيها. وقال في آية أخرى: {تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ} [الملك: 8] وروي في الخبر «أن جهنم تزفر زفرة لا يبقى ملك مقرَّب

ولا نبيٌّ مرسل إلا خرَّ على وجهه ترعد فرائصهم حتى إن إبراهيم الخليل عليه السلام ليجثو على ركبتيه ويقول: يا رب لا أسألك إلا نفسي» ثم قال عز وجل: {وَإِذَا أُلْقُواْ مِنْهَا} يعني: فيها {مَكَاناً ضَيّقاً} يعني: يضيق عليهم المكان كتضييق الزُّجِّ من الرُّمح {مُقْرِنِينَ} أي: مسلسلين في القيود، موثقين في الحديد قرنوا مع الشياطين {دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُوراً} فعند ذلك دعوا بالويل، يعني: يقولون: واهلاكاه، فتقول لهم الخزنة {لاَّ تَدْعُواْ اليوم ثُبُوراً واحدا وادعوا ثُبُوراً كَثِيراً} يعني: ادعوا ويلاً كثيراً دائماً.
قال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: {قُلْ} يا محمد لكفار مكة {أذلك خَيْرٌ} يعني: هذا الذي وصف من العذاب خير {أَمْ جَنَّةُ الخلد} فإن قيل كيف يقال خير وليس في النار خير؟ قيل له: قد يقال على وجه المجاز، وإن لم يكن فيه خير، والعاقبة تقول العاقبة خير من البلاء، وإنما خاطبهم بما يتعارفون في كلامهم {التى وُعِدَ المتقون} يعني: الذين يتقون الشرك والكبائر.
{كَانَتْ لَهُمْ جَزَاء وَمَصِيراً} يعني: جزاء بأعمالهم الحسنة ومرجعاً إليها.
ثم قال عز وجل: {لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءونَ} أي: يحبون {خالدين} أي: دائمين في الجنة {كَانَ على رَبّكَ وَعْداً} منه في الدنيا {مَسْؤُولاً} يسأله المتقون. ويقال {مَسْؤُولاً} يسأل لهم الملائكة عليهم السلام، وهو قوله عز وجل: {رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جنات عَدْنٍ التى وَعَدْتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءابَآئِهِمْ وأزواجهم وذرياتهم إِنَّكَ أَنتَ العزيز الحكيم} [غافر: 8] ويقال: وعداً على لسان رسولهم، وقد سألوا الله عز وجل ذلك، وهو قوله: {رَبَّنَا وَءاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا على رُسُلِكَ} ويقال: وعداً لا خلف فيه لمن سأله.

▲ تفسير الآيات رقم [17- 19]

{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ (17) قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا (18) فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا (19)}
قوله عز وجل: {وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ} يعني: نجمعهم {وَمَا يَعْبُدُونَ} يعني: ونحشر ما يعبدون {مِن دُونِ الله} يعني: الأصنام. ويقال المسيح وعزير. ويقال: الملائكة عليهم السلام {فَيَقُولُ أَءنتُمْ أَضْلَلْتُمْ} يعني: أأنتم أمرتم {عِبَادِى

هَؤُلاَءِ} أن يعبدوكم {أَمْ هُمْ ضَلُّوا السبيل} يعني: أم هم أخطؤوا الطريق، فتبرأت الملائكة والأصنام.
قوله تعالى: {قَالُواْ سبحانك} أي: تنزيهاً لك {مَا كَانَ يَنبَغِى لَنَا} أي: ما يجوز لنا {أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاء} وقرأ الحسن وأبو جعفر المدني أن {نَّتَّخِذَ} بضم النون ونصب الخاء، ومعناه: ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك إلها فيعبد. وقراءة العامة بنصب النون وكسر الخاء، يعني: ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء فيعبدوننا. ويقال: معناه ما كان فينا روح نأمرهم بطاعتنا. ويقال: ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء فنعبدهم، فكيف نأمر غيرنا بعبادتنا، كقوله تعالى: {قَالُواْ سبحانك أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ الجن أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ} [سبأ: 41] قرأ ابن كثير وعاصم في رواية حفص: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ} بالياء. {فَيَقُولُ} بالياء وقرأ ابن عامر كليهما بالنون. وقرأ الباقون الأول بالنون والثاني بالياء.
ثم قال: {ولكن مَّتَّعْتَهُمْ وَءابَاءهُمْ} يعني: أن هذا كان بكرمك وفضلك، حيث لما عصوك لم تمنع عنهم الدنيا حتى اغتروا بذلك، وظنوا أنهم على الحق، حيث لم يصبهم بلاء ولم تمنع منهم النعمة، فذلك قوله تعالى: {ولكن مَّتَّعْتَهُمْ} يعني: تركتهم في الدنيا يتمتعون، وأجلتهم وآباءهم في المتاع والسعة. {حتى نَسُواْ الذكر} يعني: تركوا التوحيد والإيمان بالقرآن. {وَكَانُواْ قَوْماً بُوراً} أي هلكى فاسدين. وأصله الكساد يقال: بارت السوق إذا كسدت. وقال الكلبي: بوراً يعني: هالكين، فاسدة قلوبهم، غير متقين، ولا محسنين. يقول الله تعالى لعبدة الأوثان {فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ} يعني: الأصنام، ويقال الملائكة {فَمَا * يَسْتَطِيعُونَ ***** صَرْفاً وَلاَ نَصْراً} يعني: لا يستطيع الكفار انصرافاً إلى غير حجتهم التي تكلموا بها. ويقال: لا يستطيعون صرفاً، أي: انصرافاً عن حجتهم ولا نصراً، يعني: ولا ينتصرون من آلهتهم حين كذبتهم. ويقال: لا يقدرون، يعني: الأصنام، ولا الملائكة صرف العذاب عنهم {وَلاَ نَصْراً} يعني: لا يمنعونهم منه. ويقال: الصرف الحيلة. ويقال: لا يقبل منهم فدية أن يصرفوا عن أنفسهم بالفدية.
قرأ عاصم في رواية حفص {فَمَا تَسْتَطِيعُونَ} بالتاء على معنى المخاطبة، يعني: يقال لهم: لا تستطيعون صرف ذلك. وقرأ الباقون بالياء، ومعناه أن الله تعالى يقول للنبي صلى الله عليه وسلم: فما يستطيعون صرف ذلك عنهم.

ثم قال تعالى: {وَمَن يَظْلِم مّنكُمْ} يعني: يشرك بالله في الدنيا. ويقال: يكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن {نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً} في الآخرة، وهو عذاب النار.

▲ تفسير الآية رقم [20]

{وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا (20)}

قوله عز وجل: {وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ المرسلين} جواباً لقولهم: {مَا لهذا الرسول يَأْكُلُ الطعام} {إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطعام وَيَمْشُونَ فِى الاسواق} يعني: كانت الرسل من الآدميين، ولم يكونوا من الملائكة عليهم السلام. ثم قال: {وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ} يقول: ابتلينا بعضكم ببعض، الفقير بالغني، والضعيف بالقوي، وذلك أن الشريف إذا رأى الوضيع قد أسلم، أنف عن الإسلام. وقال: أأسلم، فأكون مثل هذا، فثبت على دينه حمية. يقول الله تعالى للشريف: {أَتَصْبِرُونَ} أن تكونوا شرعاً، سواء في الدين {وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً} أي عالماً بمن يؤمن، ومن لا يؤمن، ويقال: {جَعَلْنَا *** بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً} يعني بلية الغني للفقير، والقوي للضعيف، لأن ضعفاء المسلمين وفقراءهم، إذا رأوا الكفار في السعة والغنى، يتأذون منهم، وكان في ذلك بلية لهم، فقال تعالى: {أَتَصْبِرُونَ} اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به الأمر، يعني: اصبروا كقوله: {أَفَلاَ يَتُوبُونَ إلى الله وَيَسْتَغْفِرُونَهُ والله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [المائدة: 74] يعني: توبوا إلى الله. ويقال: أهل النعم بلية لأهل الشدة، لأن أهل الشدة إذا رأوا أهل النعمة تنغص عيشهم، فأمرهم الله تعالى بالصبر.

وذكر عن بعض المتقدمين أنه كان إذا رأى غنياً من الأغنياء. يقول: نصبر يا رب نصبر يا رب، أراد جواباً لقوله تعالى: {أَتَصْبِرُونَ} {وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً} يعني: عالماً بمن يصلح له الغنى والفقر ويقال: {وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً} يعني: عالماً بثواب الصابرين.

تفسير الآيات رقم [21- 26]

{وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا (21) يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا (22) وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا (23) أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ

مَقِيلًا (24) وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا (25) الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا (26)}
قوله عز وجل: {وَقَالَ الذين لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا} يعني: لا يخافون البعث بعد الموت. ويقال: لا يرجون الجنة والمغفرة، وهم كفار أهل مكة {لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْنَا الملئكة} يعني: هلا أنزل علينا الملائكة، فيخبروننا بأنك رسول الله إلينا {أَوْ نرى رَبَّنَا} فيخبرنا بأنك مرسل. قال الله تعالى: {لَقَدِ استكبروا فِى أَنفُسِهِمْ} يعني: تعظموا في أنفسهم، وأعرضوا عن الإيمان. ويقال: لقد استكبروا في أنفسهم، يعني: وضعوا لأنفسهم قدراً ومنزلة، حيث أرادوا لأنفسهم الرسل من الملائكة عليهم السلام ورؤية الرب عز وجل: {وَعَتَوْا عُتُوّاً كَبِيراً} يعني: أبوا إباءً كثيراً.
ويقال اجترؤوا على الله اجتراء كثيراً.
وقال أهل اللغة: العاتي الذي لا ينفعه الوعظ والنصيحة، ثم أخبر متى يرون الملائكة فقال عز وجل: {يَوْمَ يَرَوْنَ الملئكة} يعني: يوم القيامة {لاَ بشرى يَوْمَئِذٍ لّلْمُجْرِمِينَ} يعني: للمشركين، وتكون البشارة للمؤمنين. ثم قال: {وَيَقُولُونَ حِجْراً مَّحْجُوراً} يعني: تقول لهم الملائكة: حراماً محرماً، أي تكون لهم البشرى يومئذ بما يبشر به المتقون، وإنما قيل للحرام حجر، لأنه حجر عليه.
وقال مجاهد: تقول الملائكة حراماً محرماً أن يدخلوا الجنة. وقال الحسن وقتادة، وهي كلمة كانت العرب تقولها. كان الرجل إذا نزلت به الشدة قال: حجراً محجوراً، أي: حراماً محرماً. ويقال: إن قريشاً كانوا إذا استقبلهم أحد كانوا يقولون له: حاجورا حاجورا، حتى يعرف أنهم من الحرم، فلا يضرونهم، وأخبر أنهم كانوا يقولون ذلك، ولا ينفعهم.
ويقال: إن المشركين في الشهر الحرام إذا استقبلهم أحد يقولون: حجراً محجوراً، ويريدون أن يذكروه أنه في الشهر الحرام، وذلك القول لا ينفعهم يوم القيامة.
وقرأ الحسن حجراً بضم الحاء، وقراءة العامة بكسر الحاء {وَقَدِمْنَا إلى مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ} قال الكلبي: يعني عمدنا إلى ما عملوا من عمل لغير الله تعالى. ويقال: قصدنا إلى ما عملوا من عمل، ومعناه نظرنا في أعمالهم، ولم نجد فيها خيراً، فأبطلناها، ولم نجعل لها ثواباً، فذلك قوله تعالى: {فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُوراً} قال الضحاك: هو الغبار ما لا يستطاع جمعه، ولا أخذه بيد.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الهباء المنثور الذي تراه في شعاع الشمس في الكوة، وهذا قول عكرمة والكلبي. وقال قتادة: هو ما ذرت الريح من حطام الشجر. ويقال: الغبار الذي يسطع من حوافر الدواب. ثم قال عز وجل: {أصحاب الجنة يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرّاً} يعني: أفضل منزلاً {وَأَحْسَنُ مَقِيلاً} يعني: مرجعاً ومجلساً.

وروي عن الأعمش عن إبراهيم في قوله: خير مستقراً، وأحسن مقيلاً يعني، قال: كانوا يرون أنه يفرغ من حساب الناس إلى مقدار نصف النهار فيقيل هؤلاء في الجنة، وهؤلاء في النار.

وروي عن ابن مسعود وابن عباس أنهما قالا: لا ينتصف النهار من ذلك اليوم، حتى يقيل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، عنيا بذلك يوم القيامة، ولأن مقدار ذلك اليوم خمسون ألف سنة، وإنما أراد بتلك القيلولة القرار لا النوم، لأنه لا يكون في الجنة نوم، ولا في النار نوم قوله عز وجل: {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السماء}.

قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تشقَّق بتشديد الشين، لأن أصله يتشقق، فأدغم إحدى التاءين في الشين.

وقرأ الباقون بالتخفيف، وهذا مثل الاختلاق في قوله تسألون فقال: {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السماء بالغمام} يعني: الغمام والغمام هو شيء مثل السحاب الأبيض فوق سبع سموات. كما روي في الخبر أن دعوة المظلوم ترفع فوق الغمام، يعني: تشقق السماء، وتظهر بالغمام {وَنُزِّلَ الملائكة تَنزِيلاً}.

قرأ ابن كثير وننزل الملائكة بنونين ونصب الهاء، ومعناه: أن الله تعالى يقول: {نُنَزِّلُ الملائكة} وقرأ الباقون ونزل على ما فعل ما لم يسم فاعله، معناه: أن الله تعالى ينزل ملائكة السموات.

وروي في الخبر أنه تشقق سماء الدنيا فينزل ملائكة سماء الدنيا، بمثْلَيْ من في الأرض من الجن والإنس. ويقول لهم: الخلائق أفيكم ربنا؟ يعني: هل جاء أمر ربنا بالحساب؟ فيقول: لا، وسوف يأتي، ثم تنزل ملائكة السماء الثانية بمثلي من في الأرض من الملائكة، والإنس والجن، ثم تنزل ملائكة كل سماء على هذا التضعيف حتى تنزل ملائكة سبع سموات، فيظهر بالغمام، وهو كالسحاب الأبيض فوق سبع سموات، ثم ينزل بالأمر بالحساب، فذلك قوله: {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السماء بالغمام وَنُزِّلَ الملائكة تَنزِيلاً} ويقال: الغمام الذي قال في سورة البقرة: {فِي ظُلَلٍ مّنَ الغمام والملائكة} ثم قال عز وجل: {الملك

يَوْمَئِذٍ الحق للرحمن} وفي الآية تقديم، ومعناه: الملك يومئذ الحق للرحمن الحق صفة الملك، والمعنى: الملك الذي هو الملك حقاً ملك الرحمن، لأنه لا يدعي الملك يومئذ أحد. ويقال: الحق يومئذ الملك الخالص. ويقال: يعني: الملك الصدق.

ثم قال تعالى: {وَكَانَ يَوْماً عَلَى الكافرين عَسِيراً} يعني: شديداً. وفي الآية دليل أن ذلك اليوم يكون على المؤمنين يسيراً، وهذا كما قال في آية أخرى: {عَلَى الكافرين غَيْرُ يَسِيرٍ} [المدثر: 10].

تفسير الآيات رقم [27- 31]

{وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27) يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (28) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (29) وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآَنَ مَهْجُورًا (30) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (31)}

قوله عز وجل: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظالم على يَدَيْهِ} يعني: عقبة بن أبي معيط، وذلك أن عقبة كان لا يقدم من سفر إلا صنع طعاماً، وكان يدعو إلى الطعام من أهل مكة من أحب وأراد، وكان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم، ويعجبه حديثه، فقدم ذات يوم من سفره، وصنع طعاماً، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى طعامه، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما قدم الطعام إليه، فأبى أن يأكل، وقال: ما أنا بالذي آكل من طعامك، حتى تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وكان عندهم من العار أن يخرج أحدهم، قبل أن يأكل من الطعام شيئاً، فألح عليه أن يأكل، فلم يأكل، فشهد بذلك عقبة، فأكل النبي صلى الله عليه وسلم من طعامه، وكان أبيٌّ بن خلف الجمحي غائباً، وكان خليله، فلما قدم أخبر ذلك، فأتاه فقال: صبوت يا عقبة. فقال: لا والله ما صبوت، ولكن دخل علي رجل، فأبى أن يأكل من طعامي، إلا أن أشهد له، فاستحييت أن يخرج من بيتي قبل أن يطعم، فشهدت فطعم. فقال له: ما أنا بالذي أرضى عنك أبداً حتى تأتيه، فتبزق في وجهه، وتشتمه وتكذبه، ففعل ذلك. فنزلت هذه الآية: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظالم} يعني: عقبة على يديه يعني: على أنامله.

وروي عن أنس بن مالك أنه قال: يعض عقبة بن أبي معيط على يديه يوم القيامة، يأكل لحم يديه حتى يبلغ العضد من الندامة، وهو {يَقُولُ ياليتنى * لَيْتَنِى **اتخذت مَعَ الرسول سَبِيلاً} يعني: اتخذت طريق الهدى، وكنت معه على الإسلام قوله عز وجل: {سَبِيلاً ياويلتا لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَناً خَلِيلاً} يعني: أبيَّ بن خلف.

وقال إنما قال فلاناً، ولم يذكر اسمه لحقارته {لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ الذكر} أي عن الإيمان {بَعْدَ إِذْ جَاءنِى} أي حين جاءني ويقال: إنه لم يذكر اسمه، لأنه دخل في جميع الظالمين، لأن مَنْ صَنَع مِثْلَ هَذَا الصَّنِيع يكون جزاؤه هذا، وقتل عقبة يوم بدر صبراً، وقتل أبيُّ بن خلف يوم أحد ويقال {لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَناً خَلِيلاً}، يعني: الشيطان بدليل قوله عز وجل: {وَكَانَ الشيطان للإنسان خَذُولاً} يعني: يتبرأ منه يوم القيامة، ونزل فيه: {الاخلاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ المتقين} [الزخرف: 67] ثم قال عز وجل: {وَقَالَ الرسول يارب * رَبّ إِنَّ قَوْمِى ***اتخذوا هذا القرءان مَهْجُوراً} يعني: متروكاً لا يؤمنون به، ولا يعملون بما فيه. وقال القتبي: يعني: جعلوه كالهذيان. ويقال: فلان يهجر في منامه، أي يهذي. وقال مجاهد: يهجرون منه بالقول، يعني: يقولون فيه بالقبيح، فبين الشكاية من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرب عز وجل، ثم إن الله عز وجل عزاه، وأخبره أن الرسل من قبله كانوا يتأذون بقومهم، فذلك قوله عز وجل: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلّ نَبِىّ عَدُوّاً مّنَ المجرمين} يعني: من المشركين، فيهجرون الكتاب.

ثم قال: {وكفى بِرَبّكَ هَادِياً وَنَصِيراً} يعني: هادياً إلى دينه من كان أهلاً لذلك. ويقال: وكفى بربك حافظاً على الدين ونصيراً، أي مانعاً. ويقال: وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً، يعني: فرعوناً كما جعلنا أبا جهل فرعونك، ويقال: سلطنا على كل نبي متكبراً ليتكبر عليه، ويكذبه ويؤذيه.

وروي في الخبر لو أن مؤمناً ارتقى على ذروة جبل، فقيض الله تعالى إليه منافقاً يؤذيه، فيؤجر عليه {وكفى بِرَبّكَ هَادِياً} يعني: اكتف بربك واصبر على أذاهم، صار هادياً ونصيراً، نصباً على الحال، أي: وكفى بربك في حال الهداية، والنصرة نصيراً ويقال: الباء زائدة للصلة. ومعناه: كفى بربك هادياً إلى دينه ونصيراً.

▲ تفسير الآيات رقم [32- 34]

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآَنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (32) وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (33) الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا (34)}

قوله {وَقَالَ الذين كَفَرُواْ لَوْلاَ} يعني: هلا {نُزّلَ عَلَيْهِ القرءان جُمْلَةً واحدة} كما أنزلت التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى عليهما السلام ويقول الله تعالى: {كذلك} يعني: هكذا أنزلناه متفرقاً {لِنُثَبّتَ بِهِ فُؤَادَكَ} يعني: ليحفظ ويقوى به قلبك، ونفرحك دخل قلبه الغم نزلت عليه آية وآيتان، فيفرح بها. ويقال: لنثبت به فؤادك يعني: ليكون قبوله على المسلمين أسهل، لأنه لو أنزلت الأحكام والشرائع كلها جملة واحدة، شق على المسلمين قبولها، كما شق على بني إسرائيل. ويقال: أنزلناه هكذا لنرسخ القرآن في قلبك، لكي تحفظ الآية والآيتين. ويقال: كذلك أنزلناه لتحكم عند كل حادثة، وعند كل واقعة لتقوي به قلبك في ذلك {وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً} يعني: بيناه تبييناً.

ويقال: شيء رتل ورتيل إذا كان مبيناً. وقال مجاهد: ورتلناه ترتيلاً، أي: بعضه على أثر بعض.

وروى عكرمة عن ابن عباس قال: أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا، ثم أنزل بعد ذلك جبريل عليه السلام به في عشرين سنة، وهو قوله تعالى: {كَذَلِكَ لِنُثَبّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً} {وَقُرْءانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى الناس على مُكْثٍ ونزلناه تَنْزِيلاً} [الإسراء: 106] {وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جئناك بالحق} يعني: لا يخاصمونك بمثل مثل قوله: {وَقَالَ الذين كَفَرُواْ لَوْلاَ نُزّلَ عَلَيْهِ القرءان جُمْلَةً واحدة كَذَلِكَ لِنُثَبّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً} [الفرقان: 32] ثم قال: {إِلاَّ جئناك بالحق} يعني: أنزلنا عليك جبريل بالقرآن، فتخاصمهم به {وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً} يعني: وأحسن بياناً لترد به خصومهم. ويقال: معناه ولا يأتونك بحجة، إلا بينا لك في القرآن ما فيه نقص لحجتهم، وأحسن تفسيراً، أي جواباً لهم ويقال: ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بما هو أحسن من مثلهم. ويقال: كل نبي، إذا قال له قومه قولاً، كان هو الذي يرد عليهم وأما النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قالوا له شيئاً، فالله تعالى هو الذي يرد عليهم، ثم أخبرهم بمستقرهم في الآخرة فقال عز وجل: {الذين يُحْشَرُونَ على وُجُوهِهِمْ} يعني: يسحبون على وجوههم {إلى جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً} يعني: منزلاً في النار وضيقاً في الدنيا {وَأَضَلُّ سَبِيلاً} يعني: أخطأ طريقاً، وذلك

أن كفار مكة قالوا: ما كان محمد وأصحابه أولى بهذا الأمر منا، والله إنهم لشر خلق الله، فأنزل الله عز وجل: {الذين يُحْشَرُونَ على وُجُوهِهِمْ}.
وروي في الخبر أن الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أصناف فصنف على النجائب، وصنف على أرجلهم، وصنف على وجوههم، فقيل: يا رسول الله كيف يحشرون على وجوههم؟ فقال: إن الذي أمشاهم على أقدامهم، فهو قادر على أن يمشيهم على وجوههم، فذلك قوله: {أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً}.

▲ تفسير الآيات رقم [35- 39]

{وَلَقَدْ آَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا (35) فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا (36) وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آَيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (37) وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا (38) وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا (39)}

قوله عز وجل: {وَلَقَدْ ءاتَيْنَا موسى الكتاب} يعني: أعطينا موسى التوراة {وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هارون وَزِيراً} أي معيناً {فَقُلْنَا اذهبا إِلَى القوم} يعني: به موسى، كقوله عز وجل في سورة طه: {اذهب أَنتَ وَأَخُوكَ بأاياتى وَلاَ تَنِيَا فِى ذِكْرِى} [طه: 42] خاطب موسى خاصة إلى القوم {الذين كَذَّبُواْ بئاياتنا} يعني: فرعون وقومه كذبوا بآياتنا، أي بتوحيدنا وديننا. وقال الكلبي: يعني كذبوا بآياتنا التسع. وقال بعضهم: هذا التفسير خطأ، لأن الآيات التسع أعطاها الله تعالى موسى بعد ذهابه إليه، وقد قيل: معناه اذهبا إلى القوم، وهذا الخطاب لموسى عليه السلام. ثم قال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: {الذين كَذَّبُواْ بئاياتنا} يعني: بالعلامات التي خلق الله تعالى في الدنيا. ويقال: بآياتنا، يعني: بالرسل، وبكتب الأنبياء عليهم السلام الذين قبل موسى، ثم قال: {فدمرناهم تَدْمِيراً} يعني: كذبوهما فأهلكناهم إهلاكاً. ويقال: في الآية تقديم قوله تعالى: {وَلَقَدْ ءاتَيْنَا موسى الكتاب} يعني: كتاباً قبل التوراة.
قوله عز وجل {وَقَوْمَ نُوحٍ} يعني: واذكر قوم نوح عليه السلام {لَّمَّا كَذَّبُواْ الرسل} يعني: نوحاً وحده كما قال: {ياأيها الرسل كُلُواْ مِنَ الطيبات واعملوا صالحا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [المؤمنون: 51] ولم يكن إلا واحد وقت هذا الخطاب، فيجوز أن يذكر الجماعة، ويراد به الواحد كما يذكر الواحد، ويراد به الجماعة كقوله: {والعصر} [العصر: 1] وإنما أراد به الناس، ألا ترى أنه استثنى منه جماعة. ويقال: إن نوحاً كان يدعو قومه إلى الإيمان به، وبالأنبياء

الذين بعده، فلما كذبوه فقد كذبوا جميع الرسل، فلهذا قال: {لَّمَّا كَذَّبُواْ الرسل} {وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ} يعني: عبرة لمن بعدهم {وَأَعْتَدْنَا للظالمين عَذَاباً أَلِيماً} أي: وجيعاً، ثم قال عز وجل: {وَعَاداً وَثَمُودَ *** وأصحاب الرس} يعني: واذكر عاداً وثمود وأصحاب الرس، وهم قوم قد نزلوا عند بئر، كانت تسمى: الرس، فكذبوا رسلهم، فأهلكهم الله تعالى، ويقال: إنما سُمُّوا أصحاب الرس، لأنهم قتلوا نبيهم ورسولهم في بئر لهم، وقال مقاتل: يعني: البئر التي كان فيها أصحاب ياسين بأنطاكية التي بالشام {وَقُرُوناً بَيْنَ ذلك كَثِيراً} يعني: أهلكنا أمماً بين قوم نوح وعاد، وبين عاد وثمود إلى أصحاب الرس كثيراً {وَكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ الامثال} يعني: بينا لهم العذاب أنه نازل بهم في الدنيا {وَكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيراً} أي: دمرناهم بالعذاب تدميراً، يقال: تبره إذا أهلكه.

▲ تفسير الآيات رقم [40- 46]

{وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا (40) وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا (41) إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آَلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا (42) أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (43) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (44) أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا (45) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا (46)}

ثم قال عز وجل: {وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى القرية} يعني: أهل مكة مروا على القرية {التى أُمْطِرَتْ مَطَرَ السوء} يعني: قريات لوط أمطرنا عليهم الحجارة قوله: {أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا} يعني: أفلم يبصرونها، فيعتبروا بها {بَلْ كَانُواْ لاَ يَرْجُونَ نُشُوراً} يعني: بل كانوا لا يخافون البعث. ويقال: لا يرجون ثواب الآخرة، وإنما جاز أن يعبر به عنهما، لأن في الرجاء طرفاً من الخوف، لأن كل من يرجو شيئاً، فإنه يخاف، وربما يدرك، وربما لا يدرك، قوله عز وجل: {وَإِذَا رَأَوْكَ} يعني: أهل مكة {إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً} يعني: ما يقولون لك إلا سخرية فيما بينهم ويقولون: {أَهذا الذى بَعَثَ الله رَسُولاً} يعني: إلينا، وهو قول أبي جهل، حين قال لأبي سفيان بن حرب: أهذا نبي بني عبد مناف {إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا} يعني: أراد أن يصرفنا {عَنْ ءالِهَتِنَا} يعني: عن عبادة آلهتنا {لَوْلاَ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا} يعني: ثبتنا على عبادتها لأدخلنا في دينه حكى

قولهم ثم بين مصيرهم فقال: {وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ العذاب} يعني: يوم القيامة {مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً} يعني: أخطأ طريقاً يعني: تبين لهم أن الذي قلت لهم كان حقاً، قوله عز وجل: {أَرَءيْتَ مَنِ اتخذ إلهه هَوَاهُ} يعني: اتخذ هوى نفسه إلهاً، يعني: يعمل بكل ما يدعوه إليه هواه. ويقال: إنهم كانوا يعبدون حجراً، فإذا رأوا حجراً أحسن منه تركوا الأول، وعبدوا الثاني {أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً} يعني: أتريد أن تكون بيدك المشيئة في الهدى والضلالة، ويقال: معناه أفأنت تكون عليه وكيلاً، يعني: أتريد أن تكون رباً لهم، فتجزيهم بأعمالهم، يعني: لست كذلك، فأنذرهم، فإنما أنت منذر ثم قال عز وجل: {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ} يعني: أتظن أنهم يريدون الهدى أو {يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ} الهدى {إِنْ هُمْ} يعني: ما هم {إِلاَّ كالانعام} في الأكل والشرب، ولا يتفكرون في أمر الآخرة، {بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً} يعني: أخطأ طريقاً من البهائم، لأن البهائم ليسوا بمأمورين، ولا بمنهيين.

وقال مقاتل: البهائم تعرف ربها، وتذكره وكفار مكة لا يعرفون ربهم، فيوحدونه.

قوله عز وجل: {أَلَمْ تَرَ إلى رَبّكَ كَيْفَ مَدَّ الظل} قال بعضهم: فيه تقديم، ومعناه: ألم تر إلى الظل كيف مده ربك. وقال بعضهم: فيه مضمر. ومعناه: ألم تر إلى صنع ربك كيف مد الظل؟ يعني: بسط الظل بعد انفجار الصبح إلى طلوع الشمس {وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِناً} يعني: دائماً كما هو لا شمس معه، كما يكون في الجنة ظل ممدود، ويقال: تلك الساعة تشبه ساعات الجنة إلا أن الجنة أنور {ثُمَّ جَعَلْنَا الشمس عَلَيْهِ دَلِيلاً} حيث ما تكون الشمس يظهر الظل.

وقال القتبي: إنما يكون دليلاً، لأنه لو لم تكن الشمس لم يعرف الظل، لأن الأشياء تعرف بأضدادها {ثُمَّ قبضناه إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً} يعني: الظل بعد غروب الشمس، وذلك أن الشمس إذا غابت عاد الظل، وذلك وقت قبضه، لأن ظل الشمس بعد غروب الشمس لا يذهب كله جملة، وإنما يقبض الله ذلك الظلّ قبضاً خفياً شيئاً فشيئاً، دلَّ الله تعالى بهذا الوصف على قدرته، ولطفه في معاقبته بين الظل والشمس لمنافع الناس، ولمصالح عباده، وبلاده. ويقال: ثم قبضناه، أي: قبضناه سهلاً. ويقال: يسيراً عند طلوع الشمس، ثم قبضناه يسيراً. يعني: هيناً سهلاً. ويقال: يسيراً يعني: خفياً، فلا يدري أحد أين يصير، وكيف يصير؟ ويقال: ثم قبضناه، يعني. ورفعناه رفعاً خفيفاً.

ويقال قوله: {ثُمَّ جَعَلْنَا الشمس عَلَيْهِ دَلِيلاً} أي: على الأوقات في النهار ليعرف زوال الشمس وأوقات الصلاة.

▲ تفسير الآيات رقم [47- 52]

{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا (47) وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (48) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا (49) وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (50) وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا (51) فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (52)}
قوله عز وجل: {وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اليل لِبَاساً} يعني: سكناً لتسكنوا فيه. ويقال: لباساً ستراً يستر جميع الأشياء {والنوم سُبَاتاً} يعني: راحة للخلق ليستريحوا فيه بالنوم {وَجَعَلَ النهار نُشُوراً} أي: للنشور ينتشرون فيه لابتغاء الرزق. ثم قال عز وجل: {وَهُوَ الذى أَرْسَلَ الرياح *** بَشَرًا} يعني: تنشر السحاب، والاختلاف في القراءات كما ذكرنا في سورة الأعراف {بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ} يعني: قدام المطر {وَأَنزَلْنَا مِنَ السماء مَاء طَهُوراً} يعني: مطهراً يطهر به الأشياء، ولا يطهر بشيء {لّنُحْيِىَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً} يعني: أرضاً لا نبات فيها، فينبت بالمطر {وَنُسْقِيَهِ} يعني: نسقي بالمطر {مِمَّا خَلَقْنَا أنعاما وَأَنَاسِىَّ كَثِيراً} وهو جماعة الإنس يعني: نسقي به الناس والدواب لفظ البلدة مؤنث، إلا أن معنى البلدة والبلد واحد، فانصرف إلى المعنى، ولو قال: ميتة، لجاز إلا أنه لم يقرأ.
ثم قال عز وجل: {وَلَقَدْ صرفناه بَيْنَهُمْ} يعني: قسمناه بين الخلق. ويقال: نصرفه من بلد إلى بلد مرة بهذا البلد، ومرة ببلد آخر.
كما روي عن ابن مسعود أنه قال: ما من عام بأمطر من عام، ولكن الله تعالى يصرفه في الأرض ثم قرأ هذه الآية.
كما روي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «مَا مِنْ سَنَةٍ بِأَمْطَرَ مِنْ أُخْرَى، ولكن إِذَا عَمِلَ قَوْمٌ بِالمَعَاصِي حَوَّلَ الله ذلك إِلَى غَيْرِهِمْ فَإِذَا عَصَوْا جَمِيعاً، صَرَفَ الله ذلك إِلَى الفَيَافِي وَالبِحَارِ». وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما من عام بأكثر من عام، ولكنه يصرفه حيث يشاء، فذلك

قوله تعالى: {وَلَقَدْ صرفناه بَيْنَهُمْ} {لِّيَذْكُرُواْ} يعني: ليتعظوا في صنعه، فيعتبروا في توحيد الله تعالى، فيوحدوه.
وقرأ حمزة والكسائي {لِّيَذْكُرُواْ} بالتخفيف، وضم الكاف. وقرأ الباقون بالتشديد والنصب. ثم قال: {فأبى أَكْثَرُ الناس إِلاَّ كُفُورًا} يعني: كفراناً في النعمة، وهو قولهم: مطرنا بنوء كذا، ويقال: إلا جحوداً وثباتاً على الكفر قوله عز وجل: {وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلّ قَرْيَةٍ نَّذِيراً} قال مقاتل: ولو شئنا لبعثنا في زمانك في كل قرية رسولاً، ولكن بعثناك إلى القرى كلها رسولاً اختصصناك بها {فَلاَ تُطِعِ الكافرين} وذلك حين دعوه إلى ملة آبائه {وجاهدهم بِهِ} أي بالقرآن {جِهَاداً كَبيراً} يعني: شديداً.

▲ تفسير الآيات رقم [53- 57]

{وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا (53) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (54) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا (55) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (56) قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (57)}

قوله عز وجل: {وَهُوَ الذى مَرَجَ البحرين} يعني: أرسل. ويقال: حلى البحرين. ويقال: فلق البحرين. ويقال: خلق البحرين العذب والمالح {هذا عَذْبٌ فُرَاتٌ} يعني: حلواً {وهذا مِلْحٌ أُجَاجٌ} يعني: مرّ مالح {وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً} أي حاجزاً {وَحِجْراً مَّحْجُوراً} أي حرم على العذب أن يملح، وحرم على المالح أن يعذب، وحرم على كل واحد منهما أن يختلط بصاحبه، وأن يغير كل واحد منهما طعم صاحبه. قوله عز وجل: {وَهُوَ الذى خَلَقَ مِنَ الماء بَشَراً} أي من النطفة إنساناً {فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً} فالنسب ما لا يحل لك نكاحُه من القرابة، والصهر ما يحل لك نكاحه من القرابة، وغير القرابة وهذا قول الكلبي.
وقال الضحاك: النسب القرابة، والصهر الرضاع، ويحرم من الصهر ما يحرم من النسب. ويقال: النسب الذي يحرم بالقرابة، والصهر الذي يحرم بالنسب، وهو ما ذكر في قوله تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم

وعماتكم وخالاتكم وَبَنَاتُ الاخ وَبَنَاتُ الاخت وأمهاتكم الْلاَّتِى أَرْضَعْنَكُمْ وأخواتكم مِّنَ الرضاعة وأمهات نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاتى فِى حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاتى دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وحلائل أَبْنَآئِكُمُ الذين مِنْ أصلابكم وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الاختين إَلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ الله كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً} [النساء: 23] فهذه السبع تحرم بالقرابة والسبع التي تحرم بالنسب، فهو ما ذكر بعده وهو قوله تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وَبَنَاتُ الاخ وَبَنَاتُ الاخت وأمهاتكم الْلاَّتِى أَرْضَعْنَكُمْ وأخواتكم مِّنَ الرضاعة وأمهات نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاتى فِى حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاتى دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وحلائل أَبْنَآئِكُمُ الذين مِنْ أصلابكم وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الاختين إَلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ الله كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً} [النساء: 23] إلى آخر الآية. وامرأة الأب ثم قال تعالى: {وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً} فيما أحل النكاح، وفيما حرم يقال: قديراً على ما أراد. قوله عز وجل: {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله} يعني: الأصنام {مَا لاَ يَنفَعُهُمْ} إن عبدوهم {وَلاَ يَضُرُّهُمْ} إن لم يعبدوهم {وَكَانَ الكافر على رَبّهِ ظَهِيراً} أي: عوناً للشياطين على ربه. قال بعضهم: نزلت في شأن أبي جهل بن هشام. ويقال: في شأن جميع الكفار.

ثم قال: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشّرًا وَنَذِيرًا} يعني: ما أرسلناك يا محمد إلا مبشراً بالجنة، لمن أطاع الله، ونذيراً بالنار لمن عصاه، {قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ} يعني: قل لكفار مكة: ما أسألكم، يعني: على القرآن والإيمان {مِنْ أَجْرٍ} يعني: من جُعل {إِلاَّ مَن شَاء أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبّهِ سَبِيلاً} يعني: إلا من شاء أن يوحده، ويتخذ إلى ربه بذلك التوحيد سبيلاً، يعني: مرجعاً. ويقال: يعمل، فيتخذ عند ربه مرجعاً صالحاً، فيدخل به الجنة. يعني: لا أريد الأجر، ولكن أريد لكم هذا الذي ذكر، وقصدي هذا لا أَنْ آخُذ منكم شيئاً.

تفسير الآيات رقم [58- 60]

{وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا (58) الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا (59) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا (60)}

قوله عز وجل: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الحى الذى لاَ يَمُوتُ} وذلك حين دعي إلى ملة آبائه، فأمره الله تعالى بأن يتوكل على ربه قال الكريم: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ} قال مقاتل: واذكر بأمره وقال الكلبي: صلِّ بأمره {وكفى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً} يعني: عالماً معناه، وكفى بالله عالماً بذنوب عباده وبمجازاتهم، فلا أحد أعلم بذنوب عباده ومجازاتهم منه.
ثم قال عز وجل: {الذى خَلَقَ * السموات والارض *** وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ استوى عَلَى العرش} وقد ذكرناه وتمّ الكلام ثم قال: {الرحمن} يعني: استوى الرحمن على العرش. قال: ويجوز أن يكون على معنى الابتداء ثم قال: {فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً} يعني: فاسأل عنه عالماً. ويقال: معناه ما أخبرتك به من شيء، فهو كما أخبرتك، فاسأل بذلك عالماً حتى يبين لك ذلك كقوله: {فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الذين يَقْرَءُونَ الكتاب مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ الحق مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الممترين} [يونس: 94] الآية. خاطب به النبي صلى الله عليه وسلم، وأراد به أمته. قوله عز وجل: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسجدوا للرحمن} يعني: صلوا للرحمن. ويقال: اخضعوا له ووحدوه {قَالُواْ وَمَا الرحمن} يعني: ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة الكذاب قالوا: {أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا} لذلك الكذاب. قرأ حمزة والكسائي بالياء على معنى المغايبة وقرأ الباقون على المخاطبة {وَزَادَهُمْ نُفُوراً} يعني: زادهم ذكر الرحمن تباعداً عن الإيمان، فمن قرأ بالياء، فمعناه لما يأمرنا الرحمن بالسجود. ويقال: لما يأمرنا محمد، يعني: لا نسجد لما يأمرنا كقوله: {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِى اليتامى فانكحوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النسآء مثنى وثلاث وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فواحدة أَوْ مَا مَلَكَتْ أيمانكم ذلك أدنى أَلاَّ تَعُولُواْ} [النساء: 3] يعني: من طاب لكم، ومن قرأ بالتاء، أراد به النبي صلى الله عليه وسلم. قال أبو عبيد: هذا هو الوجه، لأن المشركين خاطبوه بذلك، وكانوا غير مقرين بالرحمن.

تفسير الآيات رقم [61- 67]

{تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا (61) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (62) وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (64) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا

اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (65) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (66) وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (67)}

قوله عز وجل: {تبارك} وقد ذكرناه {الذى جَعَلَ فِى السماء بُرُوجاً} يعني: خلق في السماء بروجاً، يعني: نجوماً وكواكب. ويقال: قصوراً. وذكر أنه جعل في القصور حراساً، كما قال في آية أخرى: {وَأَنَّا لَمَسْنَا السمآء فوجدناها مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً} [الجن: 8] الآية.

ويقال: البروج الكواكب العظام، وكل ظاهر مرتفع، فهو برج، وإنما قيل لها بروج لظهورها وارتفاعها، ثم قال تعالى: {وَجَعَلَ} يعني: خلق فيها {سِرَاجاً} يعني: شمساً {وَقَمَراً مُّنِيراً} يعني: منوراً مضيئاً. قرأ حمزة والكسائي {***سُرُجاً} بلفظ الجمع، يعني: الكواكب. وقرأ الباقون {الشمس سِرَاجاً}، وبه قال أبو عبيدة: بهذا نقرأ. كقوله: {وَجَعَلَ الشمس سِرَاجاً} ولأنه قد ذكر الكواكب بقوله: {بُرُوجاً} ثم قال عز وجل: {وَهُوَ الذى جَعَلَ اليل والنهار} أي: خلق الليل والنهار {خِلْفَةً لّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ} أي خلفة يخلف كل واحد منهما صاحبه يذهب الليل، ويجيء النهار، ويذهب النهار، ويجيء الليل، ويقال: خلفة يعني: مخالفاً بعضه لبعض، أحدهما أبيض، والآخر أسود، فهما مختلفان كقوله عز وجل: {إِنَّ فِى اختلاف اليل والنهار} الآية.

وعن الحسن أنه قال: النهار خلف من الليل، لمن أراد أن يعمل بالليل، فيفوته، فيقضي، فإذا فاته بالنهار يقضي بالليل لمن أراد أن يذكر. قرأ حمزة {يُذْكَرِ} بتسكين الذال، وضم الكاف. يعني: يذكر ما نسي، إذا رأى اختلاف الليل والنهار. وقرأ الباقون بالتشديد {يُذَّكَرِ} وأصله يتذكر يعني: يتعظ في اختلافهما، ويستدل بهما {أَوْ أَرَادَ شُكُوراً} يعني: العمل الصالح ويترك ما هو عليه من المعصية. ويقال: {أَوْ أَرَادَ شُكُوراً}، أو أراد توحيداً وإقراراً، فيمكنه ذلك قوله عز وجل: {وَعِبَادُ الرحمن الذين يَمْشُونَ} يعني: وإن من عباد الرحمن عباداً يمشون {على الارض هَوْناً} يعني: يمضون متواضعين، وهذا جواب لقولهم {وَمَا الرحمن أَنَسْجُدُ}؟ فقال: الرحمن الذي جعل في السماء بروجاً، وهو الذي له عباد مثل هؤلاء. يعني: أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ومن كان مثل حالهم، وهذا كقوله: {جنات عَدْنٍ التى وَعَدَ الرحمن عِبَادَهُ بالغيب إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً} [مريم: 61] وكقوله: {والذين اجتنبوا

الطاغوت أَن يَعْبُدُوهَا وأنابوا إِلَى الله لَهُمُ البشرى فَبَشِّرْ عِبَادِ} [الزمر: 17] الآية.
وقال مجاهد: يمشون على الأرض هوناً في طاعة الله متواضعين. ويقال: هوناً، أي: هيناً لا جور فيه على أحد، ولا أذى. ويقال: هوناً يعني: سكينة ووقاراً وحلماً. {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجاهلون} يعني: كلمهم الجاهلون بالجهل {قَالُواْ سَلاَماً} يعني: سداداً من القول. ويقال: ردوا إليهم بالجميل. وقال الحسن: أي حلماً لا يجهلون، وإن جهل عليهم حلموا. وقال الكلبي: نسخت بآية القتال.
وقال بعضهم: هذا خطأ، لأن هذا ليس بأمر، ولكنه خير من حالهم، والنسخ يجري في الأمر والنهي ثم وصف حال لياليهم فقال عز وجل: {وَالَّذِينَ يِبِيتُونَ لِرَبّهِمْ سُجَّداً} يعني: يقومون بالليل في الصلاة سجداً {وقياما} يعني: يكونون في ليلتهم مرة ساجدين، ومرة قائمين.
وروي عن ابن عباس أنه كان يقول: من صلى ركعتين أو أربعاً بعد العشاء، فقد بات لله ساجداً وقائماً، ثم وصف خوفهم فقال: إنهم مع جهدهم خائفون من عذاب الله عز وجل، ويتعوذون منه فقال عز وجل: {والذين يَقُولُونَ} يعني: عباد الرحمن {رَبَّنَا اصرف عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً} يعني: لازماً لا يفارق صاحبه. وقال بعض أهل اللغة: الغرام في اللغة أشد العذاب.
وقال محمد بن كعب القرظي: {إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً}. قال: سألهم عن النعم، فلم يأتوا بثمنها، فأغرمهم ثمن النعم، وأدخلهم النار ثم قال: {إِنَّهَا سَاءتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً} يعني: بئس المستقر، وبئس الخلود، والمقام الخلود كقوله: {الذى أَحَلَّنَا دَارَ المقامة مِن فَضْلِهِ لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ} [فاطر: 35] يعني: دار الخلود. ويقال: نصب المستقر للتمييز، ومعناه لأنها ساءت في المستقر. ثم قال عز وجل: {والذين إِذَا أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ} وقرأ نافع وابن عامر {يَقْتُرُواْ} بضم الياء وكسر التاء. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو {لَمْ * يَقْتُرُواْ} بنصب الياء وكسر التاء. وقرأ أهل الكوفة بنصب الياء، وضم التاء، ومعنى ذلك كله واحد. يعني: لم يسرفوا، فينفقوا في معصية الله، ولم يقتروا فيمسكوا عن الطاعة {وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً} يعني: بين ذلك عدلاً ووسطاً. وقال الحسن: ما أنفق الرجل على أهله في غير إسراف ولا فساد، ولا إقتار، فهو في سبيل الله تعالى. وقال مجاهد لو كان لرجل مثل أبي

قبيس ذهباً، فأنفقه في طاعة الله، لم يكن مسرفاً، ولو أنفق درهماً في معصية الله تعالى كان مسرفاً.

▲ تفسير الآيات رقم [68- 70]

{وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (69) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (70)}

ثم قال عز وجل: {والذين لاَ يَدْعُونَ مَعَ الله إلها ءاخَرَ} يعني: لا يشركون بالله. ويقال: الشرك ثلاثة: أولها أن يعبد غير الله تعالى، والثاني أن يطيع مخلوقاً بما يأمره من المعصية، والثالث أن يعمل لغير وجه الله تعالى، فالأول كفر والآخران معصية ثم قال: {وَلاَ تَقْتُلُواْ النفس التى حَرَّمَ الله إِلاَّ بالحق} أي إلا بإحدى خصال ثلاث وقد ذكرناه. {وَلاَ يَزْنُونَ} يعني: لا يستحلون الزنى، ولا يقتلون النفس {وَمَن يَفْعَلْ ذلك} يعني: الشرك والقتل والزنى {يَلْقَ أَثَاماً} قال الكلبي يعني: عقاباً في النار، وذكر عن سيبويه والخليل أنهما قالا: معناه جزاء الآثام. ويقال: الآثام العقوبة وقال الشاعر:

جَزَى الله ابْنَ عُرْوَةَ حِينَ أَمْسَى *** عُقُوقاً فَالْعُقُوقُ لَهُ أَثَامُ

أي عقوبة ثم قال عز وجل: {يضاعف لَهُ العذاب يَوْمَ القيامة وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً} يعني: في العذاب صاغراً يهان فيه. قرأ عاصم {يضاعف لَهُ} بالألف، وضم الفاء. وقرأ ابن عامر وابن كثير {يضاعف} بغير ألف، والتشديد، وجزم الفاء. وقرأ الباقون {***يضاعفون} بالألف، وجزم الفاء. وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وابن عامر، {القيامة وَيَخْلُدْ} بضم الدال.

وروى حفص عن عاصم وابن كثير، {وَيَخْلُدْ} بالإشباع، والباقون بجزم الدال. ثم قال عز وجل: {إِلاَّ مَن تَابَ وَءامَنَ} يعني: تاب من الشرك والزنى والقتل، وصدَّق بتوحيد الله تعالى: {وَعَمِلَ صالحا فَأُوْلَئِكَ * يُبَدّلُ الله سَيّئَاتِهِمْ حسنات} يعني: مكان الشرك الإيمان، ومكان القتل الكف، ومكان الزنى العفاف، ومكان المعصية العصمة والطاعة. ويقال: إنه يبدل في الآخرة مكان عمل السيئات والحسنات.

وروي عن ابن مسعود أنه قال: إن يوم القيامة إذا أعطي الإنسان كتابه لينظر في كتابه فيرى أوله معاصي، وفي الآخر حسنات، فلما رجع إلى أول الكتاب، رآه كله حسنات.

روى أبو ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " يُعْرَضُ عَلَيْهِ أَصَاغِرُ ذُنُوبِهِ، وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنَ الكَبَائِرِ أَنْ تَجِيءَ ذُنُوبُهُ العِظَامُ، فَإِذَا أَرَادَ بِهِ خَيْراً قِيلَ: أَعْطُوهُ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً. فَيَقُولُ: يَا ربّ إِنَّ لِي ذُنُوباً مَا أَرَاها هنا ". قال: ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك، ثم تلا: {فَأُوْلَئِكَ يُبَدّلُ الله سَيّئَاتِهِمْ حسنات}. وذكر عن أبي هريرة أنه قال: خرجت من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسألتني امرأة في الطريق فقالت زنيت، ثم قتلت الولد، فهل لي من توبة؟ فقلت: لا توبة لك أبداً. ثم قلت: أفتيتها ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا، فرجعت إليه، فأخبرته بذلك فقال: «هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ، فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ هذه الآية. {والذين لاَ يَدْعُونَ مَعَ الله إلها ءاخَرَ} إلى قوله: {فَأُوْلَئِكَ يُبَدّلُ الله سَيّئَاتِهِمْ حسنات} فخرجت وقلت: من يدلني على امرأة سألتني مسألة، والصبيان يقولون: جن أبو هريرة حتى أدركتها، وأخبرتها بذلك فسرت. وقالت: إن لي حديقة جعلتها لله ولرسوله. وقال بعضهم: هذه الآية مدنية نزلت في شأن وحشي وقال بعضهم الآية قد كانت نزلت بمكة فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى وحشي ثم قال تعالى: {وَكَانَ الله غَفُوراً رَّحِيماً} يعني: غفوراً لما فعلوا قبل التوبة لمن تاب رحيم بالمؤمنين بعد التوبة.

▲ تفسير الآيات رقم [71- 77]

{وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (71) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (72) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآَيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (73) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (74) أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (75) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (76) قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (77)}
{وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صالحا} يعني: تاب من الشرك والمعاصي، وعمل صالحاً بعد التوبة {فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى الله مَتاباً} يعني: مناصحاً لا يرجع. ويقال: متاباً له في الجنة. ويقال: {مَتاباً}. يعني: توبة. يعني: يتوب توبة مخلصة ثم قال: {والذين لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ} يعني: لا يحضرون مجالس الكذب والفحش

والكفر {وَإِذَا مَرُّواْ بِاللَّغْوِ} يعني: مجالس اللهو والباطل {مَرُّواْ كِراماً} يعني: حُلماء عُلماء معرضين عنها. وقال القتبي: مروا كراماً لم يخوضوا فيه، وأكرموا أنفسهم.
ثم قال عز وجل: {وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بئايات رَبِّهِمْ} يعني: وعظوا بالقرآن {لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا} يعني: لم يقعوا عليها {صُمّاً وَعُمْيَاناً} يعني: لا يسمعون ولا يبصرون، ولكنهم سمعوا وانتفعوا به. وهذا قول مقاتل. وقال القتبي: لم يخروا عليها، أي لم يتغافلوا عنها، فكأنهم صم لم يسمعوها عمي لم يروها.
ثم قال عز وجل: {والذين يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أزواجنا وذرياتنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ} يعني: اجعل أزواجنا وذريتنا من الصالحين، تقر أعيننا بذلك. ويقال: وفقهم للطاعة، واعصمهم من المعصية، ليكونوا معنا في الجنة، فتقر بهم أعيننا. قرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر، {وذرياتنا} بلفظ الوحدان. وقرأ الباقون {وذرياتنا} بلفظ الجماعة، ثم قال: {واجعلنا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً} يعني: اجعلنا أئمة في الخير يقتدي بنا المؤمنون، كما قال: {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ الخيرات وَإِقَامَ الصلاة وَإِيتَآءَ الزكواة وَكَانُواْ لَنَا عابدين} [الأنبياء: 73] أي: قادة في الخير.
وروي عن عروة، أنه كان يدعو بأن يجعله الله ممن يحمل عنه العلم، فاستجيب دعاؤه. وروي عن مجاهد معناه: واجعلنا ممن نقتدي بمن قبلنا، حتى يقتدي بنا من بعدنا. ويقال: معناه اجعلنا ممن يقتدي بالمتقين، ويقتدي بنا المتقون، فهذا كله من خصال عباد الرحمن، من قوله: {وَعِبَادُ الرحمن} إلى هاهنا. فوصف أعمالهم، ثم بيّن ثوابهم فقال عز وجل: {أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الغرفة} يعني: غرف الجنة كقوله: {لكن الذين اتقوا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار وَعْدَ الله لاَ يُخْلِفُ الله الميعاد} [الزمر: 20] {بِمَا صَبَرُواْ} يعني: صبروا على أمر الله تعالى في الدنيا، وعلى طاعته {وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا} يعني: في الجنة {تَحِيَّةً} يعني: التسليم {وسلاما} يعني: سلام الله تعالى لهم. قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر. وإحدى الروايتين عن ابن عباس، {وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا} بنصب الياء، وجزم اللام، والتخفيف. وقرأ الباقون {وَيُلَقَّوْنَ} بضم الياء ونصب اللام، وتشديد القاف، فمن قرأ بالتخفيف، يعني: يلقي بعضهم بعضاً بالسلام، ومن قرأ بالتشديد يعني: يجيء إليهم سلام الله، يعني: يلقى إليهم السلام من الله تعالى.

ثم قال عز وجل: {خالدين فِيهَا} يعني: دائمين في الجنة {حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً} يعني: موضع القرار، وموضع الخلود قوله عز وجل: {قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبّى لَوْلاَ دُعَاؤُكُمْ} يقول: ما يفعل بكم ربي لولا عبادتكم. ويقال: ما يفعل بعذابكم لولا عبادتكم غير الله تعالى. ويقال: ما ينتظر بهلاككم، لولا عبادة من يعبدوني، لأنزلت عليكم عذابي. ويقال: لولا دعاؤكم يعني: يقول لولا إيمانكم ثم قال عز وجل سبحانه: {فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً} يعني: عذاباً يلزمهم، فقتلوا ببدر، وعجلت أرواحهم إلى النار، فتلك عقوبتهم فيها. ويقال: {لِزَاماً} يعني: موتاً. وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه خمس قد مضين من ذلك اللزام، واللزم والقمر والدخان والبطشة. ويقال: ما يحتاج بعذابكم لولا عبادتكم الأصنام. ويقال: ما يفعل الله بعذابكم لولا عبادتكم غير الله. ويقال: ما ينتظر بهلاككم لولا عبادة من يعبدني، لأنزلت عذابي إلى غير ذلك، والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد.

▲ سورة الشعراء

▲ تفسير الآيات رقم [1- 6]

{طسم (1) تِلْكَ آَيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (3) إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آَيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (4) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (5) فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (6)}

قول الله سبحانه وتعالى: {طسم} قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر، بإمالة الطاء. وقرأ أبو عمرو وابن كثير بالتفخيم، وهما لغتان معروفتان عند العرب، ويجوز كلاهما، وقرأ نافع بين ذلك، وقرأ حمزة بإظهار النون، والباقون بالإدغام لتقارب مخرجهما، ومن لم يدغم أراد التبيين، وكلاهما جائز. وأما التفسير، فروى معمر عن قتادة أنه قال: اسم من أسماء القرآن. ويقال: والطاء طوْله، والسين سَنَاؤُهُ، والميم ملكه، ومجده، ويقال: الطاء شجرة طوبى، والسين سدرة المنتهى، والميم محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم. وقال بعضهم: عجزت العلماء عن تفسيرها. وقال بعضهم: هو قسم قسم الله تعالى به {تِلْكَ ءايات الكتاب} يعني: هذه آيات الكتاب. ويقال: تلك آيات الكتاب التي كنت وعدت في التوراة أن أنزلها على محمد صلى الله عليه وسلم {المبين} يعني: القرآن بيّن لكم الحق من الباطل {لَعَلَّكَ باخع نَّفْسَكَ} يعني: مهلك نفسك. ويقال: قاتل نفسك بالحزن {أَن لا *** يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ} يعني: إذا لم يصدقوا بالقرآن، وذلك حين كذبه أهل مكة شقّ ذلك عليه، وحزن بذلك فقال له: ليس عليك سوى التبليغ، ولا تقتل نفسك إن لم يؤمنوا.

ثم قال عز وجل: {إِن نَّشَأْ نُنَزّلْ عَلَيْهِمْ مّنَ السماء ءايَةً} يعني: علامة {فَظَلَّتْ} يعني: فصارت {أعناقهم لَهَا خاضعين} يعني: وننزل عليهم آية تضطرهم إلى أن يؤمنوا، ولكنه لم يفعل، لأنه لو فعل ذلك لذهبت المحنة، فلم يستوجبوا الثواب إذا آمنوا بعد معاينة العذاب، كمن آمن يوم القيامة لا ينفعه إيمانه، لأنه قد ظهر له بالمعاينة. ويقال: فظلت أعناقهم يعني: ساداتهم وكبراؤهم، والأعناق الكبراء، فإن قيل: جمع الأعناق مؤنث. قال: خاضعين،

ولم يقل: خاضعات. قيل له: لأن الكلام انصرف إلى المعنى، فكأنه قال هم لها خاضعون قوله: {وَمَا يَأْتِيهِم مّن ذِكْرٍ مّنَ *** رَّبّهِمْ مُّحْدَثٍ} وقد ذكرناه {إِلاَّ كَانُواْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ} يعني: مكذبين معرضين عن الإيمان به {فَقَدْ كَذَّبُواْ} يعني: كذبوا بالقرآن، كما قال في آية أُخرى: {فَقَدْ كَذَّبُواْ بالحق لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ} [الأنعام: 5] يعني: {فَقَدْ كَذَّبُواْ} يعني: أخبار {مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءونَ} يعني: يوم القيامة. ويقال: قد جاءهم بعض ذلك في الدنيا، وهو القتل والقهر والغلبة.

▲ تفسير الآيات رقم [7- 15]

{أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (7) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (8) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (9) وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (10) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ (11) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (12) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ (13) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (14) قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (15)}

قوله عز وجل: {أَوَ لَمْ يَرَوْاْ إِلَى الارض} يعني: أو لم ينظروا في عجائب الأرض، ويتفكروا فيها {كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلّ زَوْجٍ بَهِيجٍ كَرِيمٌ} يعني: من كل نوع من النبات. ويقال: من كل لون حسن. وقال القتبي: الكريم يقع على الأنواع، والكريم الشريف الفاضل. قال الله تعالى: {ياأيها الناس إِنَّا خلقناكم مِّن ذَكَرٍ وأنثى وجعلناكم شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لتعارفوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ الله أتقاكم إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: 13] {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى ءَادَمَ وحملناهم فِى البر والبحر ورزقناهم مِّنَ الطيبات وفضلناهم على كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً} [الإسراء: 70] {فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ الله لا إله إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ العرش العظيم} [التوبة: 129] {إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سيئاتكم وَنُدْخِلْكُمْ مُّدْخَلاً كَرِيماً} [النساء: 31] {قَالَتْ ياأيها الملأ إِنى أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ} [النمل: 29] أي شريف فاضل، والكريم الصفوح، وذلك من الشرف كما قال: {قَالَ الذى عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الكتاب أَنَاْ ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرّاً عِندَهُ قَالَ هذا مِن فَضْلِ رَبّى ليبلونى أَءَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ} [النمل: 40] {ياأيها الإنسان مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكريم} [الانفطار: 6] أي الصفوح، والكريم الكثير كما قال: {أولئك هُمُ المؤمنون حَقّاً لَّهُمْ درجات عِندَ

رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} [الأنفال: 4] أي: كثير، والكريم الحسن كما قال: {أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى الارضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ} [الشعراء: 7] أي: حسن {وقضى رَبُّكَ أَلاَّ تعبدوا إِلاَّ إِياه وبالوالدين إِحساناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الكبر أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا} [الإسراء: 23] أي: حسناً.

وروي عن الشعبي أنه قال: كم أنبتنا فيها. يعني: بني آدم، فمن دخل الجنة، فهو كريم، ومن دخل النار، فهو لئيم. ثم قال عز وجل: {إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً} يعني: في اختلاف النبات وألوانه {لآيَةً} يعني لعبرة لأهل مكة أنه إله واحد ثم قال: {وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ} يعني: مصدقين بالتوحيد ولو كان أكثرهم مؤمنين يعني: وما كانوا مؤمنين بل كلهم كافرين {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العزيز} يعني: المنيع بالنقمة لمن لم يجب الرسل {الرحيم} حيث لم يعجل بعقوبتهم. ويقال: رحيم بالمؤمنين. قوله عز وجل: {وَإِذْ نادى رَبُّكَ موسى} يعني: اتل عليهم إذ نادى ربك موسى كما قال: {واتل عَلَيْهِمْ نَبَأَ إبراهيم} وقال مقاتل: إذ نادى ربك موسى، يعني: أمر ربك يا محمد لموسى {أَنِ ائت القوم الظالمين} يعني: اذهب إلى القوم المشركين {قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ} قال مقاتل: يعني قل لهم ألا تتقون عبادة غيره وتوحدونه.

ويقال {أَلا يَتَّقُونَ} يعني: ألا تعبدون الله تعالى {قَالَ} موسى {رَبّ} أي: قال يا رب {إِنّى أَخَافُ أَن يُكَذّبُونِ} بما أقول {وَيَضِيقُ صَدْرِى} إذا كذبوني في رسالتك {وَلاَ يَنطَلِقُ لِسَانِى} لمهابته. قرأ يعقوب الحضرمي، {وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلاَ يَنطَلِقُ} كلاهما بنصب القاف، وجعله نصباً بأن. ومعناه: أخاف أن يكذبون، وأن يضيق صدري، وأن لا ينطلق لساني. وقراءة العامة بالضم على معنى الاستئناف.

ثم قال: {فَأَرْسِلْ إلى هارون} يعني: أرسله معي لكي يكون عوناً لي في أداء الرسالة. ثم قال: {وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنبٌ} يعني: قصاص بقتل القبطي {فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ} به قال القتبي: على معنى عندي، أي لهم عندي ذنب {قَالَ} الله تعالى {كَلاَّ} أي لا تخف. وقال الزجاج: كلا رَدْعٌ وتنبيه، أي: لا يقدرون على ذلك {فاذهبا بئاياتنا} خاطب به موسى خاصة بأن يذهب مع أخيه إلى فرعون بآياتنا التسع {إِنَّا مَعَكُمْ مُّسْتَمِعُونَ} يعني: سامعين، وقد بيّن ذلك في موضع آخر وهو قوله: {قَالَ لاَ تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وأرى} [طه: 46] والاستماع سبب للسمع فيعبر به عنه.

تفسير الآيات رقم [16- 33]

{فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (16) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (17) قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (18) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (19) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (20) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (21) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (22) قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (23) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (24) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (25) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (26) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (27) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (28) قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (29) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (30) قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (31) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (32) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (33)}

قوله عز وجل: {فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبّ العالمين} يعني: موسى وحده، ويضاف الشيء إلى اثنين، ويراد به الواحد. وقال القتبي: الرسول يكون بمعنى الجمع، كما يكون الضيف بمعنى الجمع. {قَالَ إِنَّ هؤلاءآء ضَيْفِى فَلاَ تَفْضَحُونِ} [الحجر: 68]. وقال أبو عبيدة: رسول بمعنى رسالة. ويقال رسول: يعني: به رسولين كقوله: {فَأْتِيَاهُ فقولا إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بنى إسراءيل وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جئناك بِأايَةٍ مِّن رَّبِّكَ والسلام على مَنِ اتبع الهدى} [طه: 47] فقال: {إِنَّا رَسُولُ رَبّ العالمين} {أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِى إسراءيل} يعني: قل لفرعون ذلك، ولم يذكر إتيانه إلى فرعون، لأن في الكلام دليلاً عليه. وقد بيّن في موضع آخر حيث قال: {فَلَمَّا جَآءَهُم موسى بأاياتنا بينات قَالُواْ مَا هاذآ إِلاَّ سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بهذا فى ءابَآئِنَا الاولين} [القصص: 36] وقال مقاتل: {إِنَّا رَسُولُ رَبّ العالمين} وانقطع الكلام، ثم انطلق موسى، وكان هارون بمصر، فانطلقا إلى فرعون قال مقاتل: فلم يأذن لهما سنة ثم أخبر البواب فرعون أن هاهنا إنساناً يذكر أنه رسول رب العالمين فقال: ائذن له لعلنا نضحك منه. وقال السدي: لما أتى باب فرعون ضرب موسى عليه السلام عصاه على الباب، ففزع فرعون من ذلك، فأذن له في الدخول من ساعته، فلما دخل عليه عرفه، فأدى الرسالة فقال له

فرعون: {قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً} قال الفقيه أبو الليث رحمه الله: أول ما بدأ فرعون بكلام السفلة، ومنَّ على نبي الله صلى الله عليه وسلم أنما أطعمه. فقال: {أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً}. يعني: ألم تكن صغيراً قد ربيناك {وَلَبِثْتَ فِينَا} يعني: مكثت عندنا {مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ} يعني: ثلاثين سنة {وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ التى فَعَلْتَ} يعني: قتلت النفس التي قتلتها.

وقرأ في الشاذ: {فَعْلَتَكَ} بكسر الكاف هي قراءة الشعبي، وقراءة العامة بالنصب، والنصب يقع على فعل واحد، والكسر على المرات. يعني: قتلت مرة، وهممت بالقتل ثانياً ثم قال: {وَأَنتَ مِنَ الكافرين} بنعمتي. ويقال: كفرت بي، حيث قتلت النفس. ويقال: وأنت من الجاحدين للقتل. يعني: لم تقر بالقتل، فأخبره موسى أنه غير جاحد للقتل {قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً} يعني: قتلت النفس {وَأَنَاْ مِنَ الضالين} عن النبوة كقوله {وَوَجَدَكَ ضَآلاًّ فهدى} [الضحى: 7] ويقال: من الجاهلين ولم أتعمد القتل. قال القتبي: أصل الضلالة العدُول عن الحق، ثم يكون لمعاني منها النسيان، لأن الناسي عادل عنه، فكما قال هاهنا {فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَاْ مِنَ الضالين} أي: من الناسين وكما قال: {ياأيها الذين ءامنوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إلى أَجَلٍ مُّسَمًّى فاكتبوه وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُم كَاتِبٌ بالعدل وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ الله فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الذى عَلَيْهِ الحق وَلْيَتَّقِ الله رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإن كَانَ الذى عَلَيْهِ الحق سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بالعدل واستشهدوا شَهِيدَيْنِ مِّن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وامرأتان مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشهدآء أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الاخرى وَلاَ يَأْبَ الشهدآء إِذَا مَا دُعُواْ وَلاَ تسأموا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إلى أَجَلِهِ ذلكم أَقْسَطُ عِندَ الله وَأَقْوَمُ للشهادة وأدنى أَلاَّ ترتابوا إِلاَ أَن تَكُونَ تجارة حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وأشهدوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ واتقوا الله وَيُعَلِّمُكُمُ الله والله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}

[البقرة: 282] ثم قال عز وجل: {فَفَرَرْتُ مِنكُمْ} يعني: هربت منكم إلى مدين {لَمَّا خِفْتُكُمْ} على نفسي أن تقتلوني {فَوَهَبَ لِى رَبّى حُكْماً} قال الكلبي: يعني النبوة. وقال مقاتل: يعني العلم والفهم، {وَجَعَلَنِى مِنَ المرسلين} إليكم.

ثم قال عز وجل: {وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِى إسراءيل} يعني: أو كان هذا نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل، فكأنه أنكر عليه. فقال: كيف تكون نعمتك التي تمن علي؟ فإنك قد عبدت بني إسرائيل، أي استعبدتهم،

وتمن علي. ويقال: قد اعترف له بالنعمة. فقال: وتلك نعمة تمن علي حيث عبدت بني إسرائيل، ولم تعبدني. ويقال: معناه تلك نعمة، إنما صارت نعمة بتعبيدك بني إسرائيل، ولم تعبدني، لأنك لو لم تعبدهم لم تجعلني أمي في التابوت حتى صرت في بيتك، ولكن إنما صارت نعمة لأجلك، حيث عبدت بني إسرائيل. وقال مقاتل: وتلك نعمة تمنها علي يا فرعون بإحسانك إلي خاصة، وبترك أبنائك أن عبدت بني إسرائيل. وقال الكلبي يقول: تستعبد بني إسرائيل، وتمن علي لذلك {قَالَ فِرْعَوْنُ} لموسى {وَمَا رَبُّ العالمين} منكراً له، وهذا جواب لقوله: {إِنَّا رَسُولُ رَبِّ العالمين} فجاء بجواب قطع حجته {قَالَ رَبِّ * السموات والارض ***** وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ مُّوقِنِينَ} بتوحيد الله تعالى، فعجز فرعون عن الجواب {فَقَالَ * لِمَنْ حَوْلَهُ أَلاَ تَسْتَمِعُونَ} إلى قول موسى عليه السلام قالوا له فيما تقول يا موسى؟ فجاء بحجة أخرى ليؤكد عليهم {قَالَ رَبُّكُمْ} يعني: أدعوكم إلى ربكم {وَرَبُّ ءابَائِكُمُ الاولين} يعني: إلى توحيد خالقكم وخالق آبائكم الأولين {قَالَ} فرعون لجلسائه {إِنَّ رَسُولَكُمُ الذى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ} موسى عليه السلام ليس بمجنون مثلي أدعوكم إلى {رَبُّ المشرق والمغرب وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ} يعني: إن كان لكم ذهن الإنسانية، فلما عجز عن الجواب، مال إلى العقوبة كما يفعل السلاطين {فَقَالَ * لَئِنِ اتخذت إلها غَيْرِى} يعني: لئن عبدت رباً غيري.

{لاجْعَلَنَّكَ مِنَ المسجونين} يعني: لأحبسنك في السجن. قال ابن عباس: وكان سجنه أشد من القتل {قَالَ} موسى {أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىء مُّبِينٍ} يعني: ولو جئتك بحجة بينة يستبين لكم أمري {قَالَ} فرعون {فَأْتِ بِهِ} يعني: فَأَرِنَاهُ {إِن كُنتَ مِنَ الصادقين} بأنك رسول {فألقى عَصَاهُ} من يده {فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ} يعني: حية صفراء من أعظم الحيات {وَنَزَعَ يَدَهُ} يعني: أخرج يده فقال: ما هذه؟ فقالوا: يدك، فأدخلها في جيبه وأخرجها {فَإِذَا هِىَ بَيْضَاء للناظرين} يعني: لها شعاع كشعاع الشمس، وانتشر الضوء حوالي مصر للناظرين لمن نظر إليها من غير برص، فعجبوا من ذلك.

▲ تفسير الآيات رقم [34- 51]

{قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (34) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (35) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (36) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (37) فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (38) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (39) لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (40) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (41) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (42) قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (43) فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (44) فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (45) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (46) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (47) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (48) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (49) قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (50) إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (51)}

قوله عز وجل: ف {قَالَ لِلْمَلإِ حَوْلَهُ إِنَّ هذا لساحر عَلِيمٌ} يعني: قال فرعون لمن حوله يعني: الرؤساء والأشراف، وأصله في اللغة من ملأ. قال بعضهم: الملأ إنما بما يراد بهم مائتان وخمسون، وقال بعضهم: ثلاثمائة وخمسون، وهم جماعة الملأ. ويقال: ملأ العين هيبة يعني: إذا نظر إليها الناظر، ثم قال: {إِنَّ هذا لساحر عَلِيمٌ} {يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُمْ مّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ} يعني: من أرض مصر {فَمَاذَا تَأْمُرُونَ} يعني: تشيرون {قَالُواْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ} يعني: احسبهما وأخرجهما ولا تقتلهما، ولا تؤمن بهما وأصله من التأخير يعني: أخر أمرهما حتى تنظر {وابعث فِى المدائن حاشرين} يحشرون عليك السحرة {يَأْتُوكَ بِكُلّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ} يعني: حاذقاً {فَجُمِعَ السحرة لميقات يَوْمٍ مَّعْلُومٍ} وهو يوم عيد لهم، وهو يوم الزينة. قال مقاتل: وكانوا اثنين وسبعين ساحراً. ويقال: سبعون ألفاً. وقال الزجاج: ذكر أن السحرة كانوا اثني عشر ألفاً {وَقِيلَ لِلنَّاسِ} يعني: أهل مصر {هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ} للسحرة للميعاد {لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السحرة} على أمرهم {إِن كَانُواْ هُمُ الغالبين}.

قوله عز وجل: {فَلَمَّا جَاء السحرة} يعني: إلى الميقات {قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ * إِنَّ لَنَا لاجْرًا} يعني: لجعلاً {إِن كُنَّا نَحْنُ الغالبين} يعني: أتجازينا إن غلبناه {قَالَ

نَعَمْ} نجازيكم {وَإِنَّكُمْ إِذاً لَّمِنَ المقربين} يعني: لكم مع الجائزة الكرامة والمنزلة عندي {قَالَ لَهُمْ موسى أَلْقُواْ مَا أَنتُمْ مُّلْقُونَ} يعني: اطرحوا {فَأَلْقَوْاْ حبالهم وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ إِنَّا لَنَحْنُ الغالبون} يعني: نغلب موسى {فألقى موسى عصاه فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ} يعني: تلتقم وتبتلعُ ما يطرحون من الحبال والعصي قوله عز وجل: {فَأُلْقِىَ السحرة ساجدين} أي خروا سجداً لله تعالى {قَالُواْ ءامَنَّا بِرَبّ العالمين} فقال فرعون: إياي تعنون قالوا: {رَبّ موسى وهارون} يعني: خالق موسى وهارون {قَالَ ءامَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الذى عَلَّمَكُمُ السحر فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} ماذا أصنع بكم؟ {لاقَطّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مّنْ خِلاَفٍ وَلاَصَلّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ} على شاطئ نهر مصر {قَالُواْ} يعني: السحرة {لاَ ضَيْرَ} أي لا يضرنا ما فعلت بنا {إِنَّا إِلى رَبّنَا مُنقَلِبُونَ} يعني: إلى خالقنا راجعون {إِنَّا نَطْمَعُ} يعني: نرجو {أَن يَغْفِرَ لَنَا خطايانا} يعني: شركنا وسحرنا {أَن كُنَّا أَوَّلَ المؤمنين} يعني: أول المصدقين من قوم فرعون وذكر عن الفراء أنه قال: كانوا أول مؤمني أهل دهرهم. وقال الزجاج: لا أحسبه عرف الرواية، لأن الذين كانوا مع موسى روي في التفسير أنهم ستمائة ألف وسبعين ألفاً، ولكن معناه أول من آمن في هذه الساعة.

▲ تفسير الآيات رقم [52- 62]

{وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (52) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (53) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (54) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (55) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ (56) فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (57) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (58) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (59) فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (60) فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (61) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (62)}

قوله عز وجل: {وَأَوْحَيْنَا إلى موسى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى} يعني: ببني إسرائيل {إِنَّكُم مّتَّبِعُونَ} يعني: يتبعكم فرعون وقومه ويقال أسرى يسري إسراء إذا سار ليلاً، يعني اذهبْ بهم بالليل {فَأَرْسَلَ فِرْعَونُ فِى المدائن حاشرين} يحشرون الناس لقتال موسى عليه السلام وخرج في طلبه.

وقال: {إِنَّ هَؤُلاء لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ} يعني: طائفة وعصبة وجماعة قليلون. وقال الزجاج الشرذمة في كلام العرب القليل.
ويروى أنهم كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفاً {وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ} يعني: لمبغضين ويقال: إنا لغائظون بخلافهم لنا، وذهابهم بحيلتنا. ثم قال عز وجل: {وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حاذرون} أي: مودون شاكون في السلاح. قرأ ابن كثير ونافع {حاذرون} بغير ألف، والباقون بالألف، {حاذرون}، والحاذر المستعد، والحذر المستيقظ. ويقال: الحاذر الذي يحذر في الفور، والحذر الذي لا تلقاه إلا حذراً.
وروي عن ابن مسعود أنه كان يقرأ: {حاذرون} بالألف، وكان يقول: يعني ذا أداة من السلاح. ومعناه: إنا قد أخذنا حذرنا من عدونا بسلاحنا قال الله تعالى: {فأخرجناهم} يعني: فرعون وقومه {مّن جنات} يعني: البساتين {وَعُيُونٍ} يعني: الأنهار الجارية {وَكُنُوزٍ} يعني: من الأموال الكثيرة {وَمَقَامٍ كَرِيمٍ} يعني: المنازل الحسنة. ويقال: المنابر التي يعظم عليها فرعون. قرأ أبو عمرو ونافع وعاصم وعيون بضم العين في جميع القرآن، والباقون بالكسر، وهما لغتان، وكلاهما جائز. وقال بعضهم: {فأخرجناهم مّن جنات وَعُيُونٍ} كلام فرعون إنا أخرجنا بني إسرائيل من أرض مصر والطريق الأول أشبه كما قال في آية أخرى: {كَمْ تَرَكُواْ مِن جنات وَعُيُونٍ} [الدخان: 25] الآية. ثم قال: {كذلك} يعني: هكذا أفعل بمن عصاني. ثم استأنف فقال عز وجل: {وأورثناها} ويقال لك: أورثناها يعني: هكذا أنزلنا في مساكن فرعون {بَنِى إسراءيل} بعد ما غرق فرعون، ثم قال: {فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ} يعني: طلوع الشمس. قوله عز وجل: {فَلَمَّا تَرَاءا الجمعان} يعني: تقاربا ورأى بعضهم بعضاً، وذلك أن فرعون أرسل في المدائن حاشرين ليحشروا الناس، فركب وركب معه ألف ألف ومائتا ألف فارس سوى الرحالة، أي المشاة، فلما دنوا من عسكر موسى {قَالَ أصحاب موسى} لموسى عليه السلام {إِنَّا لَمُدْرَكُونَ} يعني: يدركنا فرعون {قَالَ} موسى {كَلاَّ} لا يدرككم {إِنَّ مَعِىَ رَبّى سَيَهْدِينِ} يعني: سينجيني ويهديني إلى طريق النجاة.

▲ تفسير الآيات رقم [63- 85]

{فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (63) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (64) وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (65) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (66) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (67) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (68) وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (69) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (70) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (71) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (72) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (73) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (74) قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (75) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (76) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (77) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (82) رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (83) وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (84) وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (85)}

قوله عز وجل: {فَأَوْحَيْنَا إِلى مُوسَى أَنِ اضرب بِّعَصَاكَ البحر فانفلق} يعني: وفي الآية مضمر، ومعناه فضربه بالعصا فانفلق البحر {فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كالطود العظيم} يعني: كالجبل العظيم {وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الاخرين} يعني: قربنا قوم فرعون إلى البحر، وأدنيناهم إلى الغرق، ومنه قوله تعالى: {وَأُزْلِفَتِ الجنة لِلْمُتَّقِينَ} [الشعراء: 90] أي أدنيت وقربت.
وروي عن الحسن قال: وأزلفنا. يعني: أهلكنا. وقال غيره: وأزلفنا، أي جمعناهم في البحر حتى غرقوا، ومنه قوله قبل الجمع المزدلفة. {وَأَنجَيْنَا موسى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ} يعني: من البحر {ثُمَّ أَغْرَقْنَا الاخرين} يعني: فرعون وقومه، وقد ذكرنا القصة في موضع آخر ثم قال: {إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً} يعني: فيما صنع لآية، يعني: لعبرة لمن بعدهم {وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ} يعني: مصدقين يعني: لو كان أكثرهم مؤمنين لم يهلكهم الله تعالى: {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العزيز} بالنعمة {الرحيم} لمن تاب. قوله عز وجل: {واتل عَلَيْهِمْ نَبَأَ إبراهيم} يعني: أخبر أهل مكة خبر إبراهيم {إِذْ قَالَ لاِبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ} أي: كيف قال لقومه ثم أخبرهم عن ذلك وذلك أن إبراهيم عليه السلام، لما ولدته أمه في الغار، فلما كبر وخرج دخل المصر، فأراد أن يعلم على أي

مذهب هم وهكذا ينبغي للعاقل إذا دخل بلدة أن يسألهم عن مذهبهم، فإن وجدهم على الاستقامة، دخل معهم، وإن وجدهم على غير الاستقامة، أنكر عليهم. فقال لهم إبراهيم: ما تعبدون؟ {قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عاكفين} أي: نقوم عليها عابدين، فأراد أن يبين عيب فعلهم فقال: {قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ} يعني: هل تجيبكم الآلهة، سمَّى الإجابة سمعاً، لأن السمع سبب الإجابة {إِذْ تَدْعُونَ} يعني: هل يجيبوكم إذا دعوتموهم {أَوْ يَنفَعُونَكُمْ} إذا عبدتموهم {أَوْ يَضُرُّونَ} يعني: يضرونكم إن لم تعبدوهم {قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَا ءابَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ} يعني: وجدنا آباءنا يعبدونهم، هكذا فنحن نعبدهم. قال لهم إبراهيم عليه السلام {قَالَ أَفَرَءيْتُمْ مَّا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ} اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به الإعلام، يعني: اعلموا أن الذي كنتم تعبدون {أَنتُمْ وَءابَاؤُكُمُ} وَأَجْدَادُكُمْ يعني: معبودكم ومعبود آبائكم وأجدادكم {الاقدمون} يعني: الماضين {فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِى} يعني: إنهم أعدائي {إِلاَّ رَبَّ العالمين} يقال معناه: إلا من يعبد رب العالمين. ويقال: كانوا يعبدون مع الله الآلهة. فقال لهم: جميع ما تعبدون من الآلهة، فإنهم عدو لي إلا رب العالمين، فإنه ليس لي. ويقال: معناه أتبرأ من أفعالكم وأقوالكم، إلا الذي تقولون: رب العالمين وهو قوله: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ الله فأنى يُؤْفَكُونَ} [الزخرف: 87] ويقال: إلا بمعنى لكن، ومعناه: فإنهم عدو لي، لكن رب العالمين، يعني: لكن أعبد رب العالمين.
ثم وصف لهم رب العالمين فقال: {الذى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ} يعني: يحفظني ويثبتني على الهدى {والذى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ} يعني: هو الذي يرزقني ويرحمني. ثم قال: {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} فقد أضاف سائر الأنبياء إلى الله تعالى، وأضاف المرض إلى نفسه، لأن المرض كسب يده كقوله عز وجل: {وَمَآ أصابكم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ} [الشورى: 30] وفيه كفارة وإذا كان أصله من كسب نفسه أضافه إلى نفسه ثم قال: {والذى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ} يعني: يميتني في الدنيا، ويحييني في المبعث {والذى أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدين} يعني: أرجو أن يغفر خطيئتي، وهو قوله: {فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ} [الصافات: 89] ويقال وقوله: {قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُواْ يِنْطِقُونَ} [الأنبياء: 63] وقوله لسارة: هذه أختي. ويقال: يعني: ما كان مني الزلل ويقال: هو قوله: {فَلَماَّ رَأَى الشمس بَازِغَةً قَالَ هذا رَبِّى هاذآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ ياقوم إِنِّى برئ مِّمَّا تُشْرِكُونَ} [الأنعام: 78] ويقال ما كان نبي من الأنبياء إلا وقد همّ بزلة، ثم

قال: {رَبّ هَبْ لِى حُكْماً} يعني: النبوة {وَأَلْحِقْنِى بالصالحين} يعني: بالمرسلين في الجنة {واجعل لّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى الاخرين} يعني: الثناء الحسن في الباقين، وإنما أراد بالثناء الحسن، لكي يفيدوا به، فيكون له مثل أجر من اقتدى به {واجعلنى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النعيم} يعني: اجعلني ممن ينزل فيها.

▲ تفسير الآيات رقم [86- 89]

{وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (86) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (87) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89)}

ثم قال: {واغفر لاِبِى إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضالين} يعني: اهده إلى الحق من الضلالة والشرك. يعني: إنه كان من المشركين في الحال كقوله عز وجل: {فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى المهد صَبِيّاً} [مريم: 29] يعني: من هو في الحال صبي. ويقال: إنه كان من الضالين حين فارقته كقوله: {أَمَّا السفينة فَكَانَتْ لمساكين يَعْمَلُونَ فِى البحر فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً} [الكهف: 79] وهذا الاستغفار حين كان وعده بالإسلام.
وقال مقاتل: إن إبراهيم عليه السلام قد كذب ثلاث كذبات، وأخطأ ثلاث خطيئات، وابتلي بثلاث بليات، وسقط سقطة، فأما الكذبات فقال: {فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ} [الصافات: 89] وقوله: {قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُواْ يِنْطِقُونَ} [الأنبياء: 63] وقوله لسارة حين قال هي أختي. والخطايا قوله للنجم والشمس والقمر: {فَلَماَّ رَأَى الشمس بَازِغَةً قَالَ هذا رَبِّى هاذآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ ياقوم إِنِّى برئ مِّمَّا تُشْرِكُونَ} [الأنعام: 78] وأما البليات: حين قذف في النار، والختان والأمر بذبح الولد، وسقط سقطة حين دعا لأبيه، وهو مشرك.
وقال غيره لم يكذب ولم يخطئ، ولم يسقط، لأنه قال: {إِنّى سَقِيمٌ} يعني: سأسقم، لأن كل آدمي سيصيبه السقم. وقوله: {بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا} قد قرنه بالشرط، وهو قوله: {قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُواْ يِنْطِقُونَ} [الأنبياء: 63] وقوله لسارة: هي أخته، فكانت أخته في الدين وقوله: {هذا رَبّى} كان على وجه الاسترشاد لا للتحقيق. ويقال: كان ذلك القول على سبيل الإنكار والزجر. يعني: أمثل هذا ربي، وأما دعاؤه لأبيه، فعن وعدة وعدها إياه، وقد بيّن الله تعالى بقوله: {وَمَا كَانَ استغفار إبراهيم

لأَّبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إبراهيم لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ} [التوبة: 114] الآية. يعني: أن أباه وعده أنه سيؤمن، فما دام حياً يرجو أو يدعو، وإذا مات ضالاً ترك الاستغفار. ويقال: إن إبراهيم كان وعده أن يستغفر له حيث قال: {قَالَ سلام عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ ربي إِنَّهُ كَانَ بِى حَفِيّاً} [مريم: 47]، فاستغفر له ليكون منجزاً لوعده ثم قال: {وَلاَ تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ} يعني: لا تعذبني يوم يبعثون من قبورهم إلى هاهنا كلام إبراهيم، وقد انقطع كلامه.

ثم إن الله تبارك وتعالى وصف ذلك اليوم {يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ} يعني: يوم القيامة لا ينفع المال الذي خلفوه في الدنيا، وأما المال الذي أنفقوا في الخير، فليس ينفعهم، {وَلاَ بَنُونَ} يعني: الكفار لأنهم كانوا يقولون: {وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أموالا وأولادا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ} [سبأ: 35]، فأخبر الله تعالى أنه لا ينفعهم في ذلك اليوم المال ولا البنون، وأما المسلمون ينفعهم المال والبنون، لأن المسلم إذا مات ابنه قبله يكون له ذخراً وأجراً في الجنة، وإن تخلف بعده، فإنه يذكره بصالح دعائه، فينفعه ذلك ثم قال: {إِلاَّ مَنْ أَتَى الله بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} يعني: من جاء بقلب سليم يوم القيامة ينفعه المال والبنون.

ويقال: {إِلاَّ مَنْ أَتَى الله بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}، فذلك ينفعه، والقلب السليم هو القلب المخلص. وقال ابن عباس: يعني: بقلب خالص من الشرك.

وروى أبو أسامة بن عوف قال: قلت لابن سيرين، ما القلب السليم قال: أن تعلم أن الله عز وجل حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، ويقال: سليم من اعتقاد الباطل. ويقال: سليم من النفاق والهوى والبدعة. وسئل أبو القاسم الحكيم عن القلب السليم، قال له ثلاث علامات، أولها أن لا يؤذي أحداً، والثاني أن لا يتأذى من أحد، والثالث إذا اصطنع مع أحد معروفاً لم يتوقع منه المكافأة، فإذا هو لم يؤذ أحداً، فقد جاء بالورع، وإذا لم يتأذ من أحد، فقد جاء بالوفاء، وإذا لم يتوقع المكافأة بالاصطناع، فقد جاء بالإخلاص.

▲ تفسير الآيات رقم [90- 110]

{وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (90) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (91) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (92) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ (93) فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (94) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (95) قَالُوا وَهُمْ فِيهَا

يَخْتَصِمُونَ (96) تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (97) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (98) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (99) فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (100) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (101) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (102) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (103) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (104) كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (105) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (106) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (107) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (108) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (109) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (110)}

ثم قال عز وجل: {وَأُزْلِفَتِ الجنة لِلْمُتَّقِينَ} يعني: قربت الجنة للمتقين الذين يتقون الشرك والفواحش، يعني: أن المتقين قربوا من الجنة ثم قال: {وَبُرّزَتِ الجحيم لِلْغَاوِينَ} يعني: أظهرت الجحيم، وكشفت غطاءها للكافرين. ويقال: يؤتى بها في سبعين ألف زمام {وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ *** مِن دُونِ الله} أي يقال للكفار: أين معبودكم الذين كنتم تعبدون من دون الله {هَلْ يَنصُرُونَكُمْ} يعني: هل يمنعونكم من العذاب؟ {أَوْ يَنتَصِرُونَ} يعني: هل يمتنعون من العذاب؟ فاعترفوا أنهم لا ينصرونهم، ولا ينتصرون، فأمر بهم إلى النار. ويقال: {أَيْنَمَا *** كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ***** مِن دُونِ الله} يعني الشياطين، لأنهم أطاعوها في المعصية، فكأنهم عبدوها. قوله عز وجل: {فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ والغاوون} يعني: جمعوا فيها هم والغاوون. ويقال: فكبكبوا فيها فقدموا من النار هم، والغاوون يعني: الكفار والآلهة، والشياطين الذين أغووا بني آدم، وهذا قول مقاتل ويقال: فكبكبوا فيها يعني: ألقي بعضهم على بعض. وقال القتبي: الأصل كببوا، أي ألقوا على رؤوسهم فيها، فأبدل مكان إحدى الباءين كاف. وقال الزجاج: هو تكرير الانكباب، لأنه إذا ألقي ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر فيها. ويقال: جمعوا فيها ومنه حديث جبريل عليه السلام أنه ينزل في كبكبة من الملائكة. يعني: جماعة من الملائكة عليهم السلام. ثم قال عز وجل: {وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ} يعني: جمعوا فيها جميعاً {قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ} يعني: الكفار والأصنام. ويقال: الكفار والشياطين ويقال: الرؤساء والأتباع. ومعناه: قالوا وهم يختصمون فيها على ما معنى التقديم {تالله} يعني: والله {إِن كُنَّا لَفِى ضلال مُّبِينٍ} يعني: في خطأ بين {إِذْ نُسَوّيكُمْ بِرَبّ العالمين} يعني: نطيعكم كما يطيع المؤمنون أمر الله عز وجل: {وَمَا أَضَلَّنَا إِلاَّ المجرمون} يعني: ما صرفنا عن الإيمان إلا

الشياطين. ويقال: رؤساؤنا ويقال: آباؤنا المشركون {فَمَا لَنَا مِن شافعين} يعني: حيث يرون الأنبياء عليهم السلام يشفعون للمؤمنين والملائكة عليهم السلام يشفعون ولا يشفع أحد للكفار. فيقولون: ليس أحد يشفع لنا {وَلاَ صَدِيقٍ حَمِيمٍ} يعني: قريب يهمه أمرنا. قوله عز وجل: {فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً} يعني: رجعة إلى الدنيا {فَنَكُونَ مِنَ المؤمنين} يعني: من المصدقين على دين الإسلام {إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً} يعني: لعبرة لمن يعبد غير الله، ليعلم أنه يتبرأ منه في الآخرة، ولا ينفعه {وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ} يعني: الذين جمعوا في النار، ولم يكونوا مؤمنين {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العزيز} بالنقمة لمن عبد غيره {الرحيم} بالمؤمنين قوله عز وجل: {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ المرسلين} يعني: نوحاً عليه السلام وحده.

ويقال: جميع الأنبياء عليهم السلام، لأن نوحاً عليه السلام، دعاهم إلى الإيمان بجميع الأنبياء والرسل عليهم السلام، فلما كذبوه، فقد كذبوا جميع الرسل {إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ} يعني: نبيهم سماه أخوهم، لأنه كان منهم وابن أبيهم {أَلاَ تَتَّقُونَ} يعني: ألا تخافون الله تعالى فتوحدوه {إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ} فيما بينكم وبين ربكم، وجعلني الله عز وجل أميناً في أداء الرسالة إليكم. ويقال: إنه كان أميناً فيهم قبل أن يبعث {فاتقوا الله وَأَطِيعُونِ} أي: خافوا الله واتبعوني فيما أمركم به {وَمَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ} يعني: على الإيمان مِنْ أَجْرٍ أي أجر {إِنْ أَجْرِىَ} يعني: ما ثوابي {إِلاَّ على رَبّ العالمين *** فاتقوا الله وَأَطِيعُونِ} وقد ذكرناه.

▲ تفسير الآيات رقم [111- 122]

{قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ (111) قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (112) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (113) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (114) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (115) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (116) قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (117) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (118) فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (119) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (120) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (121) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (122)}

قوله عز وجل: {قَالُواْ أَنُؤْمِنُ لَكَ واتبعك الارذلون} يعني: أنصدقك واتبعك سفلتنا ويقال: الضعفاء. قرأ يعقوب الحضرمي وأتباعك الأرذلون، وهو جمع تابع ومعناه: وأتباعك الأرذلون، وقراءة العامة {واتبعك الارذلون} بلفظ الماضي. فيقال: من اتبع قال لهم نوح {قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} يعني: ما كنت أعلم أن الله تعالى يهديهم من بينكم ويدعكم {إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ على رَبّى} يعني: ما حسابهم إلا على ربي. ويقال: ما سرائرهم إلا عند ربي {لَوْ تَشْعُرُونَ} أن الله تعالى علام الغيوب قالوا لنوح: اطردهم حتى نؤمن لك. قال لهم نوح: {وَمَا أَنَاْ بِطَارِدِ المؤمنين * إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} يعني: ما أنا إلا منذر لكم بلغة تعرفونها {قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يالوط *** نُوحُ *** لَتَكُونَنَّ مِنَ المرجومين} أي من المقتولين ويقال من المرجومين بالحجارة قوله عز وجل: {قَالَ رَبّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ} بالعذاب والتوحيد {فافتح بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً} يعني: اقض بيني وبينهم قضاء ويقال للقاضي فتاح، وهذه لغة أهل اليمن {وَنَجّنِى وَمَن مَّعِى مِنَ المؤمنين} من العذاب ومن أذى الكفار {فأنجيناه وَمَن مَّعَهُ فِى الفلك المشحون} يعني: السفينة المملوءة الموقرة من الناس، والأنعام، وغير ذلك {ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الباقين} يعني: من بقي ممن لم يركب السفينة، ولفظ البعد والقبل إذا كان بغير إضافة يكون بالرفع مثل قوله: {فِى بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الامر مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المؤمنون} [الروم: 4] وكقوله: {ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الباقين} وإذا كانت بالإضافة يكون نصباً في موضع النصب كقوله: {وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظالمة وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً ءاخَرِينَ} [الأنبياء: 11] ثم قال عز وجل: {إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً} يعني: لعبرة لمن استخف بفقراء المسلمين واستكبر عن قول الحق {وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ} فلم يؤمن من قومه إلاَّ ثمانون من الرجال والنساء {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العزيز} بالنقمة لمن تعظم عن الإيمان، واستخف بضعفاء المسلمين، واستهزأ بهم {الرحيم} لمن تاب.

تفسير الآيات رقم [123- 140]

{كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (123) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (124) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (125) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (126) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (127) أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آَيَةً تَعْبَثُونَ (128) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (129) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (130)

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (131) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (132) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (133) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (134) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (135) قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ (136) إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (137) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (138) فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (139) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (140)}

وقوله عز وجل: {كَذَّبَتْ عَادٌ المرسلين} يعني: كذبوا هوداً عليه السلام {إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلاَ تَتَّقُونَ} أي: نبيهم هود وقد ذكرناه {إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ *** فاتقوا الله وَأَطِيعُونِ *** وَمَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلاَّ على رَبِّ العالمين} وقد تقدم ذكره {أَتَبْنُونَ بِكُلّ رِيعٍ ءايَةً} يعني: بكل طريق علامة ويقال: بكل شرف علماً {تَعْبَثُونَ} يعني: تلعبون ويقال: تضربون، فتأخذون المال ممن مر بكم.

وروي عن ابن عباس في قوله تعالى: {تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ} يعني: تبنون ما لا تسكنون. وقال أهل اللغة: كل لعب لا لذة فيه، فهو عبث. واللعب ما كان فيه لذة، فهم إذا بنوا بناء، ولا منفعة لهم فيه، فكأنهم يعبثون ثم قال عز وجل: {وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ} يعني: القصور وقال مجاهد: المصانع قصور وحصون. وقال القتبي: المصانع البناء واحدها مصنعة ويقال: الريع الارتفاع من الأرض. ومعناه: أنكم تبنون البناء والقصور، وتظنون أن ذلك يحصنكم مِنْ أقدار الله تعالى. ويقال: وتتخذون مصانع يعني: الحياض {لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ} يعني: كأنكم تخلدون في الدنيا. قوله عز وجل: {وَإِذَا بَطَشْتُمْ} يعني: عاقبتم ويقال: يعني: ضربتم بالسوط وقتلتم بالسيف {بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ} يعني: فعلتم كفعل الجبارين لأن الجبارين، يضربون ويقتلون بغير حق، وأصل البطش في اللغة هو الأخذ بالقهر والغلبة {فاتقوا الله وَأَطِيعُونِ} فيما آمركم به {واتقوا الذى أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ} يعني: أعطاكم ما تعلمون من الخير، ثم بيّن فقال {أَمَدَّكُمْ بأنعام وَبَنِينَ} يعني: أعطاكم الأموال والبنين {وجنات وَعُيُونٍ} يعني: البساتين والأنهار الجارية، فاعرفوا رب هذه النعمة، واشكروه ليديم عليكم النعمة، فإنكم إن لم تشكروه {فَإِنّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ * عظِيمٌ} يعني: أعلم أنه يصيبكم العذاب في الدنيا والآخرة. قوله عز وجل: {قَالُواْ سَوَاء

عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ} يعني: أنهيتنا وخوفتنا من العذاب {أَمْ لَمْ تَكُنْ مّنَ الواعظين} يعني: من الناهين.
روي عن ابن عباس أنه قال: هو الوعظ بعينه {إِنْ هذا إِلاَّ خُلُقُ الاولين} قرأ أبو عمرو والكسائي وابن كثير: إن هذا إلا خلق، بنصب الخاء، وقرأ الباقون بالضم، فمن قرأ بالنصب، فمعناه: ما هذا العذاب الذي تذكره إلا أحاديث الأولين. ويقال: الإحياء بعد الموت لا يكون، وإنما هذا خلق الأولين أنهم يعيشون، ثم يموتون {وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ} قال القتبي: الخلق الكذب كقوله: {مَا سَمِعْنَا بهذا فِى الملة الاخرة إِنْ هذا إِلاَّ اختلاق} [ص: 7] وكقوله: {إِنْ هذا إِلاَّ خُلُقُ الاولين} [الشعراء: 137] أي: خوضهم للكذب. والعرب تقول للخرافات أحاديث الخلق قال: وأعمل الخلق التقدير، وهاهنا أراد بهم اختلافهم، وكذبهم، وأما من قرأ بضم الخاء، فمعناه: إن هذا إلا عادة الأولين، والعادة أيضاً تحتمل المعنيين، مثل الأول. ثم قال عز وجل: {فَكَذَّبُوهُ فأهلكناهم} يعني: كذبوا هوداً فأهلكناهم {إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً} يعني: لعبرة لمن يعمل عمل الجبارين، ولا يقبل الموعظة، وهو تخويف لهذه الأمة {وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ} يعني: قوم عاد ولو كان أكثرهم لم يهلكهم الله تعالى: {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العزيز} يعني: المنيع بالنقمة لمن يعمل عمل الجبارين، ولا يقبل الموعظة، وهو تخويف لهذه الأمة لكيلا يسلكوا مسالكهم {الرحيم} لمن تاب.

▲ تفسير الآيات رقم [141- 159]

{كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (141) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (142) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (143) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (144) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (145) أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آَمِنِينَ (146) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (147) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (148) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (149) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (150) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (151) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (152) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (153) مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآَيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (154) قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (155) وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (156) فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا

نَادِمِينَ (157) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَأَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (158) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (159)}
قوله عز وجل: {كَذَّبَتْ ثَمُودُ المرسلين} يعني: صالحاً ومن قبله من المرسلين عليهم السلام {إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ} يعني: نبيهم {صالح أَلا تَتَّقُونَ} وقد ذكرناه {إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ *** فاتقوا الله وَأَطِيعُونِ *** وَمَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلاَّ على رَبّ العالمين} وقد ذكرناه {أَتُتْرَكُونَ *** فِيمَا ***** هاهنا *** ءامِنِينَ} يعني: في هذا الخير والسعة آمنين من الموت {فِى جنات وَعُيُونٍ} يعني: البساتين والأنهار. ويقال: العيون هاهنا الآثار، لأن قوم صالح لم يكن لهم أنهار جارية. ويقال: كانت لهم بالشتاء آبار، وكانوا يسكنون في الجبال، وفي أيام الصيف كانوا يخرجون إلى القصور والكروم والأنهار. ثم قال عز وجل: {وَزُرُوعِ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ} قال مقاتل: يعني: متراكباً بعضه على بعض. وقال القتبي: الهضيم الطلع قبل أن تنشق عنه القشر يريد أنه ينضم متكثر يقال: رجل أهضم الكشحين إذا كان منضماً. ويقال: هضيم أي طري لين ويقال: هضيم متهشهش في الفم {وَتَنْحِتُونَ مِنَ الجبال بُيُوتاً فارهين} قرأ أبو عمرو وابن كثير ونافع: {فارهين} بغير ألف، وقرأ الباقون {فارهين} بالألف، فمن قرأ {فارهين}، فهو بمعنى أشرين بطرين، وهو الطغيان في النعمة، وإنما صار نصباً على الحال، ومن قرأ {فارهين}، أي حاذقين {فاتقوا الله وَأَطِيعُونِ} فيما آمركم.
قوله عز وجل: {وَلاَ تُطِيعُواْ أَمْرَ المسرفين} يعني: قول المشركين وهم التسعة رهط {الذين} كانوا {يُفْسِدُونَ فِى الارض وَلاَ يُصْلِحُونَ} يعني: لا يأمرون بالصلاح، ولا يجيبونه، ولا يطيعونه فأجابوه قوله: {قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مِنَ المسحرين} يعني: من المخلوقين. ويقال: ذو سحر، والسحر هو الدية، يعني: إنك مثلنا. وروي عن ابن عباس أنه قال: من المسحرين، أي من المخلوقين. وقال: أما سمعت قول لبيد:
فإن تسألينا فيم نحن فإننا *** عصافير من هذا الأنام المسحر
ويقال إنما أنت من المسحرين. يعني: سوقة مثلنا، والسوق إذا كان دون السلوك. ثم قال عز وجل: {مَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مّثْلُنَا} يعني: آدمي مثلنا {مَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مّثْلُنَا فَأْتِ} أنك رسول الله تعالى: {قَالَ هذه نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ} والشرب في اللغة النصيب من الماء والشُرب بضم الشين المصدر، والشَرب بنصب

الشين جماعة الشراب، فكان للناقة شرب يوم، ولهم شرب يوم، فذلك قوله: {وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ *** وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ} يعني: لا تصيبوها بعقر يعني: لا تقتلوها، فإنكم إن قتلتموها {فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ} يعني: صيحة جبريل عليه السلام {فَعَقَرُوهَا} يعني: قتلوا الناقة {فَأَصْبَحُواْ نادمين} يعني: فصاروا نادمين على عقرها قوله عز وجل: {فَأَخَذَهُمُ العذاب} يعني: عاقبهم الله تعالى بالعذاب {إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً} يعني: لعبرة لمن يعظم آيات الله تعالى، وكانت النَّاقة علامة لنبوة صالح عليه السلام، فلما أهلكوها ولم يعظموها صاروا نادمين، والقرآن علامة لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم، فمن رفضه، ولم يعمل بما فيه، ولم يعظمه يصير نادماً غداً، ويصيبه العذاب {وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ} يعني: قوم صالح عليه السلام {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العزيز الرحيم} يعني: المنيع بالنقمة لمن لم يعظم آيات الله تعالى، الرحيم لمن تاب ورجع.

تفسير الآيات رقم [160- 175]

{كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (160) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (161) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (162) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (163) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (164) أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (165) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (166) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (167) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ (168) رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (169) فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (170) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (171) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (172) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (173) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (174) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (175)}

قوله عز وجل: {كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ المرسلين} يعني: لوطاً وغيره {إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ} وقد ذكرناه {إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فاتقوا الله وَأَطِيعُونِ *** وَمَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلاَّ على رَبّ العالمين} وقد ذكرناه {أَتَأْتُونَ الذكران مِنَ العالمين} يعني: أتجامعون الرجال من بين العالمين {وَتَذَرُونَ} يعني: وتتركون {مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مّنْ أزواجكم} يعني:

من نسائكم {بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ} يعني: معتدين من الحلال إلى الحرام {قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يالوط *** لُوطِ} من مقالتك {لَتَكُونَنَّ مِنَ المخرجين} من قريتنا {قَالَ إِنّى لِعَمَلِكُمْ مّنَ القالين} يعني: من المبغضين ويقال: قلت الرجل إذا بغضته ومنه قوله: {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قلى} [الضحى: 3]
قوله عز وجل: {رَبّ نَّجِنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ} من الفواحش {فنجيناه وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عَجُوزاً فِى الغابرين} يعني: الباقين في العذاب. يعني: وامرأته ويقال: إن هذا من أسماء الأضداد. يقال: غبر الشيء إذا مضى، وغبر الشيء إذا بقي: وقال بعض أهل اللغة: القالي التارك للشيء، الكاره له غاية الكراهية {ثُمَّ دَمَّرْنَا الاخرين} يعني: أهلكنا الباقين {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَّطَرًا} يعني: الحجارة {فَسَاء مَطَرُ المنذرين} يعني: بئس مطر من أنذر، فلم يؤمن {إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً} يعني: لعبرة لمن عمل الفواحش، أي وارتكب الحرام {وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العزيز الرحيم} يعني: المنيع بالنقمة لمن ارتكب الفواحش، وعمل الحرام رحيم لمن تاب، وقد ذكرناه.

▲ تفسير الآيات رقم [176- 180]

{كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (176) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (177) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (178) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (179) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (180)}

قوله عز وجل: {كَذَّبَ أصحاب لْئَيْكَةِ} قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي {لْئَيْكَةِ} بكسر الهاء والألف، والباقون {***ليكة} بغير ألف ونصب الهاء اسم بلد، ولا ينصرف. من قرأ الأيكة فلأنها عرفت بالألف واللام، فيصير خفضاً بالإضافة في الشاذ ليكة بكسر الهاء بغير ألف، لأن الأصحاب مضاف إلى ليكة، فصار اسماً واحداً. ويقال: الأيكة هي الشجرة الملتفة يقال: أيك وأيكة، مثل أجم وأجمة، ويقال: شجرة الدوم، وهو شجر المقل. ثم قال عز وجل: {المرسلين إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ} ولم يقل أخوهم قال بعضهم: كان شعيب بعث إلى قومين أحدهما مدين، وكان شعيب منهم، فسماه أخاهم حيث قال: {وإلى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ ياقوم اعبدوا الله مَا لَكُمْ مّنْ إله

غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ المكيال والميزان إنى أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وإنى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ} [هود: 84]، والآخر أصحاب الأيكة، ولم يكن شعيب عليه السلام منهم، فلم يقل أخوهم وقال بعضهم: كان مدين، والأيكة واحداً، وهو الغيضة بقرب مدين، فذكره في موضع أخوهم، ولم يذكره في الآخر. ثم قال: {أَلاَ تَتَّقُونَ} يعني: ألا تخافون الله تعالى فتوحدوه {إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ *** فاتقوا الله وَأَطِيعُونِ *** وَمَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلاَّ على رَبّ العالمين} وقد ذكرناه.

▲ تفسير الآيات رقم [181- 191]

{أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (181) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (182) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (183) وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ (184) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (185) وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (186) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (187) قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (188) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (189) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (190) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (191)}

ثم قال عز وجل: {أَوْفُواْ الكيل وَلاَ تَكُونُواْ مِنَ المخسرين} يعني: من الناقصين في الكيل والوزن، وفي هذا دليل على أنه أراد بهذا أهل مدين، لأنه ذكر في تلك الآية {وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ اليتيم إِلاَّ بالتى هِىَ أَحْسَنُ حتى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الكيل والميزان بالقسط لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فاعدلوا وَلَوْ كَانَ ذَا قربى وَبِعَهْدِ الله أَوْفُواْ ذلكم وصاكم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الأنعام: 152] كما ذكرها هنا ثم قال: {وَزِنُواْ بالقسطاس المستقيم} يعني: بميزان العدل بلغة الروم. ويقال: هو القبان {وَلاَ تَبْخَسُواْ الناس أَشْيَاءهُمْ} يعني: لا تنقصوا الناس حقوقهم قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص {بالقسطاس} بكسر القاف، والباقون بالضم، وهما لغتان. ثم قال: {وَلاَ تَعْثَوْاْ فِى الارض مُفْسِدِينَ} يعني: لا تسعوا فيها بالمعاصي. يقال: عثى يعثو وعاث يعيث، وعثى يعثي إذا ظهر الفساد. ثم قال عز وجل: {واتقوا الذى خَلَقَكُمْ والجبلة الاولين} يعني:

الخليقة الأولى {قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مِنَ المسحرين * وَمَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا} وقد ذكرنا {وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الكاذبين} يعني: ما نظنك إلا من الكاذبين {فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِّنَ السماء} أي جانباً من السماء، وقرئ {كِسَفًا} بنصب السين، أي قطعاً، وهو جمع كسفة {إِن كُنتَ مِنَ الصادقين * قَالَ} لهم شعيب عليه السلام: {رَبّى أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ} من نقصان الكيل {فَكَذَّبُوهُ} في العذاب {فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظلة} لأنه أصابهم حر شديد، فخرجوا إلى غيضة، فاستظلوا بها، فأرسل عليهم ناراً، فأحرقت الغيضة، فاحترقوا كلهم {إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} صار العذاب نصباً، لأنه خبر كان {إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً} يعني: لعبرة لمن نقص في الكيل والوزن {وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ} يعني: قوم شعيب {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العزيز} بالنقمة لمن نقص الكيل والوزن {الرحيم} لمن تاب ورجع.

تفسير الآيات رقم [192- 199]

{وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (196) أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آَيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (197) وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (198) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (199)}

قوله عز وجل: {وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبّ العالمين} يعني: القرآن ويقال: إنه إشارة إلى ما ذُكر في أول السورة تلك آيات الكتاب المبين، وأنه يعني: الكتاب لتنزيل رب العالمين {نَزَلَ بِهِ الروح الامين} قرأ حمزة والكسائي وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر {نَزَّلَ} بالتشديد وقرأ الباقون بالتخفيف، فمن قرأ بالتشديد، فمعناه نَزَّلَ الله تعالى بالقرآن الروح الأمين، يعني: جبريل عليه السلام نصب الروح لوقوع الفعل عليه، يعني: أنزل الله تعالى جبريل بالقرآن، ومن قرأ بالتخفيف، فمعناه نزل جبريل عليه السلام بالقرآن، فجعل الروح رفعاً، لأنه فاعل ثم قال: {على قَلْبِكَ} أي نزله عليك ليثبت به قلبك ويقال أي يحفظ به قلبك. ويقال: {على قَلْبِكَ} أي نزل على قدر فهمك وحفظك. ويقال: أي نزله عليك فوعاه قلبك، وثبت فيه، فلا تنساه أبداً كما قال: {سَنُقْرِئُكَ فَلاَ

تنسى} [الأعلى: 6] ويقال: على قلبك يعني: على موافقة قلبك ومرادك {لِتَكُونَ مِنَ المنذرين} يعني: من المخوفين بالقرآن للكفار من النار. ثم قال عز وجل: {لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ} يعني: مبين لهم بلغتهم. ويقال: بلغة قريش وهوازن، وكان لسانهما أفصح. قال مقاتل: وذلك أنهم كانوا يقولون: إنه يُعلمه أبو فكيهة، وكان أعجمياً رومياً، فأخبر أن القرآن بلغة قريش {وَإِنَّهُ لَفِى زُبُرِ الاولين} يعني: أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وصفته في كتب الأَولين، كما قال: {الذين يَتَّبِعُونَ الرسول النبى الأمى الذى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى التوراة والإنجيل يَأْمُرُهُم بالمعروف وينهاهم عَنِ المنكر وَيُحِلُّ لَهُمُ الطيبات وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخبائث وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ والاغلال التى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فالذين ءَامَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ واتبعوا النور الذى أُنزِلَ مَعَهُ أولئك هُمُ المفلحون} [الأعراف: 157] والزبر الكتب، واحدها زبور، مثل رسل ورسول، ويقال: إنه يعني: القرآن لفي زبر الأولين، يعني: بعضه كان في كتب الأولين، ويقال: نعت القرآن، وخبره كان في كتب الأولين، ثم قال عز وجل: {أَوَ لَمْ يَكُن لَّهُمْ ءايَةً} بالتاء وضم الهاء، وقرأ الباقون بالياء بلفظ التذكير {ءايَةً} بالنصب، فمن قرأ بلفظ التذكير والنصب، جعل {أَن يَعْلَمَهُ} اسم كان، وجعل {ءايَةً} خبر كان، والمعنى أو لم يكن لهم علم علماء بني إسرائيل على جهة المعنى. ومن قرأ بلفظ التأنيث والضم، جعل {ءايَةً} هي الاسم، {وَأَنْ * يَعْلَمْهُ} خبر تكن، ومعنى القراءتين واحد، وذلك أن كفار مكة بعثوا رسولاً إلى يهود المدينة، وسألوهم عن بعثته فقالوا: هذا زمان خروجه ونعته كذا، فنزل: {أَوَ لَمْ يَكُن لَّهُمْ ءايَةً} يعني: لكفار مكة علامة {أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاء بَنِى إسراءيل} يعني: إن هذا علامة لهم ليؤمنوا به. ثم قال: {وَلَوْ نزلناه على بَعْضِ الاعجمين} يعني: القرآن لو نزلناه بالعبرانية على رجل ليس بعربي اللسان من العبرانيين {فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم} يعني: على كفار مكة {مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ} يعني: بالقرآن، فهذا منة من الله تعالى، حيث خاطبهم بلغتهم ليعرفوه وليفهموه. وقال القتبي: في قوله على بعض الأعجمين. يقال: رجل أعجمي إذا كان في لسانه عجمة، وإن كان من العرب، ورجل عجمي بغير ألف إذا كان من العجم وإن كان فصيح اللسان.

{كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (200) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (201) فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (202) فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ (203) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (204) أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (205) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (206) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (207) وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ (208) ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ (209) وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (210) وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (211) إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ (212) فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (213)}

ثم قال عز وجل: {كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ} يعني: جعلنا التكذيب بالقرآن {فِى قُلُوبِ المجرمين} يعني: المشركين مجازاة لهم أن طبع على قلوبهم، وسلك فيها التكذيب. ويقال: جعل حلاوة الكفر في قلوبهم {لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} يعني: بالقرآن ويقال: بمحمد صلى الله عليه وسلم {حتى يَرَوُاْ العذاب الاليم} في الدنيا والآخرة {فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً} يعني: يأتيهم العذاب فجأة {وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ} به فيتمنون الرجعة والنظرة {فَيَقُولُواْ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ} فلما وعدهم العذاب قالوا: فأين العذاب؟ تكذيباً به يقول الله تعالى: {أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ} يعني: أبمثل عذابنا يستهزئون ثم قال {أَفَرَأَيْتَ إِن متعناهم سِنِينَ} يعني: سنين الدنيا كلها. ويقال: سنين كثيرة {ثُمَّ جَاءهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ} من العذاب. قوله عز وجل: {مَا أغنى عَنْهُمْ} يعني: ما ينفعهم {مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ} في الدنيا. ثم خوفهم فقال: {وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ} يعني: من أهل قرية فيما خلا {إِلاَّ لَهَا مُنذِرُونَ} يعني: رسلاً ينذرونهم {ذِكْرِى} يعني: العذاب تذكرة وتفكراً، قال بعضهم: إن {ذِكْرِى} في موضع النصب. وقال بعضهم: في موضع رفع، أما من قال: في موضع النصب، فيقول لها منذرون يذكرونهم ذكرى، يعني: يعظونهم عظة. ومن قال: إنه في موضع رفع فيقول لها منذرونهم ذكرى {وَمَا كُنَّا ظالمين} يعني: بإهلاكنا إياهم ثم قال عز وجل: {وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشياطين}.

روي عن الحسن أنه قرأ {وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ} شبههُ بقوله: كافرون ومسلمون. قال أبو عبيدة: وهذا وهم، لأن واحدها شيطان، والنون فيه أصلية أما مسلمون

وكافرون، فالنون فيهما زائدة في الجمع، لأن واحدهما مسلم وكافر. وقال بعضهم: هذا غلط على الحسن، لأنه كان فصيحاً لا يخفى عليه، وإنما الغلط من الراوي، ومعنى الآية أن المشركين كانوا يقولون: إن الشيطان هو الذي يقرأ عليه. قال الله تعالى رداً لقولهم: {ظالمين وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشياطين} {وَمَا يَنبَغِى لَهُمْ} يعني: وما جاز لهم {وَمَا يَسْتَطِيعُونَ} ذلك وقد حيل بينهم وبين السمع.

وقد روي عن ابن عباس أنه قال لا يستطيعون أن يحملوا القرآن، ولو فعلوا ذلك لاحترقوا. ثم قال عز وجل: {إِنَّهُمْ عَنِ السمع لَمَعْزُولُونَ} يعني: إنهم عن الاستماع لمحجوبون وممنوعون ثم قال {فَلاَ تَدْعُ مَعَ الله إلها ءاخَرَ} وذلك حين دُعي إلى دين آبائه، فأخبر الله تعالى أنه لو اتخذ إلها آخر عذبه الله تعالى، وإن كان كريماً عليه كقوله: {وَلَقَدْ أُوْحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى الذين مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخاسرين} [الزمر: 65] فكيف بغيره.

وروي في الخبر: أن الله تعالى أوحى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل، يقال له أرميا، بأن يخبر قومه بأن يرجعوا عن المعصية، فإنهم إن لم يرجعوا أهلكتهم، فقال أرميا: يا رب إنهم أولاد أنبيائك، وأولاد إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، أفتهلكهم بذنوبهم؟ فقال الله تعالى: وإنما أكرمت أنبيائي، لأنهم أطاعوني، ولو أنهم عصوني لعذبتهم، وإن كان إبراهيم خليلي ويقال: {فَلاَ تَدْعُ مَعَ الله إلها ءاخَرَ} الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم المراد به غيره، لأنه علم أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يتخذ إلهاً آخر ثم قال {فَتَكُونَ مِنَ المعذبين} إن عبدت غيري، فتكون من الهالكين.

▲ تفسير الآيات رقم [214- 220]

{وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (214) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (215) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (216) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (217) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (218) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (219) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (220)}

قوله عز وجل: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الاقربين} يعني: خوف أقرباءك بالنار لكي يؤمنوا، أو يثبتوا على الإيمان من كان منهم مؤمناً. وروى هشام عن الحسن قال لما نزلت هذه الآية {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الاقربين} جمع النبي صلى الله عليه وسلم أهل بيته فقال لهم: «يَا بَنِي هَاشِمٍ يَا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكُمْ، وَأَنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ الله شَيْئاً، لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ، وَإِنَّما أَوْلِيائِي مِنْكُمُ المُتَّقُونَ، فَلا أَعْرِفَنَّ مَا جَاءَ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِالآخِرَةِ، وَجِئْتُمْ بِالدُّنيا تَحْمِلُونَها عَلَى رِقَابِكُمْ» وذكر السدي هكذا ثم قال: «أَلا فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ». وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال لما نزل {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الاقربين} أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا، فصعد عليه، ثم نادى بأعلى صوته: «يا صباحاه» فاجتمع الناس فقال صلى الله عليه وسلم: «يَا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً بِسَفْحِ هذا الجَبَلِ تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَصَدَّقْتُمُونِي؟» قالوا: نعم. قال: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَي عَذَابٍ شَدِيدٍ». فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم ألهذا دعوتنا؟ فنزل {تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ} [المسد: 1].

ثم قال عز وجل: {واخفض جَنَاحَكَ لِمَنِ اتبعك مِنَ المؤمنين} يعني: لين جانبك لمن اتبعك من المؤمنين يعني: من المصدقين {فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ} قال مقاتل: فيها تقديم يعني: الأقربين أي: فإن خالفوك {فَقُلْ إِنِّى بَرِىءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ} من الشرك ثم قال: {وَتَوكَّلْ عَلَى العزيز الرحيم} قرأ نافع وابن عامر بالفاء فتوكل، لأنه متصل بالكلام الأول، ودخلت الفاء للجزاء وقرأ الباقون: {وَتَوَكَّلْ} بالواو على وجه العطف، {وَتَوكَّلْ عَلَى العزيز الرحيم} يعني: أي ثق بالله، وفوض جميع أمورك إلى العزيز الرحيم {الذى يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ} في الصلاة وحدك {وَتَقَلُّبَكَ فِى الساجدين} أي: وحين تصلي في الجماعة. وقال عكرمة: وتقلبك في الساجدين قال في حال القيام والركوع والسجود يعني: يرى قيامك وركوعك وسجودك، ويراك مع المصلين ويقال: الذي يراك حين تقوم من مقامك للصلاة بالليل، ويقال: حين تقوم وتدعو الناس إلى شهادة أن لا إله إلا الله، ويقال وتقلبك في الساجدين يعني: تقلبك في أصلاب الآباء، وأرحام الأمهات من آدم إلى نوح، وإلى إبراهيم، وإلى من بعده صلوات الله عليهم. قوله عز وجل: {إِنَّهُ هُوَ السميع العليم} يعني: بآبائهم وبأعمالهم.

تفسير الآيات رقم [221- 227]

{هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (221) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (222) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (223) وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (226) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (227)}

ثم قال {هَلْ أُنَبّئُكُمْ} يعني: هل أخبركم {على مَن تَنَزَّلُ الشياطين} هذا موصول بقوله: {وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشياطين} {تَنَزَّلُ على كُلّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ} يعني: كذاب صاحب الإثم، فاجر القلب. الأفاك الكذاب، والأثيم الفاجر، يعني به كهنة الكفار {يُلْقُونَ السمع} يعني: يلقون بآذانهم إلى السمع من السماء لكلام الملائكة عليهم السلام {وَأَكْثَرُهُمْ كاذبون} يعني: حين يخبرون الكهنة.

وروى معمر عن الزهري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: الشياطين تسترق السمع، فتجيء بكلمة حق، فتقذفها في أذن وليها، فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة، وهذا كان قبل أن يحجبوا من السماء ثم قال عز وجل: {والشعراء يَتَّبِعُهُمُ الغاوون} قال قتادة ومجاهد: يتبعهم الشياطين. وقال في رواية الكلبي: الغاوون هم الرواة الذين كانوا يروون هجاء النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فيتبعهم. ويقال: الغاوون هم الضالون. ويقال: شعراء الكفار كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قال عز وجل: {أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلّ وَادٍ يَهِيمُونَ} يعني: في كل وجه وفن يذهبون ويخوضون، يأخذون مرة يذمون، ومرة يمدحون، وذكر عن القتبي أنه قال: في كل واد يهيمون من القول، وفي كل مذهب يذهبون كما تذهب البهائم على وجهها. وقال غيره: هام الرجل والبعير، إذا مضى على وجهه، لا يدري أين يذهب، فكذلك الشاعر يأخذ كلامه لا يدري أين ينتهي. قرأ نافع وحده يتبعهم بجزم التاء، والتخفيف، وقرأ الباقون يتبعهم بنصب التاء والتشديد، وهما بمعنى واحد يتبعهم ويتبعهم ثم قال: {وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ} يعني: أن الشعراء يقولون: قد فعلنا كذا وكذا. وقلنا: كذا، فيمدحون بذلك أنفسهم وهم كذبة، ثم استثنى شعراء المسلمين حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك رضي الله عنهم، فقال عز وجل: {إِلاَّ الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات وَذَكَرُواْ الله كَثِيراً} يعني: ذكروا الله في أشعارهم. ويقال: وذكروا الله عز وجل في الأحوال

كلها {وانتصروا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ} يعني: انتصر شعراء المسلمين من شعراء الكافرين، فكافؤوهم والبادئ أظلم. ويقال: انتصروا من أهل مكة من بعدما أخرجوا، لأن الحرب تكون بالسيف وباللسان، فأذن القتال بالشعر، كما أذن بالسيف، إذ فيه قهرهم.

ثم أوعد شعراء الكافرين فقال تعالى: {وَسَيَعْلَمْ الذين ظَلَمُواْ} يعني: الذين هجوا المسلمين {أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ} يعني: أي مرجع يرجعون إليه في الآخرة يعني: إلى الخسران والنار. ويقال: هاتان الآيتان مدنيتان، يذكر أنه لما نزل {والشعراء يَتَّبِعُهُمُ الغاوون} جاء عبد الله بن رواحة، وحسان بن ثابت، وهما يبكيان فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم {والشعراء} إلى قوله: {إِلاَّ الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات} فقال: عليه السلام " هذا أنتم {وانتصروا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ}». وروي عن عكرمة قال عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً، وَإِنَّ مِنَ الشُّعَرَاءِ لَحُكَمَاءَ " وفي رواية أخرى: " وَإِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْراً " والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

▲ سورة النمل

▲ تفسير الآيات رقم [1- 7]

{طس تِلْكَ آَيَاتُ الْقُرْآَنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (1) هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (3) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ (4) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (5) وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآَنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (6) إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آَنَسْتُ نَارًا سَآَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آَتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (7)}

قول الله سبحانه وتعالى: {طس تِلْكَ ءايات القرءان} يعني: هذه الأحكام ويقال: تلك الآيات التي وعدتم بها، وذلك أنهم وعدوا بالقرآن في كتبهم. ويقال: يعني: العلامات جميع الأحرف للقرآن {وكتاب مُّبِينٌ} كلاهما واحد، وإنما كرر اللفظ للتأكيد {مُّبِينٌ} يعني: بيّن ما فيه من أمره ونهيه. ويقال: مبين للأحكام الحلال والحرام. ثم قال: {هُدًى} يعني: القرآن هدى وبياناً من الضلالة لمن عمل به. ويقال {هُدًى} يعني: هادياً {وبشرى لِلْمُؤْمِنِينَ} يعني: ما فيه من الثواب للمؤمنين، قرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو وورش عن نافع {وبشرى} بإمالة الراء، وقرأ الباقون بالتفخيم، وكلاهما جائز، والإمالة أكثر في كلام العرب، والتفخيم أفصح، وهي لغة أهل الحجاز {لِلْمُؤْمِنِينَ}، يعني: للمصدقين بالقرآن أنه من الله تعالى. ثم نعتهم فقال: {الذين يُقِيمُونَ الصلاة} يعني: يقرون بها ويتمونها {وَيُؤْتُونَ الزكواة} يعني: يقرون بها ويعظمونها {وَهُم بالاخرة هُمْ يُوقِنُونَ} يعني: يصدقون بأنها كائنة ثم قال: {إِنَّ الذين لاَ يُؤْمِنُونَ بالاخرة} أي: لا يصدقون بالبعث بعد الموت {زَيَّنَّا لَهُمْ أعمالهم} يعني: ضلالتهم عقوبة لهم ولما عملوا، ومجازاة لكفرهم زينا لهم سوء أعمالهم {فَهُمْ يَعْمَهُونَ} يعني: يترددون فيها، ويتحيرون في ضلالتهم. قوله عز وجل: {أولئك} يعني: أهل هذه الصفة {الذين لَهُمْ سُوء العذاب} يعني: شدة العذاب {وَهُمْ فِى الاخرة هُمُ الاخسرون} يعني: الخاسرون بحرمان النجاة، والمنع من الحسنات. ويقال: هم أخسر من غيرهم وقال أهل اللغة متى ذكر الأخسر مع الألف واللام، فيجوز أن يراد به الأخسر من

غيرهم. وإن لم يذكر غيرهم، وإن ذكر بغير ألف ولام، فلا يجوز أن يقال: هو أخسر إلا أن يبين أنه هو أخسر من فلان أو من غيره. قوله عز وجل: {وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى القرءان} يعني: كقوله {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الذين صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [فصلت: 35] يعني: مما يؤتي بها. ويقال: وما يؤتي، {وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى القرءان} يعني: لتلقن القرآن. وقال أهل اللغة تلقى وتلقن بمعنى واحد إذا أخذ وَقُبِلَ من غيره ويقال {وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى القرءان}، أي يلقى إليك القرآن وحياً من الله عز وجل. ثم قال: {مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ} يعني: نزل عليك جبريل من عند حكيم عليم في أمره، عليم بأعمال الخلق قوله عز وجل: {إِذْ قَالَ موسى لِاهْلِهِ} قال بعضهم: معناه إنه عليم بما نزل عليك، كعلمه بقول موسى عليه السلام ويقال: حكمت لك بالنبوة، كما حكمت لموسى، إذ قال لأهله: {إِنّى آنَسْتُ نَاراً} يعني: رأيت ناراً {إِذْ قَالَ موسى} يعني: خبر الطريق {إِذْ قَالَ موسى لِاهْلِهِ} يعني: بنار ويقال: كل أبيض ذو نور فهو شهاب، والقبس كل ما يقتبس من النار، والقبس يعني: المقبوس. كما يقال: ضرب فلان، يعني: مضروبه.

قرأ عاصم وحمزة والكسائي {شِهَابٌ *** قَبَسٍ} بالتنوين، وقرأ الباقون بغير تنوين، فمن قرأ منوناً، جعل القبس نعت الشهاب ومن قرأ بشهاب غير منون، أضاف الشهاب إلى القبس ثم قال {لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ} يعني: تستدفئون من البرد.

تفسير الآيات رقم [8- 14]

{فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (8) يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (9) وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآَهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (10) إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (11) وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آَيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (12) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آَيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (13) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (14)}

قوله عز وجل: {فَلَمَّا جَاءهَا} يعني: النار ويقال يعني: الشجرة {نُودِىَ أَن بُورِكَ مَن فِى النار} يعني: بورك مَنْ عند النار، وهو موسى عليه السلام {وَمَنْ حَوْلَهَا} يعني: الملائكة عليهم السلام وهو على وجه التقديم يعني: فلما جاءها ومن حولها من الملائكة، نودي أن بورك من في النار، أي: عند النار. ويقال: من في طلب النار أو قصدها والمعنى: بورك فيك يا موسى.
وقال أهل اللغة: باركه وبارك فيه، وبارك عليه واحد، وهذا تحية من الله تعالى لموسى عليه السلام ثم قال: {وسبحان الله} يعني: قيل له قل سبحان الله تنزيهاً لله تعالى من السُّوء ويقال: إنه أي الله في النداء قال: فسبحان الله {رَبّ العالمين} وقال بعض المفسرين: كان ذلك نور رب العزة، وإنما أراد به تعظيم ذلك النور، كما يقال للمساجد بيوت الله تعظيماً لها.
ثم قال عز وجل: {العالمين ياموسى إِنَّهُ أَنَا الله} وذكر عن الفراء أنه قال: هذه الهاء عماد، وإنما يراد به وصل الكلام، كما يقال: إنما، وما يكون للوصل كذلك هاهنا، فكأنه قال: يا موسى إني أنا الله {العزيز الحكيم} ويقال: معناه إن الذي تسمع نداءه هو الله العزيز الحكيم قوله عز وجل: {وَأَلْقِ عَصَاكَ} يعني: من يدك فألقاها، فصارت حية، وقد يجوز أن يضمر الكلام إذا كان في ظاهره دليل {فَلَمَّا رَءاهَا تَهْتَزُّ} يعني: تتحرك {كَأَنَّهَا جَانٌّ} يعني: حية والجان هي الحية الخفيفة الأهلية، فإن قيل: إنه قال في آية أخرى، {فألقى عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ} [الأعراف: 107] والثعبان الحية الكبيرة، فأجاب بعض أصحاب المعاني أنه كان في كبر الثعبان، وفي خفة الجان قال الفقيه أبو الليث رحمه الله: والجواب الصحيح أن الثعبان كان عند فرعون، والجان عند الطور ثم قال: {ولى مُدْبِراً} يعني: أدبر هارباً من الخوف {وَلَمْ يُعَقّبْ} يعني: لم يرجع ويقال: لم يلتفت يقول الله تعالى لموسى {خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ} من الحية {إِنّى لاَ يَخَافُ لَدَىَّ المرسلون} يعني: لا يخاف عندي، ثم استثنى فقال: {إَلاَّ مَن ظَلَمَ} قال مقاتل: إلا من ظلم نفسه من المرسلين، مثل آدم وسليمان، وإخوة يوسف، وداود وموسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.
ويقال: إلا من ظلم يعني: لكن من ظلم {ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوء} أي: فعل إحساناً بعد إساءته {فَإِنّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ} قال الكلبي: {إَلاَّ مَن ظَلَمَ} يعني: أشرك فهذا الذي يخاف {ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً} يعني: توحيداً بعد سوء، يعني: بعد شرك {فَإِنّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ}.

قال أبو الليث رحمه الله: ويكون إلا على هذا التفسير، بمعنى لكن لا وعلى وجه الاستثناء، وذكر عن الفراء أنه قال: الاستثناء وقع في معنى مضمر من الكلام، كأنه قال: لا يخاف لدي المرسلون، بل غيرهم الخائف.

وقال القتبي: هذا لا يصح، لأن الإضمار يصح إذا كان في ظاهره دليل، ولكن معناه أن الله تعالى لما قال: {إِنّى لاَ يَخَافُ لَدَىَّ المرسلون}، علم أن موسى كان مستشعراً خيفة من قبل القبطي، فقال: {إَلاَّ مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوء} فإنه يخاف، ولكني أغفر له، {فَإِنّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ}. ويقال {إَلاَّ مَن ظَلَمَ} يعني، ولا من ظلم، ولا يبين ظلمه، {ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوء} فإنه لا يخاف أيضاً، ثم قال عز وجل: {وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ} يعني: جيب المدرعة، ثم أخرجها {تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوء} يعني: من غير برص {وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى} يعني: هذه الآية من تسع آيات، كما تقول أعطيت لفلان عشرة أبعرة فيها فحلان، أي منها وقد بيّن في موضع آخر حيث قال: {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا موسى تِسْعَ ءايات بَيِّنَاتٍ فاسأل بَنِى إسراءيل إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَونُ إِنِّى لأَظُنُّكَ ياموسى مَسْحُورًا} [الإسراء: 101] وقد ذكرناها {إِلى فِرْعَوْنَ} أي اذهب إلى فرعون {وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً فاسقين} يعني: إنهم كانوا قوماً عاصين قوله: {فَلَمَّا جَاءتْهُمْ ءاياتنا} يعني: جاءهم موسى بآياتنا التسع {مُبْصِرَةً} يعني: معاينة. ويقال: مبينة، أي علامة لنبوته، ويقال: مبصرة يعني: مضيئة واضحة {قَالُواْ هذا سِحْرٌ مُّبِينٌ} أي بيّن {وَجَحَدُواْ بِهَا} يعني: بالآيات بعد المعرفة {واستيقنتها أَنفُسُهُمْ} أنها من الله تعالى، وإنما استيقنتها قلوبهم، لأن كل آية رأوها استغاثوا بموسى، وسألوا بأن يكشف عنهم، فكشفنا عنهم، فظهر لهم بذلك أنه من الله تعالى، وفي الآية تقديم. ومعناه وجحدوا بها {ظُلْماً} يعني: شركاً {وَعُلُوّاً} يعني: تكبراً وترفعاً عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى {واستيقنتها} أنفسهم يعني: وهم يعلمون أنها من الله.

ثم قال: {فانظر كَيْفَ كَانَ عاقبة المفسدين} يعني: الذين يفسدون في الأرض بالمعاصي، فكانت عاقبتهم الغرق.

تفسير الآيات رقم [15- 19]

{وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (15) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (16) وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (17) حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19)}

قوله عز وجل: {وَلَقَدْ ءاتَيْنَا * دَاوُودُ ***** وسليمان عِلْماً} يعني: علم القضاء، والعلم بكلام الطير والدوابّ {وَقَالاً} يعني: داود وسليمان {الحمد لِلَّهِ الذى فَضَّلَنَا على كَثِيرٍ مّنْ عِبَادِهِ المؤمنين} بالكتاب والنبوة وكلام البهائم والطير والملك، ويقال: فضلنا على كثير من الأنبياء، حيث لم يعط أحداً من الأنبياء عليهم السلام ما أعطانا. وقال مقاتل: كان سليمان أعظم ملكاً، وأقضى من داود، وكان داود أشدَّ تعبداً من سليمان عليهما السلام.

ثم قال عز وجل: {وَوَرِثَ سليمان * دَاوُودُ} يعني: ورث ملكه. وقال الحسن: ورث المال والملك لا النبوة والعلم، لأن النبوة والعلم من فضل الله، ولا يكون بالميراث ويقال: ورث العلم والحكم لأن الأنبياء عليهم السلام لا يورثون دراهم ولا دنانير.

{وَقَالَ} سليمان لبني إسرائيل: {وَقَالَ ياأيها الناس عُلّمْنَا مَنطِقَ الطير} يعني: أفهمنا وألهمنا منطق الطير، وذلك أن سليمان كان جالساً في أصحابه إذ مرّ بهم طير يصوت، فقال لجلسائه: أتدرون ماذا يقول؟ قالوا: لا. قال: إنه يقول: ليت الخلق لم يخلقوا، فإذا خلقوا علموا لماذا خلقوا قال: وصاح عنده ديك فقال: هل تدرون ماذا يقول؟ قالوا: لا. قال: إنه يقول اذكروا الله يا غافلين.

ثم قال تعالى: {وَأُوتِينَا مِن كُلّ شَئ} يعني: أعطينا علم كل شيء. ويقال: النبوة والملك وتسخير الجن والشياطين والرياح. {إِنَّ هَذَا} الذي أعطينا {لَهُوَ الفضل المبين} يعني: المبين ويقال: المبين تبين للناس فضلهم.

ثم قال عز وجل: {وَحُشِرَ لسليمان جُنُودُهُ} يعني: جموعه، والحشر هو أن يجمع ليساق، ثم قال: {مِنَ الجن والإنس والطير فَهُمْ يُوزَعُونَ} يعني:

يساقون. ويقال: {يُوزَعُونَ} يعني: يكفون، ويحبس أولاهم على آخرهم، وأصل الوزع الكف، يقال: وزعت الرجل إذا كففته. وعن الحسن أنه قال: لا بد للناس من وزعة، أي: من سلطان يكفهم. وقال مقاتل: إنه استعمل جنياً عليهم يرد أولهم على آخرهم. ويقال: هكذا إعادة القوافل والعساكر. ويقال: {وَحُشِرَ}، أي: جمع لسليمان جنوده مسيرة له من الجن والإنس والطير {فَهُمْ يُوزَعُونَ} يجلس أولهم على آخرهم، حتى يجتمعوا.
قوله عز وجل: {حتى إِذَا أَتَوْا على وَادِى النمل} وذلك أن سليمان كان له بساط فرسخ في فرسخ، ويقال: أربع فراسخ في أربع فراسخ، وكان يضع عليه كرسيه وجميع عساكره، ثم يأمر الريح فترفعه، وتذهب به مسيرة شهر في ساعة واحدة، فركب ذات يوم في جموعه، فمر بواد النمل في أرض الشام. {قَالَتْ نَمْلَةٌ يأَيُّهَا * أَيُّهَا ****النمل ادخلوا مساكنكم} يعني: بيوتكم، ويقال: حجركم {لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ} أي لا يهلكنكم، ويقال: لا يكسرنكم {سليمان وَجُنُودُهُ} وإنما خاطبهم بقوله {أَدْخِلُواْ} بخطاب العقلاء لأنه حكى عنهم ما يحكى عن العقلاء، ثم قال: {وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ} يعني: قوم سليمان لا يشعرون بكم ولو كانوا يشعرون بكم لا يحطمونكم لأنهم علموا أن سليمان عليه السلام ملك عادل لا بغي فيه ولا جور، ولئن علم بها لم توطأ ويقال: {وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ} يعني: جنوده خاصة لأنه علم أن سليمان يعلم بمكانه ويتعاهده.
ويقال: {وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ} يعني: النمل لا يشعرون بجنود سليمان حتى أخبرتهم النملة المنذرة، فرفع الريح صوتها إلى سليمان. {فَتَبَسَّمَ ضاحكا مّن قَوْلِهَا} كما يكون ضحك الأنبياء عليهم السلام وإنما ضحك من ثنائها على سليمان بعدله في ملكه، يعني: أنه لو شعر بكم لم يحطمكم. ويقال: {فَتَبَسَّمَ ضاحكا} أي متعجباً. ويقال: فرحاً بما أنعم الله تعالى عليه، صار ضاحكاً، نصباً على الحال. {وَقَالَ رَبّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ التى أَنْعَمْتَ عَلَىَّ} يعني: ألهمني، ويقال: أوزعني من الكف أيضاً، كأنه قال: احفظ جوارحي لكيلا تشتغل بشيءٍ سوى شكر نعمتك عليَّ. {وعلى وَالِدَىَّ} يعني: النبوة والملك. {وَأَنْ أَعْمَلَ صالحا ترضاه} يعني: تقبله مني. وذكر أنه مر بزارع، فقال؟ الزارع: إنه ما أعطي مثل هذا الملك لأحد؟ فقال له سليمان: ألا أنبئك بما هو أفضل من هذا؟ القصد في الغنى والفقر، وتقوى الله تعالى في السر والعلانية، والقضاء بالعدل في الرضا والغضب.

ثم قال تعالى: {وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ الصالحين} يعني: أدخلني بنعمتك مع عبادك الصالحين، يعني: المرسلين في جنتك. فوقف سليمان عليه السلام بموضعه ليدخل النمل مساكنهم، ثم مضى.
قرأ يعقوب الحضرمي وأبو عمرو في إحدى الروايتين {لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ} بسكون النون وقراءة العامة بنصب النون وتشديدها، وهذه النون تدخل للتأكيد فيجوز التخفيف والتثقيل، ولفظه لفظ النهي، ومعناه جواب الأمر، يعني: إن لم تدخلوا مساكنكم حطمكم.

▲ تفسير الآيات رقم [20- 21]

{وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (20) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (21)}
ثم قال عز وجل: {وَتَفَقَّدَ الطير} يعني: طلب الطير، وذلك أنه أراد أن ينزل منزلاً، فطلب الهدهد {فَقَالَ مَالِيَ * لِيَ لاَ ****أَرَى الهدهد} وكان رئيس الهداهد، وكان سليمان قد جعل على كل صنف منهم رئيساً، ثم جعل الكركي رئيساً على جميع الطيور. قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة {مَا لِىَ} بسكون الياء. وقرأ الباقون بنصب الياء، وهما لغتان: يجوز كلاهما، ثم قال: {أَمْ كَانَ مِنَ الغائبين} يعني: أم صار غائباً لم يحضر بعد. ويقال: الميم للصلة، ومعناه أكان من الغائبين يعني: أصار من الغائبين. وذكر أن الهدهد كان مهندساً يعرف المسافة التي بينهم وبين الماء. ويقال: كان يعرف الماء من تحت الأرض، ويراه كما يرى من القارورة.
وروى عكرمة أنه قال: قلت لابن عباس: كيف يرى الماء من تحت الأرض. وأن صبياننا يأخذونه بالفخ فلا يرى الخيط والشبكة من تحت التراب. فقال ابن عباس: ما ألقى هذه الكلمة على لسانك إلا الشيطان، أما علمت أنه إذا نزل القضاء ذهب البصر. فدعا سليمان أمير الطير، فسأله عن الهدهد، فقال: أصلح الله الملك ما أدري أين هو؟ وما أرسلته مكاناً، فغضب سليمان عند ذلك وقال: {لاعَذّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً} يعني: لأنتفن ريشه فلا يطير مع الطيور حولاً ولأشمسنه في الحر حتى يأكله الذر {أَوْ لاَذْبَحَنَّهُ} يعني: لأقتلنه حتى لا يكون له نسل {أَوْ لَيَأْتِيَنّى بسلطان} يعني: بحجة بينة واضحة أعذره بها {مُّبِينٌ} بيّن، فإن قيل كيف يجوز أن يعاقب من لا يجري عليه القلم؟ قيل له: تجوز العقوبة على وجه التأديب إذا كان منه ذنب، كما يجوز للأب أن يؤدب ولده الصغير، وأما الذبح، فيجوز، وإن لم يكن منه ذنب.

قرأ ابن كثير {**ليأتينني} بنونين. وقرأ الباقون بنون واحدة، فمن قرأ بنونين فهو للتأكيد، لأن النون الأولى مشددة، وتسمى تلك نون القسم، وهي في الحقيقة نونين، والنون الثانية للإضافة. ومن قرأ بنون واحدة، فقد استثقل الجمع بين النونات، واقتصر على نونين، فأدغم إحداهما في الأخرى.

تفسير الآيات رقم [22- 26]

{فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (22) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (24) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (25) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (26)}

قوله عز وجل: {مُّبِينٍ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ} قرأ عاصم بنصب الكاف. وقرأ الباقون بالضم وهما لغتان: ومعناهما واحد. يعني: لم يلبث إلا قليلاً. ويقال: لم يظل الوقت حتى جاء الهدهد {فَقَالَ أَحَطتُ} وفي الآية مضمر، ومعناه فمكث غير بعيد أن جاءه الهدهد. فقال له سليمان: أين كنت؟ فخرّ له ساجداً وقال: أحطت {بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ} يعني: علمت ما لم تعلم، وجئتك بخبر لم تكن تعلمه، ولم يخبرك عنه أحد ثم أخبره فقال: {وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ} فإن قيل: كيف يجوز أن يقال إن سليمان لم يعلم به، وكانت أرض سبأ قريبة منه، وهناك ملك لم يعلم به سليمان؟ قيل له: علم به سليمان، ولكنه لم يعلم أنهم يسجدون للشمس. ويقال: إنه علم بها، ولكنه لم يعلم أن ملكها قد بلغ هذا المبلغ، وعلم أنهم أهل الضلالة، والإحاطة هي العلم بالأشياء بما فيها وجهتها كما قال {وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ}، يعني: من أرض سبأ، وهي مدينة باليمن بنبأ يقيني يعني: بخبر صدق لا شك فيه. ويقال: بخبر عجيب.
قرأ ابن كثير وأبو عمرو {سَبَإٍ} بالنصب بغير تنوين. وقرأ الباقون بالكسر والتنوين، فمن قرأ بالنصب جعله اسم مدينة، وهي مؤنثة لا تنصرف، ومن قرأ بالكسر والتنوين جعله اسم الرجل. ويقال: جعله اسم مكان. فقال له سليمان: وما ذلك الخبر؟ فقال: {إِنّى وَجَدتُّ امرأة تَمْلِكُهُمْ} يعني: تملك أرض

سبأ {وَأُوتِيَتْ مِن كُلّ شَىْءٍ} يعني: أعطيت علم ما في بلادها. ويقال: من كل صنف من الأموال والجنود، وأنواع الخير مما يعطى الملوك {وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ} يعني: سريراً كبيراً أعظم من سريرك. ويقال: كان طول سريرها ثمانون ذراعاً في ثمانين مرصعاً بالذهب والدر والياقوت، وقوائمه من اللؤلؤ والياقوت، واسمها بلقيس. قال مقاتل: كانت أمها من الجن. ويقال: ولها عرش عظيم، أي شديد. قوله عز وجل: {وَجَدتُّهَا} يعني: رأيتها {وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ} يعني: يعبدون الشمس {مِن دُونِ الله وَزَيَّنَ لَهُمُ الشيطان أعمالهم} الخبيثة {فَصَدَّهُمْ عَنِ السبيل فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ} يعني: طريق الهدى، ومعناه صدهم الشيطان عن الإسلام، فهم لا يهتدون. يعني: لا يعرفون الدين قوله عز وجل: {أَلاَّ يَسْجُدُواْ للَّهِ} قرأ الكسائي {إلا} بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد، فمن قرأ بالتخفيف، فمعناه أن الهدهد قال عند ذلك: أنْ لاَ تسجدوا لله؟ وقال مقاتل: هذا قول سليمان قال لقومه: {أَلاَّ يَسْجُدُواْ} ويقال هذا كلام الله {أَلاَّ يَسْجُدُواْ للَّهِ} وهذا من الاختصار، فكأنه قال: ألا يا هؤلاء اسجدوا لله. ومن قرأ بالتشديد فمعناه فصدهم عن السبيل أن لا يسجدوا لله.
يعني: لأن لا يسجدوا. ويقال: معناه وزين لهم الشيطان أعمالهم، لأن لا يسجدوا وإذا قرئ بالتخفيف، فهو موضع السجدة، وإذا قرئ بالتشديد، فليس بموضع سجدة في الوجهين جميعاً. وهذا القول أحوط {الذى يُخْرِجُ الخبء} يعني: المخبئات {فِي السموات *** والارض} مثل الثلج والمطر، وفي الأرض مثل النبات والأشجار والكنوز والموتى. ويقال: الذي يظهر سر أهل السموات والأرض، ويعلنها فذلك قوله تعالى: {وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ} ثم قال عز وجل: {الله لاَ إله إِلاَّ هُوَ رَبُّ العرش العظيم} أي الذين يعلم ذلك. قرأ عاصم والكسائي في رواية حفص {مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ} بالتاء على معنى المخاطبة لهم. وقرأ الباقون بالياء على معنى الخبر لهم.

▲ تفسير الآيات رقم [27- 33]

{قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (28) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (31) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا

حَتَّى تَشْهَدُونِ (32) قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (33)}

{قَالَ} سليمان {سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ} في قولك {أَمْ كُنتَ مِنَ الكاذبين} يعني: أم أنت فيها من الكاذبين، فكتب كتاباً وقال له: {اذهب بّكِتَابِى هذا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فانظر مَاذَا يَرْجِعُونَ} يعني: على ماذا يتفقون. {ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ}. يعني: ارجع عنهم ويقال ليس فيها تقديم. ومعناه: {اذهب بّكِتَابِى هذا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ} يعني: استأخر في ناحية غير بعيد، {فانظر مَاذَا يَرْجِعُونَ}؟ أي ماذا يريدون من الجواب؟ قرأ ابن عامر وابن كثير، {***فألقهي} إليهم بالياء بعد الهاء. وقرأ أبو عمرو في إحدى الروايتين وقرأ حمزة وعاصم بالجزم. وقرأ نافع {هذا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ} بكسر الهاء، ولا يبلغ الياء، وكل ذلك جائز في اللغة. والقراءة بالياء أوسع اللغتين وأكثر استعمالاً. قال مقاتل: فجعل الهدهد الكتاب في منقاره، ثم طار حتى وقف على رأس المرأة، فرفرف ساعة، والناس ينظرون إليه، فرفعت المرأة رأسها، فألقى الكتاب في حجرها.

وروي في بعض الروايات أنها كانت نائمة في البيت، وقد أغلقت بابها، فدخل من الكوة، ووضع الكتاب على صدرها. ويقال: عند رأسها. وأكثر الروايات أنه ألقاه في حجرها، فقرأت الكتاب. قرأت فيه الخاتم، فارتعدت وخضعت، وخضع من معها من الجنود، لأن ملك سليمان كان في خاتمه، فقرأت الكتاب، وأخبرتهم بما فيه قال مقاتل: ولم يكن في الكتاب إلا قوله: {إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ الله الرحمن الرحيم * أَلاَّ تَعْلُواْ عَلَيَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ} لأن كلام الأنبياء عليهم السلام على الإجمال، ولا يكون على التطويل. وقال في رواية الكلبي: نكتب فيه إن كنتم من الإنس، فعليكم بالطاعة، وإن كنتم من الجن، فقد عبدتم إلى قوله عز وجل: {قَالَتْ} أي المرأة {قَالَتْ ياأيها الملا إِنّى أُلْقِىَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ} يعني: حسن. ويقال: كتاب مختوم.

وروي عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كرامة الكتاب ختمه». ويقال: كل كتاب لا يكون مختوماً، فهو مغلوب. ويقال: كان سليمان عليه السلام إذا كتب إلى الشياطين ختمه بالحديد، وإذا كتب إلى الجن ختمه بالصفر، وإذا كتب إلى الإنس ختمه بالطين، وإذا كتب إلى الملوك ختمه بالفضة، فجعل ختم كتابها من ذهب. ويقال: إن المرأة إنما قالت: {كِتَابٌ كَرِيمٌ}، لأنها ظنت أنه نزل من السماء، فلما نظرت إليه قرأت عنوان: {إِنَّهُ

مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ الله الرحمن الرحيم} يعني: عنوانه من سليمان وإنه يعني: في داخله، وأول سطره بسم الله الرحمن الرحيم {أَلاَّ تَعْلُواْ عَلَيَّ} أي: لا تتعظموا علي، ولا تتطاولوا علي.
ويقال: لا تترفعوا علي، وإن كنتم ملوكاً. قوله عز وجل: {وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ} يعني: مستسلمين خاضعين. ويقال: يعني: مخلصين منقادين طائعين. قال محمد بن موسى: إنما بدأ سليمان بنفسه لعلمه بأن ذكره على سائر الملوك أعظم من ذكره معبوده، فهول عليها بذكر نفسه ثم ذكر معبوده، فذهب بنفسها، وانقادت في مملكتها، وإنما خافت من هول سليمان حين آمنت بالله فقالت عند ذلك: رب ظلمت نفسي بعبادة الشمس، وما خفت منك، فالآن عرفتك، وتبت إليك وأنت رب العالمين {قَالَتْ} المرأة {قَالَتْ ياأيها الملا} يعني: الأشراف والقادة {أَفْتُونِى فِى أَمْرِى} وكان لها ثلاثمائة وثلاثة عشر قائداً تحت يد كل قائد ألف رجل، وقد قيل أكثر من هذا: {أَفْتُونِى فِى أَمْرِى}. يعني: أجيبوني في أمري. ويقال: بينوا لي أمري وأخبروني. ويقال: أشيروا علي {مَا كُنتُ قاطعة أَمْراً} أي قاضية أمراً. ويقال: فاصلة أمراً {حتى تَشْهَدُونِ} يعني: تحضرون أي: لا أقطع أمراً دونكم {قَالُواْ} مجيبين لها {نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ} يعني: عدة وكثرة وسلاحاً وقتال شديد {والامر إِلَيْكِ} يعني: أخبرناك بما عندنا أيتها الملكة، ومع ذلك لا نجاوز ما تقولين. يعني: إن أمرتينا بقتال قاتلنا، وإن أمرتنا بغير ذلك أطعناك {فانظرى مَاذَا تَأْمُرِينَ} يعني: ماذا تشيرين إلينا.

▲ تفسير الآيات رقم [34- 38]

{قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (34) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (35) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (36) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (37) قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (38)}

قوله عز وجل: {قَالَتْ} يعني: المرأة {إِنَّ الملوك إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً} على وجه القوة والغلبة {أَفْسَدُوهَا} يعني: أهلكوها وخربوها {وَجَعَلُواْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً} يعني: أهانوا أشرافها وكبراءها ليستقيم لهم الأمر {وكذلك يَفْعَلُونَ} قال ابن عباس: هذا قول الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم قال: {وكذلك يَفْعَلُونَ} تصديقاً لقول المرأة قال الحسن: هذا قول بلقيس: إن سليمان وجنوده كذلك يفعلون، وأكثر المفسرين على خلاف ذلك. ثم قالت المرأة: {وَإِنّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ} يعني: أصانعهم بالمال، فإن كان من أهل الدنيا، فإنه يقبل ويرضى بذلك ويقال: أختبره أملك هو أم نبي، فإن كان ملكاً قبلها، وإن كان نبياً لم يقبلها {فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ المرسلون} يعني: أنظر بماذا يرجع المرسلون من الجواب من عنده؟ وذكر في الخبر أنها بعثت إليه لبنتين من ذهب والمسك والعنبر، وبعثت بعشرة غلمان، وعشرة جواري. وكان في الجواري بعض الغلظة، وكان في الغلمان بعض اللين، وأمرت بأن تخضب أيديهم جميعاً، وجعلتهم على هيئة الجواري، وبعثت إليه جوهرة في ثقبها اعوجاج، وطلبت أن يدخل الخيط فيها، وكتبت إلى سليمان إن كنت نبياً، فميز بين الجواري والغلمان، فأمر سليمان الشياطين بأن يلقوا في طريق الرسل لبناً كثيراً من الذهب، فلما جاءت رسل بلقيس استحقروا هديتهم، فلما قدموا على سليمان أمر بماء، فوضع وأمر الغلمان والجواري بأن يتوضؤا، فجعل الغلام يحدر الماء على يده حدراً، وأما الجواري، فكن يصببن صباً. وفي رواية أُخرى كانت الجارية تأخذ الماء بكفها، وتدلك ذراعها، وأما الجوهرة، فأخذ بوردة حمراء عقد فيها خيطاً، ثم أدخلها في الحجر حتى خرجت من الجانب الآخر، فرد الهدية. وقال للوافد: {أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ} يعني: أتغرونني بالمال. قوله عز وجل: {فَلَمَّا جَاء سُلَيْمَانَ} قال بعضهم: يعني: جاء الرسول. وقال بعضهم: يعني: جاء بريدها والأول أشبه، لأنه خاطب الرسول. {قَالَ *** أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ} قرأ حمزة {أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ} بنون واحدة والتشديد، وقرأ الباقون بنونين وأصله نونان، إلا أن حمزة أدغم إحداهما في الأخرى، وشددها. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو {***أتمدونني} بالياء في الوصل، لأنه في الأصل الياء، وهو ياء الإضافة. وقرأ الباقون بغير ياء، لأن الكسر يدل عليه. ثم قال: {بِمَالٍ فَمَا ءاتانى الله} يعني: ما أعطاني الله عز وجل من النبوة والحكمة والدين والإسلام والملك {خَيْرٌ مّمَّا ءاتاكم} يعني: خير مما أعطاكم من الدنيا والمال {بَلْ أَنتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ} يعني: إذا أهدى بعضكم إلى بعض يقال:

معناه بل أنتم تفرحون بهديتكم إذا ردت إليكم، لأنكم قليلوا المال. ويقال: لأنكم مكاثرون بالدنيا.
قوله عز وجل: {ارجع إِلَيْهِمْ} يعني: قال سليمان للأمير الوافد: ارجع إليهم بالهدية، فإن لم يحضروني {فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُمْ بِهَا} يعني: لا طاقة لهم بها. قال بعض المتقدمين: ومتى يكون لهم طاقة بجنود سليمان، وكان جنود سليمان من الجن والإنس والشياطين {وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا} يعني: من أرض سبأٍ {أَذِلَّةٍ} يعني: مغلولة أيديهم إلى أعناقهم {وَهُمْ صاغرون} أي ذليلون، فلما بلغ الخبر إلى المرأة ورسالة سليمان لم تجد بداً من الخروج إليه، فخرجت نحوه، فلما علم سليمان بمسيرها إليه {قَالَ} لجلسائه {قَالَ يأَيُّهَا الملا أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا} يعني: بسرير بلقيس {قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ} أي موحدين: لأنه قد كان أوحي إلى سليمان بأنها تسلم. وقال بعضهم: إنما أراد سليمان بإحضار سريرها قبل أن تسلم ليكون السرير له، لأنها لو أسلمت حرم عليه ما كان لها وقال بعضهم: إنما أراد أن يبين دلالة نبوته عندها، فتعلم المرأة أنه نبي فتسلم.

▲ تفسير الآيات رقم [39- 41]

{قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آَتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (39) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آَتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآَهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (40) قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (41)}
قوله عز وجل: {قَالَ عِفْرِيتٌ مّن الجن} يعني: ما أراد من الجن والعفريت هو الشديد القوي ويقال: العفريت من كل شيء المبالغ والحاذق في أمره {قَالَ عِفْرِيتٌ مّن الجن أَنَاْ ءاتِيكَ بِهِ قَبْلَ} يعني: في مجلس القضاء، وكان قضاؤه إلى إنصاف النهار. ويقال: إلى وقت الضحى {وَإِنّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ} قوله {عَلَيْهِ} أي على إتيان السرير لقوي على حمله أمين على ما فيه من الجواهر واللؤلؤ وغير ذلك. فقال سليمان: أنا أريد أسرع من هذا {قَالَ الذى عِندَهُ عِلْمٌ مّنَ الكتاب} يعني: آصف بن برخيا، وكان وزيره ومؤدبه في حال صغره، وكان يعلم الاسم الأعظم، ويقرأ كتاب الله. فقال: يا إلهنا وإله كل شيء إلهاً واحداً لا إله إلا أنت. ويقال: هو قوله يا حي يا قيوم. ويقال يا ذا الجلال

والإكرام ويقال إن الذي عنده علم من الكتاب هو جبريل عليه السلام، وهو قول المعتزلة.
قال الشيخ الإمام: لأنهم لا يرون كرامة الأولياء وأكثر المفسرين على أنه آصف بن برخيا رضي الله عنه قال: {قَالَ الذى عِندَهُ عِلْمٌ مّنَ الكتاب أَنَاْ ءاتِيكَ} يعني: قبل أن ينتهي إليك الذي وقع عليه منتهى بصرك، وهو جاءٍ إليك. ويقال: قبل أن تطرف. قال له سليمان: لقد أسرعت إن فعلت ذلك، فدعا بالاسم الأعظم، فإذا بالسرير قد ظهر بين يدي سليمان {فَلَمَّا رَءاهُ} أي: رأى سليمان السرير {مُسْتَقِرّاً عِندَهُ} أي: موجوداً عنده {قَالَ} سليمان {هذا مِن فَضْلِ رَبّى لِيَبْلُوَنِى} يعني: ليختبرني {شَكَرَ} هذه النعمة {أَمْ أَكْفُرُ} نعم الله تعالى إذا رأيت من دوني هو أعلم مني. قال مقاتل: فلما رفع رأسه قال: الحمد لله الذي جعل في أهلي من يدعوه، فيستجيب له {وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ} يعني: يفعل لنفسه، لأنه يعود إليه حيث يستجيب المزيد من الله تعالى {وَمَن كَفَرَ} النعم يعني: ترك الشكر {فَإِنَّ رَبّى غَنِىٌّ} عن شكر العباد {كَرِيمٌ} في الإفضال على من شكره بالنعمة. ويقال: كريم لمن شكر من عباده. ويقال: لما رأى آصف السرير مستقراً عنده خرج من فضل نفسه، ورجع إلى فضل الله، ورأى الحول والقوة لله تعالى، فقال: هذا من فضل ربي لا من فضل نفسي، ولو لم يقل من فضل ربي لسقط عن المنزلة أسرع من إتيان السرير حيث قال: {قَالَ عِفْرِيتٌ مّن} حيث شهر نفسه بالفضيلة. ويقال: {قَالَ عِفْرِيتٌ مّن}. يعني: بالله آتيك لا بالمدة والحيلة؛ فأسقط الحول والقوة عن نفسه، وسلم الأمر إلى الله. فقال: {هذا مِن فَضْلِ رَبّى}، فلما رأى سليمان السرير عنده علم أن هذا ليس من قوة جلسائه، إنما هو من صنع ربه.
قوله عز وجل: {قَالَ نَكّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا} يعني: قال سليمان عليه السلام: غيّروا لها عرشها عن صورته، والتنكير هو التغيير يقال: نكرته فنكر، أي غيرته، فتغير.
وروى الضحاك عن ابن عباس قال: التنكير أن يزاد فيه أو ينقص منه يعني: زيدوا في سريرها، وانقصوا منه، حتى نرى أنها تعرف سريرها أم لا، وذلك قوله: {نَنظُرْ أَتَهْتَدِى} يعني: أتعلم أنه عرشها {أَمْ تَكُونُ مِنَ الذين لاَ يَهْتَدُونَ} يعني: لا يعلمون يقال: إنه جعل أعلاه أسفله، وأسفله أعلاه. ويقال: إنه أمر بذلك، لأن الجن قالوا لسليمان عليه السلام في عقلها شيء من النقصان، فأراد سليمان أن يمتحن عقلها، فأمر بأن يغير السرير، ويسألها عن ذلك.

▲ تفسير الآيات رقم [42- 44]

{فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (42) وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ (43) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (44)}

قوله: {فَلَمَّا جَاءتْ} يعني: بلقيس وجلست على السرير {قِيلَ} لها {أَهَكَذَا عَرْشُكِ} يعني: أهكذا سريرك {قَالَتْ} بلقيس {كَأَنَّهُ هُوَ} شبهته به قال مقاتل: شبهوا عليها، فشبهت عليهم، ولو قيل لها أهذا عرشك؟ لقالت: نعم. ويقال: إنها شكت في ذلك، لأنها تركت سريرها في سبعة أبيات مقفلة أبوابها، ومفاتيح الأقفال بيدها. فقال سليمان: {وَأُوتِينَا العلم مِن قَبْلِهَا} يعني: حمد الله على ما أعطاه من إتيان السرير وحضورها، وعلى ما أعطاه قبل إتيانها من النبوة والإسلام، فقال: {وَأُوتِينَا العلم مِن قَبْلِهَا} . يعني: أعطينا العلم من قبل مجيئها. ويقال: أعطينا علم ملكها وعرشها من قبل مجيئها {وَكُنَّا مُسْلِمِينَ} يعني: مخلصين لله تعالى. ويقال: مسلمين منقادين له. قوله عز وجل: {وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ الله} يعني: عبادتها التي كانت تعبد الشمس منعها عن الإسلام. ويقال: معناه صدها إبليس عن الإيمان، فتكون {مَا} ها هنا بمعنى الفاعل. ويقال: ما هنا بمعنى المفعول، فكأنه يقول صدها سليمان عما كانت تعبد من دون الله، كرجل يقول: منعت فلاناً الماء، يعني: عن الماء.

ويقال معناه: أن الله تعالى صدّها عما كانت تعبد من دون الله، ووفقها للإسلام. ويقال: صدها عن الإسلام العبادة التي كانت تعبدها، لأنها نشأت على ذلك وربيت، ولم تعرف إلا قوماً يعبدون الشمس ثم قال: {إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كافرين} أي: من قوم جاحدين لله تعالى. قوله عز وجل: {قِيلَ لَهَا ادخلى الصرح} يعني: القصر، وذلك لأنها لما أقبلت قالت الجن: لقد لقينا من سليمان ما لقينا من التعب، فلو اجتمع سليمان وهذه، وما عندها من العلم لهلكنا، وخشوا أن يتزوجها، ويكون بينهما ولد، فيرث الملك فيبقون في ذلك العناء إلى الأبد فأرادوا إن يبغضوها إلى سليمان فقالوا إن رجليها شعراوان وقال مقاتل كانت أمها جنية وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال كانت أمها جنية وكانت شعراء. وقال بعضهم هذا لا يصح لأن الجن ليسوا من جنس الآدميين فلا يكون بينهما شهوة ونسل وقد قال الله تعالى {ياأيها الناس إِنَّا خلقناكم مِّن ذَكَرٍ وأنثى

وجعلناكم شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لتعارفوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ الله أتقاكم إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: 13]. يعني: آدم وحواء عليهما السلام فلا يجوز أن يكون النسل من غيرهما ويقال إنهم قالوا لسليمان إن رجلها تشبه حافر الدواب فأراد سليمان أن ينظر إلى رجليها فأمر بأن يوضع سريرها في الصرح المبني من القوارير يعني: من الزجاج وجعل تحت الصرح الماء فيه السمك فجلس سليمان على سريره في الصرح ومقدميه ثم أمر بلقيس بأن تدخل الصرح {فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً} أي فلما جاءت إلى الصرح رأت ما فيه من السمك حسبته لجة أي ظنت أنه ماء كثير بين يدي سرير سليمان فأرادت أن تخوض في الماء فشمرت ثيابها {وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا} فنظر سليمان إلى ساقيها وكانت شعراً فاستشار سليمان الإنس في ذلك فأشاروا عليه بالموسى فقال سليمان الموسى تخدش ساقيها فاستشار الجن فأشاروا عليه بالنورة فأصل النورة من ذلك الوقت وروي أن سليمان ما نظر إلى ساق أحسن من ساقيها ولا خلاف بين الروايتين لأنه يكون أحسن الساقين شعراوين وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أنا أحسن ساقين أم بلقيس فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

▲ تفسير الآيات رقم [45- 49]

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (45) قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (46) قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (47) وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (48) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (49)}

قوله عز وجل {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إلى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صالحا أَنِ اعبدوا الله} يعني: أمرهم بأن يعبدوا الله ويطيعوه ويوحدوه {فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ} يعني: مؤمنون وكافرون فإذا قوم صالح مؤمن وكافر يختصمون يقول كل فريق الحق معي وقد ذكرنا خصومتهم في سورة الأعراف وهي قوله: {قَالَ الملأ الذين استكبروا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ استضعفوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صالحا

مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قالوا إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ} [الأعراف: 75] الآية فطلبت الفرقة الكافرة على تصديق صالح العذاب، {قَالَ} لهم صالح عليه السلام {قَالَ ياقوم لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بالسيئة}، أي: بالعذاب {قَبْلَ الحسنة}، يعني: العافية. ويقال: التوبة وهو قولهم: يا صالح إن كان ما أتيت به حقاً، فأتنا بما تعدنا من العذاب. ثم قال: {لَوْلاَ تَسْتَغْفِرُونَ الله} يعني: لكي تُرحموا، فلا تعذبوا.
قوله عز وجل: {قَالُواْ اطيرنا بِكَ} وأصله تطيرنا بك يعني: تشاءمنا بك. {وَبِمَن مَّعَكَ}، وذلك أنه قد أصابهم القحط بتكذيبهم إياه. فقالوا: هذا الذي أصابنا بشؤمك وشؤم أصحابك {قَالَ}: لهم صالح {طَائِرُكُمْ عِندَ الله}، يعني: ما أصابكم، فمن الله ويقال: هذا الذي يصيبكم هو مكتوب عند الله، ويقال: خيركم وشركم ورخاؤكم وشدتكم من عند الله عليكم بفعلكم. ويقال: عقوبتكم عند الله {بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ}، أي: تبتلون بذنوبكم ويقال: تختبرون بالخير والشر، وأصل الفتنة هي الاختبار ويقال: فتنت الذهب بالنار، لينظر إلى جودته قوله عز وجل: {وَكَانَ فِى المدينة}، يعني: في قرية صالح، وهي الحجر {تِسْعَةُ رَهْطٍ}، كانوا أغنياء قوم صالح {يُفْسِدُونَ فِى الارض وَلاَ يُصْلِحُونَ}، يعني: يعملون بالمعاصي في أرض قريتهم، ولا يصلحون، أي لا يطيعون الله تعالى فيها، ولا يتوبون من المعصية، ولا يأمرون بها، فسأل قوم صالح منه ناقة، فصارت الناقة بلية لهم، فكانت تأتي مراعيهم، فتأكل جميع ما فيها، فتنفر منها دوابهم، وتشرب ماء، بئرهم العذب الذي يشربون منه، فجعلوا نيابة لشرب الماء، اللبن، فتشرب ذلك اليوم الماء كله، وتسقيهم اللبن، حتى يرووا، فجاء هؤلاء التسعة، وفيهم قدار بن سالف عاقر الناقة. وكان ابن زانية أحمر أزرق، ومصدع بن دهر وكانا قد قعدوا لها، فلما مرت بهما، رماها مصدع بسهم ثم قال: يا قدار اضرب، فضرب عرقوبها فعقروها، ثم سلخوها، واقتسموا لحمها، فأوعدهم الله الهلاك، وبيّن لهم العلامة، بتغيير ألوانهم، فاجتمعوا التسعة {قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بالله}، يعني: تحالفوا بالله {لَنُبَيّتَنَّهُ}، قرأ حمزة والكسائي بالتاء وضم التاء الثاني {وَأَهْلَهُ ثُمَّ}، بالتاء وضم اللام والباقون بالنون، ونصب التاء، {وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ} بالنون ونصب اللام، فمن قرأ: بالنون جعل تقاسموا خبراً، فكأنهم قالوا: متقاسمين فيما بينهم، {لَنُبَيّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ} أي: لنقتلنه وعياله. ويقال: {وَأَهْلَهُ} يعني: ومن آمن معه، ومن قرأ بالتاء، فمعناه: جعل تقاسموا أمراً فكان أمر بعضهم بعضاً وقال بعضهم لبعض: تحالفوا {لَنُبَيّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ} {لِوَلِيّهِ}، يعني: لولي صالح إن

سألونا فنقول {مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ} يعني: إهلاك أهله وقومه. ويقال: ما حضرنا عند إهلاك أهله، {وِإِنَّا لصادقون} ، يعني: إنا لصادقون بما نقول لهم. ويقال: معناه إنا لصادقون عندهم، فيصدقونا إذا أخرجنا من بيوتنا.

▲ تفسير الآيات رقم [50- 53]

{وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (50) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (51) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (52) وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (53)}

قوله عز وجل: {وَمَكَرُواْ مَكْراً} يعني: أرادوا قتل صالح {وَمَكَرْنَا مَكْراً} ، يعني: جثم عليهم الجبل، فماتوا كلهم ويقال: رجمتهم الملائكة عليهم السلام بالحجارة، فماتوا فذلك قوله تعالى: {وَمَكَرُواْ مَكْراً} أي: أرادوا قتل صالح، {وَمَكَرْنَا مَكْراً} يعني: أراد الله عز وجل قتلهم جزاء لأعمالهم، {وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ} ، بأن الملائكة يحرسون صالحاً في داره. قرأ عاصم في رواية أبي بكر: {مُهْلَكَ} بنصب الميم واللام، وفي رواية حفص {مُهْلِكَ} بنصب الميم وكسر اللام.
وقرأ الباقون: بضم الميم، ونصب اللام.
ثم قال: {فانظر كَيْفَ كَانَ عاقبة مَكْرِهِمْ} يعني: جزاء مكرهم {أَنَّا دمرناهم} قرأ عاصم وحمزة والكسائي أنا بالنصب، وقرأ الباقون بكسر الألف، فمن قرأ بالنصب، فمعناه فانظر كيف كان عاقبة مكرهم، لأنا دمرناهم ويجوز أن يكون خبر كان ومن قرأ: بالكسر لأنه لما قال، {فانظر كَيْفَ كَانَ عاقبة مَكْرِهِمْ} . يعني: إيش كان عاقبة مكرهم، ثم فسر فقال: إنا دمرناهم على وجه الاستئناف، {وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ} ، يعني: أهلكناهم بصيحة جبريل عليه السلام. ويقال: خرجت النار من تحت أرجلهم وأحرقتهم. ويقال: إنهم خرجوا ليلاً لإهلاك صالح، فدمغتهم الملائكة بأحجار من حيث لا يرونهم، فقتلوهم، وقومهم أجمعين.
قوله عز وجل: {فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً} يعني: خالية من الناس. ويقال: بيوتهم خاوية. يعني: مساكنهم خربة ساقطة، {بِمَا ظَلَمُواْ} أي: أشركوا. ويقال: بكفرهم بالله تعالى صارت خاوية نصباً على الحال. يعني: فانظر إلى بيوتهم خاوية، وقرئ في الشاذ خاوية بالضم، على معنى النعت، للبيوت ثم قال: {إِنَّ

فِى ذَلِكَ لآيَةً} يعني: في إهلاكهم، وفيما أصابهم لغيره لمن بعدهم {لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}، يعني: يعقلون ويصدقون، {وَأَنجَيْنَا الذين ءامَنُواْ}، يعني: صدقوا صالحاً برسالته، {وَكَانُواْ يَتَّقُونَ} الشرك والفواحش.

تفسير الآيات رقم [54- 59]

{وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (54) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (55) فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (56) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ (57) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (58) قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (59)}

قوله عز وجل: {وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ} يعني: وأرسلنا لوطاً عطفاً على قوله، {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إلى ثَمُودَ} ويقال معناه واذكر لوطاً إذ قال لقومه يعني: حين قال لقومه. قوله عز وجل {أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرجال * شَهْوَةً} يعني: تجامعون الرجال شهوة منكم {مّن دُونِ النساء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} أي جاهلون {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ} وإنما نصب الجواب، لأنه خبر كان واسمه {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُواْ ءالَ لُوطٍ مّن} يعني: يتنزهون ويقذروننا بهذا الفعل، وإنا لا نحب أن يكون بين أظهرنا من ينهانا عن أعمالنا. قال الله تعالى: {فأنجيناه وَأَهْلَهُ} يعني: ابنتيه ريثا وزعورا {إلاَّ امرأته} لم ننجها من العذاب {قدرناها} أي: تركناها {مِنَ الغابرين} أي: من الباقين في العذاب. ويقال: قضينا عليها أنها من الباقين في العذاب قوله عز وجل: {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَّطَرًا} يعني: الحجارة {فَسَاء مَطَرُ المنذرين} يعني: بئس مطر من أنذرتهم الرسل، فلم يؤمنوا. ثم قال عز وجل: {قُلِ الحمد لِلَّهِ وسلام على عِبَادِهِ} قال بعضهم: معناه قال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم {قُلِ الحمد لِلَّهِ} وقال بعضهم: معناه الحمد لله على هلاك كفار الأمم الماضية. يعني: ما ذكر في هذه السورة من هلاك فرعون وقومه، وثمود وقوم لوط. ويقال: قال: الحمد لله الذي علمك، وبيّن لك هذا الأمر. ويقال: إن هذا

كان للوط حين أنجاه، أمره بأن يحمد الله تعالى. ثم قال: {وسلام على عِبَادِهِ} يعني: المرسلين {الذين اصطفى} يعني: اختارهم الله تعالى للرسالة والنبوة. وروي عن مجاهد أنه قال: هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وكذلك قال مقاتل. وقال سفيان الثوري: هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال: {الله خَيْرٌ *** أَمَّا يُشْرِكُونَ} يعني: الله تعالى أفضل أم الآلهة التي تعبدونها، اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به التقرير يعني: الله تعالى خير لهم مما يشركون، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قرأ هذه الآية قال: «بل الله خير وأبقى، وأجل وأكرم» ويقال: معناه أعبادة الله خير أم عبادة ما يشركون به من الأوثان. وقال القتبي: {الله خَيْرًا * أَمَّا يُشْرِكُونَ}. يعني: أم من يشركون؟ فتكون ما مكان من كما قال: {والسمآء وَمَا بناها} [الشمس: 5] يعني: ومن بناها {وَمَا خَلَقَ الذكر والانثى} [الليل: 3] يعني: ومن خلق.

▲ تفسير الآيات رقم [60- 68]

{أَمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (60) أَمْ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (61) أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (62) أَمْ مَنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَته أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (63) أَمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (64) قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (65) بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ (66) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ (67) لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (68)}

ثم قال عز وجل: {أَمَّنْ خَلَقَ السموات والارض **وَأنزَلَ لَكُمْ مّنَ السماء مَاء} يعني: المطر {فَأَنبَتْنَا بِهِ} يعني: بالمطر {حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ} يعني:

البساتين واحدها حديقة، وإنما سميت حديقة لأنها محاطة بالحيطان. وقال بعضهم: إذا كانت ذا شجر يقال لها: حديقة سواء كان لها حائط، أو لا {ذَاتَ بَهْجَةٍ}، يعني: ذات حسن {مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُواْ شَجَرَهَا} يعني: ما كان لمعبودكم قوة. ويقال: ما كان ينبغي لكم أن تنبتوا شجرها. ويقال: ما قدرتم عليه، وقرأ أبو عمرو وعاصم: أما يشركون بالياء على معنى الخبر. وقرأ الباقون بالتاء على معنى المخاطبة. وقرأ عاصم في رواية أبي بكر {قدرناها} بتخفيف الدال، والباقون بالتشديد. ثم قال: {مَّعَ الله بَلْ} يعينه على صنعه اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به الإنكار والزجر {بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ} يعني: يشركون الأصنام ثم قال عز وجل: {أَمَّن جَعَلَ الارض قَرَاراً} يعني: مستقراً لا تميد بأهلها. ويقال: قراراً أي سكناً لأهلها {وَجَعَلَ خِلاَلَهَا أَنْهَاراً} أي: فجر بسواد الأرض أنهاراً. ويقال: شقّ بينهما أنهاراً {وَجَعَلَ لَهَا} أي خلق لها {رَوَاسِىَ} أي: خلق للأرض الجبال الثوابت {وَجَعَلَ بَيْنَ البحرين حَاجِزاً} يعني: العذب والمالح حاجزاً يعني: ستراً مانعاً بقدرته لا يختلطان بعضهما في بعض {مَّعَ الله بَلْ} يعينه على صنعه {بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} يعني: ولكن أكثرهم لا يعلمون بتوحيد الله عز وجل {أَمَّن يُجِيبُ المضطر إِذَا دَعَاهُ} يعني: أمن يستجيب في البلاء للمضْطّر إذا دعاه {وَيَكْشِفُ السوء} يعني: ومن يكشف الضر {وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الارض} يعني: سكان الأرض بعد هلاك أهلها {مَّعَ الله قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ أَمَّن} قرأ أبو عمرو وابن عامر في إحدى الروايتين بالياء على معنى الخبر عنهم. وقرأ الباقون {تَذَكَّرُونَ} بالتاء على معنى المخاطبة. وقرأ حمزة والكسائي بتخفيف الذال. وقرأ أبو عمرو ونافع في رواية قالون: {مَّعَ الله بَلْ} بالهمز والمد. وقرأ الباقون: بغير مد بهمزتين.

ثم قال عز وجل: {أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظلمات البر والبحر} يعني من يرشدكم في أهوال البر والبحر. {وَمَن يُرْسِلُ الرياح بُشْرَاَ بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ} يعني: قدام المطر {مَّعَ الله تَعَالَى الله عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّن} أي: تعظم الله عما يشركون {أَمَّن يَبْدَأُ الخلق ثُمَّ يُعيدُهُ} يعني: خلقهم، ولم يكونوا شيئاً، ثم يعيدهم في الآخرة {وَمَن يَرْزُقُكُم مّنَ السماء} يعني: المطر {والارض} يعني: النبات {مَّعَ الله قُلْ هَاتُواْ برهانكم إِن} يعني: حجتكم وعلتكم، بأنه صنع شيئاً من هذا غير الله {إِن كُنتُمْ صادقين} بأن مع الله آلهة أخرى {قُلْ} يا محمد لكفار مكة {لاَّ يَعْلَمُ مَن فِى السموات والارض} من الملائكة والناس {الغيب

إِلاَّ الله} يعني: متى تقوم الساعة إلا الله رفع على معنى البدل، فكأنه يقول: لا يعلم أحد الغيب إلا الله، أي لا يعلم ذلك إلا الله {وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} يعني: متى يبعثون ومتى يبعثون قوله عز وجل: {بَلِ ادرك عِلْمُهُمْ فِى الاخرة} قرأ ابن كثير وأبو عمرو {ادرك}.
قرأ الباقون {أَدْرَاكَ} بالألف، فمن قرأ أدرك، فمعناه أدرك علمهم علم الآخرة. وروي عن السدي قال: اجتمع علمهم يوم القيامة، فلم يشكوا، ولم يختلفوا ويقال: معناه علموا في الآخرة أن الذين كانوا يوعدون حق، ولا ينفعهم ذلك. ومن قرأ {أَدْرَاكَ} فأصله تدارك فأدغم التاء في الدال، وشددت وأدخلت ألف الوصل، ليسلم السكون للدال، ومعناه تتابع علمهم، أي حكمهم على الآخرة، واستعمالهم الظنون في علم الآخرة، فهم يقولون تارة: إنها تكون، وتارة لا تكون الساعة.
ويقال: معناه تدارك، أي تكامل علمهم يوم القيامة بأنهم يبعثون، ويشاهدون ما وعدوا {بَلْ هُمْ فِى شَكّ مّنْهَا} أي: من قيام الساعة في الدنيا {بَلْ هُم مّنْهَا عَمُونَ} يعني: يتعامون عن قيامها. ويقال: بل هم منها عمون، أي من علمها جاهلون.
وروي عن ابن عباس أنه كان يقرأ، {بَلِ *** أَدْرَاكَ} وهذه القراءة أشد إيضاحاً، للمعنى الذي ذكرناه.
ثم حكى قول الكفار فقال عز وجل: {وَقَالَ الذين كَفَرُواْ أَءذَا كُنَّا تُرَاباً وَءابَاؤُنَا أَءنَّا لَمُخْرَجُونَ} يعني: أحياء من القبور {لَقَدْ وُعِدْنَا هذا} يعني: هذا الذي يقول محمد صلى الله عليه وسلم: {نَحْنُ وَءابَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هذا} الذي يقول {إِلاَّ أساطير الاولين} يعني: أحاديث الأولين وكذبهم، مثل حديث رستم واسفنديار. ويقال: إن هذا إلاَّ مثل رسل الأولين مما كذبوا.

▲ تفسير الآيات رقم [69- 81]

{قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (69) وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (70) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (71) قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ (72) وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (73) وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (74) وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي

كِتَابٍ مُبِينٍ (75) إِنَّ هَذَا الْقُرْآَنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (76) وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (77) إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (78) فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (79) إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (80) وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآَيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (81)}

قوله عز وجل: {قُلْ سِيرُواْ فِى الارض فَٱنظُرُواْ} يعني: فاعتبروا {كَيْفَ كَانَ عاقبة المجرمين} يعني: آخر أمر المشركين {وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ} إن لم يؤمنوا، بل ويقال: {وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ} أي على تكذيبهم وإعراضهم عنك {وَلاَ تَكُن فِى ضَيْقٍ} يعني: لا يضيق صدرك {مّمَّا يَمْكُرُونَ} يعني: بما يقولون من التكذيب. ويقال: ولا يضيق قلبك بمكرهم {وَيَقُولُونَ متى هذا الوعد} أي: وعد العذاب {إِن كُنتُمْ صادقين} أن العذاب نازل بالمكذب. ويقال: ولا تكن في ضيق مما يمكرون. بقولهم: فهذا دأبنا ودأبك أيام الموسم، وهم الخراصون، فكانوا يأمرون أهل الموسم، بأن لا يسمعوا كلامه، ثم قال عز وجل: {قُلْ عسى أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم} يعني: قرب وحضر لكم. قال القتبي: أي تبعكم واللام زائدة، فكأنه قال: ردفكم قال وقيل في التفسير دنا منكم {بَعْضُ الذى تَسْتَعْجِلُونَ} من العذاب، وهو عذاب القبر. ويقال: يعني: القحط. ويقال: يوم بدر {وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى الناس} حين لم يأخذهم بالعذاب عند معصيتهم {ولكن أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ} بتأخير العذاب عنهم حتى يتوبوا {وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ} يعني: ما تسر قلوبهم من عداوة النبي صلى الله عليه وسلم {وَمَا يُعْلِنُونَ} بألسنتهم من الكفر والشرك.

قوله عز وجل {وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ} يعني: من أمر العذاب. ويقال: ما من شيء غائب عن العباد {فِي السموات *** والارض إِلاَّ فِى كتاب مُّبِينٍ} يعني: مكتوب في اللوح المحفوظ. ويقال: أي جملة غائبة عن الخلق إلا في كتاب مبين {إِنَّ هذا القرءان يَقُصُّ على بَنِى إسراءيل} قال مقاتل: يعني: أن هذا القرآن يبين للناس أهل الكتاب {أَكْثَرَ الذى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} يعني: اختلافهم وقال ابن عباس: إن أهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم، فصاروا أهواءً وأحزاباً يطعن بعضهم على بعض، ويبرأ بعضهم من بعض، فنزل القرآن بتبيان ما اختلفوا فيه. ثم قال عز وجل: {وَأَنَّهُ} يعني: القرآن {لَهُدَى} يعني: لبياناً من الضلالة {وَرَحْمَةً} من العذاب {لِلْمُؤْمِنِينَ *** إِن رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم} يعني: بين المختلفين في الدين {بِحُكْمِهِ} أي: بقضائه يوم القيامة {وَهُوَ العزيز}

يعني: المنيع بالنقمة. ويقال: العزيز يعني: القوي فلا يرد له أمر {العليم} بأحوال خلقه سبحانه {فَتَوَكَّلْ عَلَى الله} يعني: ثق بالله. ويقال: فوّض أمرك إلى الله {إِنَّكَ عَلَى الحق المبين} يعني: الدين المبين، وهو الإسلام.
ثم قال عز وجل: {إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الموتى} فهذا مثل ضربه للكفار، أي فكما أنك لا تسمع الموتى، فكذلك لا تتفقه كفار مكة {وَلاَ تُسْمِعُ الصم الدعاء} قرأ ابن كثير {وَلاَ يَسْمَعُ} بالياء والنصب، و{الصم} بالرفع، والباقون بالتاء وضم التاء وكسر الميم، والصَّم بالنصب، فمن قرأ بالياء فلا يسمع، فالفعل للصم، ومن قرأ بالتاء، فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم إنك لا تسمع الصم الدعاء {إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ} يعني: أعرضوا عن الحق مكذبين قوله عز وجل: {وَمَا أَنتَ بِهَادِى العمى عَن ضلالتهم} قرأ حمزة {تَهْدِى العمى} بغير ألف وقرأ الباقون بالألف، فمن قرأ تهدي، فمعناه ما أنت يا محمد بالذي تهدي الذين عميت بصائرهم عن آياتنا، ولكن عليك الدعاء، ويهدي الله من يشاء، ومن قرأ {بِهَادِى} فإن الباء دخلت لتأكيد النفي، كقولك ما أنت بعالم، فالياء لتأكيد النفي، وخفض العمي للإضافة ثم قال: {وَمَا أَنتَ بِهَادِى العمى عَن ضلالتهم} يعني: لا تسمع الهدى إلا من صدق بالقرآن أنه من الله تعالى.
ويقال: بآياتنا يعني: أدلتنا {فَهُم مُّسْلِمُونَ} يعني: مخلصون مقرون بها. ويقال: مسلمون في علم الله تعالى.

▲ تفسير الآية رقم [82]

{وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآَيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ (82)}

قوله عز وجل: {وَإِذَا وَقَعَ القول عَلَيْهِم} يعني: إذا وجب عليهم العذاب والسخط وذلك حين لا يقبل الله من كافر إيمانه، ولم يبق إلا من يموت كافراً في علم الله تعالى {أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مّنَ الارض تُكَلّمُهُمْ} بما يسوءهم يعني: الدابة التي تكلم الناس، وخروجها من أول أشراط الساعة. {إِنَّ الناس} قرأ عاصم وحمزة والكسائي {ءانٍ} بالنصب. وقرأ الباقون بالكسر، فمن قرأ بالنصب يكون حكاية قول الدابة. ومعناه: تكلمهم بأن الناس {كَانُوا بئاياتنا لاَ يُوقِنُونَ} أي: لا يؤمنون بآيات ربهم وهو خروج الدابة، ومن قرأ بالكسر

يكون بمعنى الابتداء، ويتم الكلام عند قوله تكلمهم. ثم يقول الله تعالى: {وَإِذَا وَقَعَ القول عَلَيْهِم أَخْرَجْنَا لَهُمْ} يعني: لا يؤمنون. قال أبو عبيد حدّثنا هشام عن المغيرة أن أبا زرعة بن عمر وابن عباس، قرأها {تُكَلِّمُهُمْ} بنصب التاء، وكسر اللام، وبسكون الكاف، والتخفيف يعني: تسمهم، فيتبين الكافر من المؤمن قال الفقيه أبو الليث رحمه الله: وحدثني الثقة عن أبي بكر الواسطي، عن إبراهيم بن يوسف، عن محمد بن الفضل الضبي، عن أبيه عن سعيد بن مسروق، عن ابن عمر رضي الله عنهم قال ألا أريكم المكان الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم تخرج الدابة منه فضرب بعصاه قبل الشق الذي في الصفا وقال: إنها ذات زغب وريش، وإنها لتخرج تلبها أول ما تخرج، كحضر الفرس الجواد ثلاثة أيام ولياليهن، وإنها لتدخل عليهم؛ وإنهم ليفرون منها إلى المساجد، فتقول: أترون أن المساجد تنجيكم مني.

وروى مقاتل قال: تخرج الدابة من الصفا، ولا يخرج إلا رأسها وعنقها، فتبلغ رأسها السحاب، فيراه أهل المشرق والمغرب، ثم تقاد إلى مكانها، ثم تزلزل الأرض في ذلك اليوم في ست ساعات، فيمسون خائفين، فإذا أصبحوا جاءهم الصريخ بأن الدجال قد خرج.

وروي عن أبي هريرة أنه قال: تخرج الدابة ومعها عصا موسى، وخاتم سليمان عليهما السلام فتجلو وجه المؤمن بعصا موسى، وتختم وجه الكافر بخاتم سليمان ثم تقول لهم: يا فلان أنت من أهل الجنة، ويا فلان أنت من أهل النار، فترى أهل البيت مجتمعين على خوانهم يقول لهذا يا مؤمن، ولهذا يا كافر.

وروى ابن جريج عن أبي الزبير قال: رأسها رأس ثور، وعيناها عينا خنزير، وأذناها أذنا فيل، وقرناها أيل، وعنقها عنق نعامة، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هرة، وذنبها ذنب كبش، وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين منها اثني عشر ذراعاً بذراع آدم عليه السلام تخرج ومعها عصا موسى، وخاتم سليمان، فتنكت على وجه المؤمن حتى يبيض، وتختم على وجه الكافر بخاتم سليمان حتى يسود، فيعرف المؤمن من الكافر.

وروي عن عبد الله بن عمر أنه قال: تنكت في وجه الكافر نكتة سوداء، فتفشو في وجهه حتى يبيض وجهه، ويتابعون في الأسواق، فيعرفون المؤمن من الكافر.

▲ تفسير الآيات رقم [83- 86]

{وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآَيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ (83) حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآَيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (84) وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ (85) أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (86)}

قوله عز وجل: {وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلّ أُمَّةٍ فَوْجاً} يعني: نوجب عليهم العذاب في يوم نحصر من كل أمة فوجاً. يعني: من أهل كل دين جماعة. ويقال: {يَوْمَ نَحْشُرُ} يعني: نجمع من كل أمة فوجاً يعني: جماعة {مّمَّن يُكَذّبُ بئاياتنا فَهُمْ يُوزَعُونَ} يعني: يحبس أولهم لآخرهم يجتمعوا {حتى إِذَا} يعني: اجتمعوا للحشر {جَاءوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بئاياتى} يعني: قال الله تعالى لهم أكذبتم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن؟ اللفظ لفظ الاستفهام. والمراد به التقرير. يعني: قد كذبتم بآياتنا {وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْماً} اللفظ لفظ النفي، والمراد به المناقشة في الحساب. يعني: كذبتم كأنكم لم تعلموا. ويقال: لم تعرفوها حق معرفتها ثم قال: {بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} اللفظ لفظ السؤال، والمراد به التوبيخ، ومعناه: ماذا كنتم تعملون أن تؤمنوا بالكتاب والرسل؟ يعني: أي عمل منعكم من ذلك {وَوَقَعَ القول عَلَيْهِم} يعني: نزل عليهم العذاب، ووجب عليهم {بِمَا ظَلَمُواْ} يعني: بما أشركوا {فَهُمْ لاَ يَنطِقُونَ} يعني: لا يمكنهم أن يتكلموا من الهيبة لما ظهر لهم من المعاينة، ولما تحيروا في ذلك.
ثم وعظ كفار مكة فقال: {أَلَمْ يَرَوْاْ} يعني: ألم يعتبروا {أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا اليل لِيَسْكُنُواْ فِيهِ} يعني: مضيئاً، وأضاف الفعل إلى النهار، لأن الكلام يخرج مخرج الفاعل، إذا كان هو سبباً للفعل كما قال: {وَقَالَ الذين استضعفوا لِلَّذِينَ استكبروا بَلْ مَكْرُ اليل والنهار إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بالله وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً وَأَسَرُّواْ الندامة لَمَّا رَأَوُاْ العذاب وَجَعَلْنَا الاغلال فى أَعْنَاقِ الذين كَفَرُواْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} [سبأ: 33] {إِنَّ فِى ذلك لآيات لّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} أي: فيما ذكر من الليل والنهار، لعبرات لقوم يصدقون بتوحيد الله تعالى.

▲ تفسير الآيات رقم [87- 93]

{وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ (87) وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (88) مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ (89) وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (90) إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (91) وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ (92) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (93)}

وقال عز وجل {وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى الصور} أي: واذكر يوم ينفخ إسرافيل في الصور {فَفَزِعَ مَن فِى *** السموات **وَمَن فِى الارض} أي: من شدة الصوت والفزع. ويقال: ماتوا. وقال بعضهم: النفخ ثلاثة: أحدها الفزع وهو قوله: {فَفَزِعَ مَن فِى *** السموات} ونفخة أخرى للموت. وهو قوله: {وَنُفِخَ فِى الصور فَصَعِقَ مَن فِي السماوات وَمَن فِى الارض إِلاَّ مَن شَآءَ الله ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أخرى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ} [الزمر: 68] ونفخة للبعث وهي قوله {وَنُفِخَ فِى الصور فَصَعِقَ مَن فِي السماوات وَمَن فِى الارض إِلاَّ مَن شَآءَ الله ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أخرى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ} [الزمر: 68] وقال بعضهم: إنما هما نفختان والفزع والصعق كناية عن الهلاك، ثم نفخة للبعث {إِلاَّ مَن شَاء الله} يعني: جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، ثم يموتوا بعد ذلك {وَكُلٌّ أَتَوْهُ داخرين}.

روى سفيان بإسناده عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ: {وَكُلٌّ أَتَوْهُ} بغير مد ونصب التاء، وهي قراءة حمزة وعاصم في رواية حفص. والباقون بالمد والضم. ومن قرأ بالمد وضم التاء، فمعناه كل حاضروه {داخرين} أي: صاغرين. ويقال: متواضعين. ومن قرأ بغير مد يعني: يأتوا الله {وَتَرَى الجبال تَحْسَبُهَا جَامِدَةً} أي: تحسبها واقفة مكانها ويقال: مستقرة {وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ السحاب} حتى تقع على الأرض فتستوي، أي في أعين الناظرين كأنها واقفة. قال القتبي: وكذلك كل عسكر غض به الفضاء، فينظر الناظر، فيرى أنها واقفة وهي تسير {صُنْعَ الله الذى أَتْقَنَ كُلَّ شَئ} يعني: أحكم خلق كل

شيء. ويقال: الشيء المتقن أن يكون وثيقاً ثابتاً، فما كان من صنع غيره يكون واهياً، ولا يكون متقناً {إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ} أي: عليم بما فعلتم {مَن جَاء بالحسنة} أي: بالإيمان والتوحيد، وكلمة الإخلاص، وشهادة أن لا إله إلا الله {فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا} على وجه التقديم، وله منها خير أي: حين ينال بها الثواب والجنة. ويقال: فله خير منها. أي: خير من الحسنة. يعني: أكثر منها للواحد عشرة. ويقال: فله خير منها من الحسنة، وهي الجنة، لأن الجنة هي عطاؤه وفضله، والعمل هو اكتساب العبد، فما كان من فضله وعطائه، فهو أفضل، وهذا تفسير المعتزلة، والأول قول المفسرين. {وَهُمْ مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءامِنُونَ} أي: من فزع يوم القيامة. قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع في رواية ورش {مِّن فَزَعِ يَوْمَئِذٍ} بغير تنوين، {وَيَوْمَئِذٍ} بكسر الميم، والباقون بالتنوين، ونصب الميم. قال أبو عبيد: وبالإضافة نقرأ، لأنه أعم التأويلين أن يكون الأمن من جميع، فزع ذلك اليوم، وإذا قال: فزع بالتنوين، صار كأنه قال: فزع دون فزع.

وقال غيره: إنما أراد به الأكبر، لأن بعض الأفزاع تصيب الجميع. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر {إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا *** يَفْعَلُونَ} بالياء على معنى الإخبار عنهم، والباقون بالتاء على معنى المخاطبة {وَمَن جَاء بالسيئة} أي بالشرك {فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى النار} ويقال: يكبون على وجوههم، ويجرون إلى النار، وتقول لهم خزنة النار: {هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} من الشرك ويقال: فكبت أي: ألقيت وطرحت {إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ البلدة} أي: قل يا محمد لأهل مكة: أمرني الله تعالى أن أستقيم على عبادة رب هذه البلدة. يعني: مكة الذي حرمها بدعاء إبراهيم عليه السلام وحرم فيها القتل والصيد. قال بعضهم: كان حراماً أبداً. قال بعضهم: وهو أصح إن إبراهيم لما دعا، فجعلها الله حراماً بدعوته.

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ إبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ، وَأَنَا حَرَّمْتُ المَدِينَةَ ما بَيْنَ لابَتَيْهَا». ثم روي أنه قد رخص في المدينة ثم قال تعالى: {وَلَهُ كُلُّ شَىْءٍ} أي وخلق كل شيء، {وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ المسلمين}، أي: من المخلصين {وَأَنْ أَتْلُوَ القرءان} يعني: أمرت أن أقرأ عليكم القرآن يا أهل مكة {فَمَنُ اهتدى} أي: آمن بالقرآن {فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ} أي: يؤمن لنفسه ويثاب عليها {وَمَن ضَلَّ} ولم يوحد، ولم يؤمن بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم {فَقُلْ إِنَّمَا أَنَاْ مِنَ المنذرين} أي: من المخوفين ومن المرسلين،

فليس عليَّ إلا تبليغ الرسالة {وَقُلِ الحمد لِلَّهِ} يعني: الشكر لله على ما هداني {سَيُرِيكُمْ} أيها المشركون آياته. يعني: العذاب في الدنيا {فَتَعْرِفُونَهَا} أنها حق، وذلك أنه أخبرهم بالعذاب، فكذبوه فأخبرهم أنهم يعرفونها أنها حق، وذلك إذا نزل بهم، وهو القحط والقتل. ويقال: هو فتح مكة {وَمَا رَبُّكَ بغافل عَمَّا تَعْمَلُونَ} فهذا وعيد للظالم، وتعزية للمظلوم. وقال الزجاج في قوله: {سَيُرِيكُمْ ءاياته} أي: سيريكم الله آياته في جميع ما خلق، وفي أنفسكم. قرأ نافع وعاصم في رواية حفص، وابن عامر في إحدى الروايتين {تَعْمَلُونَ} بالتاء على معنى المخاطبة. وقرأ الباقون بالياء على معنى الخبر عنه، والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

▲ سورة القصص

▲ تفسير الآيات رقم [1- 4]

{طسم (1) تِلْكَ آَيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (3) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (4)}

قوله تعالى: {طسم تِلْكَ ءايَاتُ الكتاب المبين} أي: القرآن وهو مبين للأحكام، وقد ذكرناه قال أبو سعيد الفاريابي في قوله تعالى طا قال: هو طاهر عما يعلوه، والسين سامع لما وصفوه، والميم ماجد حين سألوه، والماجد كثير العطاء. ويقال: أمجدني فلان إذا أكثر إعطاوه. ويقال: طا أي أقسم الله بطالوت، وسين أقسم الله بسليمان، وميم أقسم الله بمحمد صلى الله عليه وسلم. {نَتْلُواْ عَلَيْكَ} يعني: ننزل عليك جبريل عليه السلام، يقرأ عليك {مِن نَّبَإِ موسى وَفِرْعَوْنَ بالحق} أي: من خبر موسى وفرعون بالصدق {لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} يعني: يصدقون محمداً صلى الله عليه وسلم بهذه الآية، وإنما أنزل القرآن لجميع الناس ولكن المؤمنين هم الذين يصدقون، فكأنه لهم، وذلك أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يؤذونهم المشركون، فيشكون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزلت هذه السورة في شأنهم، لكي يعرفوا ما نزل في بني إسرائيل من فرعون وقومه، ليصبروا كصبرهم، وينجيهم ربهم كما أنجا بني إسرائيل من فرعون وقومه، وهذا كقوله {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الجنة وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الذين خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ البأساء والضراء وَزُلْزِلُواْ حتى يَقُولَ الرسول والذين ءامَنُواْ مَعَهُ متى نَصْرُ الله ألا إِنَّ نَصْرَ الله قَرِيبٌ} [البقرة: 214] الآية.

ثم أخبر عن فرعون فقال تعالى: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِى الارض} يعني: اسْتَكْبَرَ وتعظم عن الإيمان، وخالف أمر موسى في أرض مصر {وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً} يعني: أهل مصر فرقاً {يَسْتَضْعِفُ} يعني: يستقهر {طَّائِفَةٌ مّنْهُمْ} يعني: من

أهل مصر، وهم بنو إسرائيل، فجعل بعضهم ينقل الحجارة من الجبل، وبعضهم يعملون له عمل النجارة، وبعضهم أعمال الطين، ومن كان لا يصلح لشيء من أعماله يأخذ منه كل يوم ضريبة درهماً، فإذا غابت الشمس، ولم يأت بالضريبة غلت يده اليمنى إلى عنقه، ويأمره بأن يعمل بشماله، هكذا شهراً. ثم قال: {يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ} أي يعني: أبناء بني إسرائيل صغاراً. {إِنَّ فِرْعَوْنَ} يعني: يستخدم نساءهم، وأصله من الاستحياء. يعني: يتركهن أحياء. وروى أسباط عن السدي قال: بلغنا أن فرعون رأى فيما يرى النائم، كأن ناراً أقبلت من أرض الشام، فاشتملت على بيوت مصر، وكانت الشام أرض بني إسرائيل أول ما كانوا، فأحرقتها كلها إلا بيوت بني إسرائيل، فسأل الكهنة عن ذلك فقالوا: يولد في بني إسرائيل مولود، يكون على يديه هلاك أهل مصر، فأمر فرعون بأن لا يولد في بني إسرائيل ذكر إلا ذبح، وعمد إلى ما كان من بني إسرائيل خارج مصر، فأدخلهم المدينة، واستعبدهم، ورفع العمل عن رقاب أهل مصر، ووضعه على بني إسرائيل ثم قال: {إِنَّهُ كَانَ مِنَ المفسدين} يعني: فرعون كان يعمل بالمعاصي.

▲ تفسير الآيات رقم [5- 8]

{وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (5) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (6) وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (8)}

قوله عز وجل: {وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الذين استضعفوا فِى الارض} يعني: أردنا أن نمن بالنجاة على الذين استضعفوا في الأرض، وهم بنو إسرائيل {نَّمُنَّ} يعني: ننعم عليهم {وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً} يعني: قادة في الخير {وَنَجْعَلَهُمُ الوارثين} يعني: أرض مصر، وملك فرعون، وقومه بعد هلاك فرعون. {وَنُمَكِّنَ لَهُمْ} يعني: نملكهم ويقال: ننزلهم في الأرض {فِى الارض} يعني: في أرض مصر {وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وهامان} قرأ حمزة

والكسائي {وَيَرَى} بالياء والنصب، و{فِرْعَوْنَ وهامان} {وَجُنُودَهُمَا} بالرفع، كل ذلك قرأ. والباقون {وَنُرِىَ} بالنون والضم و{فِرْعَوْنَ وهامان وَجُنُودَهُمَا} كلها بالنصب ونصب نرى، لأنه معطوف على قوله: {أَن نَّمُنَّ}، فكأنه قال أن نمن وأن نري، ونصب فرعون لوقوع الفعل عليه. ومن قرأ بالياء رفعه، لأن الفعل منه ثم قال: وهامان وجنودها {مِنْهُمْ مَّا كَانُواْ يَحْذَرونَ} يعني: يرون ما كانوا يخافون من ذهاب الملك. وقوله عز وجل: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمّ موسى} يعني: أَلْهمنا أم موسى {أَنْ أَرْضِعِيهِ} وذلك: أن أم موسى حبلت، فلم يظهر بها أثر الحبل حتى ولدت موسى وأرضعته ثلاثة أشهر أو أكثر، فألهمها الله تعالى بقوله: {فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ} يعني: إلى صباحه {فَأَلْقِيهِ فِى اليم} يعني: في البحر قال مقاتل وهو النيل فعلمها جبريل. ويقال: رأت في المنام بأنها تؤمر أن تلقيه في البحر. ويقال: كان هذا إلهاماً. ويقال: كانت دلالة حيث علمت بالرؤيا أو شيء خيل لها أن تفعل ما فعلت، كما أن إبراهيم عليه السلام رأى في المنام ذبح إسحاق وإسماعيل عليهما السلام وذكر أنها كانت تخبز يوماً، وكان موسى عليه السلام على رأس التنور، إذ دخل قوم فرعون يطلبون الولد، فوضعته في التنور، فدخلوا فلم يجدوا موسى عليه السلام فجاءت إلى التنور، فوجدته يلعب بأصابعه في الأرض، فاستيقنت أن الله تعالى يحفظه، فجعلته في التابوت، وألقته في النيل، ثم قال: {وَلاَ تَخَافِى} الغرق {وَلاَ تَحْزَنِى} أن لا يرد إليك {إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وجاعلوه مِنَ المرسلين} يعني: رسولاً إلى فرعون وقومه، فلما ألقته في النيل جاء به الماء، وكان ممر الماء في دار فرعون، فوجدته جواري فرعون بين الماء والشجر، فمن ثم سمي موسى بلفظ القبط موسى، فذلك قوله تعالى: {فالتقطه ءالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً} يعني: إن أخذهم إياه كان سبباً لحزنهم، فكأنهم أخذوه لذلك، وإنما كان أخذهم لم يكن لذلك. قرأ حمزة والكسائي {وَحَزَناً} بضم الحاء، وسكون الزاي. وقرأ الباقون بنصب الحاء والزاي، وهما لغتان: ومعناهما واحد. {إِنَّ فِرْعَوْنَ وهامان وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خاطئين} يعني: مشركين ويقال: عاصين آثمين.

▲ تفسير الآيات رقم [9- 11]

{وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (9) وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ

لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (10) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (11)}
قوله عز وجل: {وَقَالَتِ امرأت فِرْعَوْنَ} واسمها آسية لفرعون هذا الغلام {قُرَّةُ عَيْنٍ لّى وَلَكَ لاَ تَقْتُلُوهُ} فإنه آتانا به الماء من مصر آخر، ومن أرض أخرى، وليس من بني إسرائيل ويقال: إنها قالت إن هذا كبير، ومولود قبل هذه المدة التي أخبر لك {عسى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا} فإنه لم يكن له ولد ذكر. قال فرعون: فهو قرة عين لك، فأما أنا فلا.
وروي عن ابن عباس أنه قال: لو قال فرعون أيضاً: هو قرة عين لي لنفعه الله تعالى به، ولكنه أبى. ويقال: {قُرَّةُ عَيْنٍ لّى}، وقد تمّ الكلام. ثم قالت: {وَلَكَ لاَ تَقْتُلُوهُ}.
قال: وروى عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقف على {قُرَّةُ عَيْنٍ لّى وَلَكَ} ثم قال لا تقتلوه، أي {لاَ تَقْتُلُوهُ}، فلا الثاني إضمار في الكلام، والتفسير الأول أصح ثم قال: {وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ} أي لا يشعر فرعون وقومه أن هلاكهم على يديه. ثم قال عز وجل: {وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمّ موسى فَارِغاً} يعني: خالياً من كل ذكر وشغل إلا ذكر موسى عليه السلام. ويقال: صار قلبها فارغاً حين بعثت أخته لتنظر، فأخبرتها بأنه قد أخذ في دار فرعون، فسكنت حيث لم يغرق. ويقال: صار قلبها فارغاً، لأنها علمت أنه لا يقتل.
وروي عن فضالة بن عبيد أنه قرأ: {وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمّ موسى} يعني: خائفاً. وقراءة العامة {موسى فَارِغاً}، وتفسيره ما ذكرناه وقد قيل أيضاً: فارغاً من شغل نفقته {إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِ} يعني: وقد كادت لتظهر به. قال مقاتل: وذلك أنها لما ألقت التابوت في النيل، فرأت التابوت يدفعه مرة، ويضعه أخرى، فخشيت عليه الغرق، فعند ذلك فزعت عليه، وكادت أن تصيح ويقال: إنه لما كبر كان الناس يقولون: هو ابن فرعون، فكأن ذلك شق عليها، وكادت أن تظهر أن هذا ولدي، وليس بولد فرعون. ويقال: لما دخل الليل، دخل الغم في قلبها، حيث لم تدر أين صار ولدها، فأرادت أن تظهر ذلك {لَوْلا أَن رَّبَطْنَا على قَلْبِهَا} أي: ثبتنا قلبها. ويقال: قوينا قلبها، وألهمناها الصبر {لِتَكُونَ مِنَ المؤمنين} يعني: من المصدقين بوعد الله تعالى حيث وعد لها بإنا رادوه إليك، فلم تجزع، ولم تظهر. قوله عز وجل: {وَقَالَتْ لاخْتِهِ قُصّيهِ} يعني: قالت أم موسى، لأخت موسى وكان اسم أخته مريم {قُصّيهِ} يعني: اتبعي أثره. ويقال: يعني: امشي بجنبه في الحد، وهو في الماء حتى تعرف من يأخذه {فَبَصُرَتْ

بِهِ عَن جُنُبٍ} يعني: بصرته عن بعد كما قال {واعبدوا الله وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وبالوالدين إحسانا وَبِذِى القربى واليتامى والمساكين والجار ذِى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وَمَا مَلَكَتْ أيمانكم إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً} [النساء: 36] يعني: البعيد منهم من قوم آخرين. ويقال: عن جنب يعني: في جنب {وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ} أنها أخت موسى. ويقال: وهم لا يشعرون يعني: وهم لا يعرفون أنها ترقبه.

▲ تفسير الآيات رقم [12- 16]

{وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (12) فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (13) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (14) وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (15) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (16)}
قوله عز وجل: {وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ المراضع مِن قَبْلُ} أي: من قبل مجيء أمه. ويقال في رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن أم موسى عليها السلام. قالت لأخته قصيه: أي اطلبي أثره بعد ما أخذه آل فرعون، ولم يقبل رضع أحد، وحرمنا عليه المراضع من قبل مجيء أخته. ويقال: حرمنا عليه المراضع. يعني: منعنا موسى أن يقبل ثدي مرضع من قبل أن نرده على أمه {فَقَالَتْ} أخته حين تعذر عليهم إرضاعه {هَلْ أَدُلُّكُمْ على أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ} يعني: يضمنون لكم رضاعه. ويقال: يضمنونه {وَهُمْ لَهُ ناصحون} يعني: مشفقون للولد. ويقال مخلصون شفقة. فقال هامان: خذوها حتى تخبرنا بقصة هذا الغلام، فأخذت فألهمها الله تعالى أن قالت عند ذلك: إنما ذكرت النصيحة لفرعون أعني: وهم له ناصحون لفرعون لا لغيره. فقال هامان: دعوها، فقد صدقت، فأرسل إليها، فلما جاءت أمه وضعت الثدي في فمه، فأخذ ثديها، وسكن فذلك قوله تعالى: {فرددناه إلى أُمِّهِ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ

تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ} يعني: كائن صدق وهو قوله {إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ} {ولكن أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} بأن وعد الله حق. يعني: أهل مصر.
قوله عز وجل: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ}.
ثم قال: قال مجاهد يعني: بلغ ثلاثاً وثلاثين سنة. {واستوى} يعني: بلغ أربعين سنة. قال: وفي رواية الكلبي الأشد ما بين ثمانية عشر سنة إلى ثلاثين سنة.
ويقال: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ} يعني: منتهى قوته، وهو ما فوق الثلاثين، {واستوى} يعني: بلغ أربعين سنة {اتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا} يعني: علماً وعقلاً. ويقال: النبوة وعلم التوراة. وروى مجاهد عن ابن عباس قال: الأشد ثلاثاً وثلاثين سنة، وأما الاستواء فأربعون سنة، والعمر الذي أعذر الله تعالى ابن آدم فيه إلى ستين سنة. يعني قوله: {وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صالحا غَيْرَ الذى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ النذير فَذُوقُواْ فَمَا للظالمين مِن نَّصِيرٍ} [فاطر: 37] ثم قال: {وَكَذَلِكَ نَجْزِى المحسنين} يعني: المؤمنين. قوله عز وجل: {وَدَخَلَ المدينة} قال مقاتل: يعني: قرية على رأس فرسخين. وقال غيره: يعني: المصر {على حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا} يعني: نصف النهار وقت القيلولة. ويقال: ما بين المغرب والعشاء {فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلاَنِ هذا مِن شِيعَتِهِ} يعني: من بني إسرائيل {وهذا مِنْ عَدُوِّهِ} يعني: من القبط.
وقال القتبي: {هذا مِن شِيعَتِهِ} أي: من أصحابه، {وهذا مِنْ عَدُوِّهِ} أي: من أعدائه، والعدو يدل على الواحد، والجمع، وذكر أن خباز فرعون أخذ رجلاً من بني إسرائيل سخرة، فأمره بأن يحمل الحطب إلى دار فرعون {فاستغاثه الذى مِن شِيعَتِهِ} يعني: هذا الذي من شيعة موسى استغاث بموسى {عَلَى الذى مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ موسى} يعني: ضربه بكفه ضربة في صدره.
وقال القتبي: {فَوَكَزَهُ} يعني: لكزه ويقال: لكزته ووكزته إذا دفعته {فقضى عَلَيْهِ} يعني: مات الخباز بضربته، وكل شيء فرغت منه فقد قضيته، وقضيت عليه. فمعنى قوله: {فقضى عَلَيْهِ}، أي: قتله، ولم يتعمد قتله، وكان موسى شديد البطش، ثم ندم على قتله فقال: إني لم أؤمر بالقتل، وإن كان كافراً {قَالَ هذا مِنْ عَمَلِ الشيطان} يعني: هو الذي حملني على هذا الفعل {إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ} يعني: يضل الخلق {مُّبِينٌ} يعني: ظاهر العداوة، ثم استغفر إلى الله تعالى {فَقَالَ} موسى {رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فاغفر لِى فَغَفَرَ لَهُ}

يعني: غفر الله ذنبه عز وجل {إِنَّهُ هُوَ الغفور} للذنوب لمن تاب {الرحيم} بخلقه

▲ تفسير الآيات رقم [17- 22]

{قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ (17) فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ (18) فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ (19) وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (20) فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (21) وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (22)}

قَالَ موسى {رَبّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَىَّ} يعني: بالمغفرة كقوله {قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى الارض وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} [الحجر: 39] يعني: أما إذا أغويتني ثم قال: {فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لّلْمُجْرِمِينَ} يعني: أعوذ بالله أن أكون معيناً للكافرين، لأن الإسرائيلي كان كافراً، ولم يستثن على كلامه، فابتلاه الله عز وجل في اليوم الثاني، بمثل ذلك، وكانوا لا يعرفون من قتل خباز الملك، وكانوا يطلبون قاتله {فَأَصْبَحَ} موسى {فِى المدينة خَائِفاً} أن يؤخذ فيقتل {يَتَرَقَّبُ} يعني: ينطتظر الطلب. ويقال: ينتظر الأخبار {فَإِذَا الذى استنصره بالامس يَسْتَصْرِخُهُ} يعني: رأى الإسرائيلي كان يقاتل مع رجل آخر من القبط يستصرخه يعني: يستغيثه كقوله: {وَقَالَ الشيطان لَمَّا قُضِىَ الامر إِنَّ الله وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحق وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُمْ مِّن سلطان إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فاستجبتم لِى فَلاَ تَلُومُونِى ولوموا أَنفُسَكُمْ مَّآ أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظالمين لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [إبراهيم: 22] يعني: بمغيثكم {قَالَ لَهُ موسى} يعني: للإسرائيلي {إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ} يعني: ضال بيّن ويقال جاهل بين ويقال: ظاهر الغواية، وقد قتلت لك الأمس رجلاً، وتدعوني إلى آخر، ثم أقبل إليه، فظن الذي من شيعته أنه يريده، فذلك قوله تعالى: {فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بالذى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا} يعني: يريد أن يضرب القبطي، فظن الإسرائيلي أنه يريده بعد ما عاتبه. قرأ أبو جعفر المدني {يَبْطِشَ} بضم الطاء، وقراءة العامة بالكسر، ومعناهما واحد، فظن الإسرائيلي أن موسى يريد ضربه ف {قَالَ يَاءادَمُ ***

موسى *** أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بالامس} وقال بعضهم: كان ذلك إبليس تشبه بالرجل الإسرائيلي، ليظهر أمر موسى. وقال بعضهم: كان ذلك الرجل بعينه. فقال ذلك الرجل من الخوف {إِن تُرِيدُ} يعني: ما تريد {إِلاَّ أَن تَكُونَ جَبَّاراً فِى الارض} يعني: قتالاً.
قال الكلبي: من قتل رجلين، فهو جبار. ويقال: إن من سيرة الجبابرة القتل بغير حق {وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ المصلحين} يعني: المطيعين لله تعالى. فلما قال الإسرائيلي، هذا، علم القبطي أن موسى هو قاتل القبطي، فرجع القبطي، فأخبرهم أن موسى هو القاتل، فائتمروا بينهم بقتل موسى. قال: فأذن فرعون بقتله فجأه خزيلي، وهو مؤمن من آل فرعون، وأخبر موسى بذلك، فذلك قوله: {وَجَاء رَجُلٌ مّنْ أَقْصَى المدينة يسعى} يعني: من وسط المدينة يمشي على رجليه، ويقال: يسرع ويشتد في مشيته ف {قَالَ يَاءادَمُ *** موسى أَنِ *** الملا} يعني: الأشراف من أهل مصر {يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ} قال أبو عبيد: يعني: يتشاورون في أمرك.
وقال القتبي: يعني: يهمون بك ليقتلوك {فاخرج} من هذه المدينة {إِنّى لَكَ مِنَ الناصحين} قوله عز وجل: {فَخَرَجَ مِنْهَا} أي من مصر {خَائِفاً يَتَرَقَّبُ} يعني: ينتظر الطلب {قَالَ رَبّ نَجّنِى مِنَ القوم الظالمين} يعني: المشركين {وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاء مَدْيَنَ} أي: بوجهه نحو مدين، وذلك أن موسى عليه السلام حين خرج وتوجه نحو مدين، وكان بينه وبين مدين ثمانية أيام، كما بين الكوفة والبصرة. ويقال: تلقاء مدين، يعني: سلك الطريق الذي تلقاء مدين ويقال: لما قال {رَبّ نَجّنِى مِنَ القوم الظالمين} استجاب الله تعالى دعاءه، فجاءه جبريل عليه السلام وأمره بأن يسير تلقاء مدين، فسار إلى مدين في عشرة أيام وهو قوله: {قَالَ عسى رَبّى أَن يَهْدِيَنِى سَوَاء السبيل} يعني: يرشدني قصد الطريق إلى مدين.

تفسير الآيات رقم [23- 25]

{وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (23) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (24) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ

أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (25)}
قوله عز وجل: {وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ} ومدين بن إبراهيم عليهما السلام وكانت البير تنسب إليه الماء، وصار مدين اسم قبيلة {وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً} أي: جماعة {مِّنَ الناس يَسْقُونَ} أي وجد على الماء جماعة من الناس يسقون أنعامهم وأغنامهم. ويقال: هم أربعون رجلاً ويقال: عشرة رجال {وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ} يعني: من دون الناس {امرأتين تَذُودَانِ} أي: تطردان وقال سعيد بن جبير: يعني: حابستان ويقال تحسبان غنمهما. وقال القتبي: تذودان، أي تكفان غنمهما، وحذف الغنم اختصاراً. ويقال كانتا تحبسان الغنم لكيلا تختلط بغيرها. ويقال: تحسبان الغنم لتصدر مواشي الناس، وتسقيان بفضل الماء، ومما فضل من أغنام الناس، وهما ابنتا شعيب النبي عليه السلام {قَالَ} لهما موسى {مَا خَطْبُكُمَا} أي: ما شأنكما ترعيان الغنم مع الرجال، وما بالكما لا تسقيان {قَالَتَا لاَ نَسْقِى حتى يُصْدِرَ الرعاء} قرأ أبو عمرو وابن عامر {يُصْدِرَ} بنصب الياء، وضم الدال. وقرأ الباقون {يُصْدِرَ} بضم الياء، وكسر الدال، فمن قرأ بالنصب، فهو من مصدر صدر إذا رجع من الماء، ومعناه لا نسقي حتى يرجع الرعاء، ونسقي بفضلهم، لأنا لا نقدر أن نسقي، وأن نزاحم الرجال، إذا صدروا سقينا بفضل مواشيهم، ومن قرأ {يُصْدِرَ} بالضم، فهو من أصدر يصدر، والمعنى حتى يصدر الرعاة أغنامهم {وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ} لم يقدر على الخروج، وليس له عوناً يعينه غيرنا فرجع الرعاة ووضعوا صخرة على البئر، فانتهى موسى إلى البئر، وقد أطبقت عليها الصخرة، فاقتلعها ثم سقى لهما حتى روتا أغنامهما.
وقال في رواية الكلبي: كان للبئر دلو يجتمع عليه أربعون رجلاً حتى يخرجوه من البئر، فجاء موسى أهل الماشية، فسألهم أن يهيئوا له دلواً من الماء. فقالوا: إن شئت أعطيناك الدلو على أن تسقي أنت. قال: نعم، فأخذ موسى عليه السلام الدلو، فسقى بها وحده، فصب في الحوض، ثم قربتا غنمهما فشربت، فذلك قوله عز وجل: {فسقى لَهُمَا} يعني: أغنامهما {ثُمَّ تولى إِلَى الظل} يعني: تحول إلى ظل الشجرة {فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} أي: لما أنزلت إلي من الطعام، فأنا محتاج إلى ذلك أنه كان جائعاً، فسأل ربه، ولم يسأل الناس، ففطنت الجاريتان، فلما رجعتا إلى أبيهما أخبرتاه بالقصة. فقال أبوهما: هذا رجل جائع. وقال لإحداهما: اذهبي فادعيه، فلما أتته عظمته،

وغطت وجهها فذلك قوله: {فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِى عَلَى استحياء قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا} قوله: {عَلَى استحياء}. يعني: على حياء، لأنها كانت مقنعة، ولم تك متبرجة.
ويقال: على استحياء. يعني: على حياء، لأنها كانت واضعة يدها على وجهها. ويقال {عَلَى استحياء}، أي مستترة بكم درعها. قال: فالوقف على تمشي إذا كان قولها على الحياء، فأما إذا كان مشيها على الحياء، فالوقف على استحياء. والقول بالحياء أشبه من المشي بالحياء، فكيف ما يقف يجوز بالمعنى. فقالت: {إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا}، وكان بين موسى وبين أبيها ثلاثة أميال. ويقال: أقل من ذلك، فتبعها فلم يجد بداً من أن يتبعها، لأنه كان بين الجبال خائفاً مستوحشاً، فلما تبعها هبت الريح، فجعلت تصفق ثيابها، وتظهر عجيزتها. وجعل موسى عليه السلام يعرض مرة، ويغض أخرى، فلما عيل صبره ناداها: يا أمة الله كوني خلفي، وأريني السمت بقولك. يعني: دليني الطريق، فلما دخل على شعيب عليه السلام إذا هو بالعشاء مهيأ، فقال له شعيب: اجلس يا شاب، فتعش. فقال موسى: أعوذ بالله. فقال له شعيب: لم لا تأكل أما أنت جائع؟ فقال: بلى، ولكن أخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيت لهما، وأنا من أهل بيت، لا نبيع شيئاً من ديننا بملء الأرض ذهباً. فقال: لا يا شاب، ولكنها عادتي وعادة آبائي إنا نقري الضيف، ونطعم الطعام، فجلس موسى فأكل، وأخبره بقصة القتل والهرب، فذلك قوله عز وجل: {فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ القصص قَالَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ القوم الظالمين} يعني: خرجت من ولاية فرعون، ولا سلطان له في أرضنا. وقال في رواية الكلبي: كان هذا الرجل اسمه نيرون ابن أخي شعيب، وشعيب كان توفي قبل ذلك. وقال عامة المفسرين: إن هذا كان شعيباً.

تفسير الآيات رقم [26- 29]

{قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (26) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (27) قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (28) فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ

جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (29)}
قوله عز وجل: {قَالَتْ إِحْدَاهُمَا ياأبت ياأبت استجره} أي: قالت إحدى الابنتين التي جاءت به.
وقال في رواية مقاتل: هي الكبرى. وقال في رواية الكلبي: هي الصغرى {***يا أبت} استأجر موسى ليرعى لك الغنم {ياأبت استجره إِنَّ خَيْرَ مَنِ استجرت القوى الامين} يعني: خير الأجراء من يكون قوياً في العمل، أميناً على المال والعورة.
ثم قال: إيش تعلمين أنه قوي أمين بماذا؟ فأخبرته بالقصة. قال أبو الليث: حدّثنا محمد بن الفضل، قال حدّثنا محمد بن جعفر، قال: حدّثنا إبرهيم بن يوسف، قال حدّثنا أبو معاوية عن الحجاج. عن الحكم قال: كان سريع لا يفسر شيئاً من القرآن إلا ثلاث آيات {وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إلا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ الذى بِيَدِهِ عُقْدَةُ النكاح وَأَن تعفوا أَقْرَبُ للتقوى وَلاَ تَنسَوُاْ الفضل بَيْنَكُمْ إِنَّ الله بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [البقرة: 237] قال الزوج {وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وءاتيناه الحكمة} [ص: 20] قال: الحكمة الفقه والعلم، وفصل الخطاب البينة والإيمان، وقوله: {إِنَّ خَيْرَ مَنِ استجرت القوى الامين} قال: كانت قوته أن يحمل صخرة لا يقوى على حملها إلا عشرة رجال، وكانت أمانته أن ابنة شعيب مشت أمامه، فوصفتها الريح فقال لها: تأخري وصفي لي الطريق {قَالَ} شعيب لموسى عليهما السلام: {إِنّى أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابنتى هَاتَيْنِ على أَن تَأْجُرَنِى ثَمَانِىَ حِجَجٍ} يعني: أزوجك إحدى ابنتي على أن ترعى غنمي ثمان سنين، وهذا الحكم في هذه الأمة جائز أيضاً، لو تزوج الرجل المرأة على أن يرعى غنمها كذا وكذا سنة، أو يرعى غنم أبيها، يجوز النكاح، ويكون ذلك مهراً لها {فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً} يعني: عشر سنين {فَمِنْ عِندِكَ} يعني: فإن أتممت عشر سنين فبفضلك، وليس ذلك بواجب عليك {وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ} في السنتين يعني: أنت بالخيار في ذلك. ويقال: بأن أشرط عليك العشر {سَتَجِدُنِى إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصالحين} أي من الوافين بالعهد. وقال مقاتل: يعني: من المرافقين بك كقوله: {وواعدنا موسى ثلاثين لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ ميقات رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ موسى لأَخِيهِ هارون اخلفنى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ المفسدين} [الأعراف: 142] يعني: ارفق بهم {قَالَ} موسى: {ذَلِكَ بَيْنِى

وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الاجلين قَضَيْتُ} يعني: ذلك الشرط بيني وبينك أيما الأجلين أتممت لك، إما الثماني وإما العشر {فَلاَ عُدْوَانَ عَلَيَّ} أي: لا سبيل لك علي. ويقال: لا ظلم علي بأن أطالب أكثر منه، فإن قيل: كيف تجوز الإجارة بهذا الشرط على أحد الأجلين بغير وقت معلوم؟ قيل له: العقد قد وقع على الثماني، وهو قوله: {أَن تَأْجُرَنِى ثَمَانِىَ حِجَجٍ} خير في الزيادة والإجازة بهذا الشرط في الشريعة جائزة أيضاً، ثم قال: {والله على مَا نَقُولُ وَكِيلٌ} يعني: شهيد فيما بيننا.
ويقال: شاهد على ما نقول، وعلى عقدنا.
وذكر مقاتل أن رجلاً من الأزد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيما الأجلين قضى موسى؟ قال: «الله أَعْلَمُ» حتى سأل جبريل، فأتاه جبريل، فسأله. فقال: الله أعلم، حتى سأل إسرافيل عليه السلام فقال: الله أعلم، حتى اسأل رب العزة، فأوحى الله تعالى إلى إسرافيل عليه السلام أن قد قضى موسى أبرهما وأوفاهما.
وروي عن ابن عباس أنه قال: قضى موسى أتمَّ الأجلين، وقد كان شرطه له أن ما ولدت في ذلك العام ولداً أبلق، فهو له، فولدت في ذلك العام كلها بلقاً، فأخذ البلق مثل هذا الشرط في شريعتنا غير واجب، إلا أن الوعد من الأنبياء عليهم السلام واجب، فوفاه بوعده، فلما أراد أن يخرج قال لشعيب عليه السلام: يا شيخ أعطني عصا أسوق بها غنمي. فقال لابنته: التمسي له عصا، فجاءت بعصا شعيب. فقال شعيب عليه السلام: ردي هذه، وكانت تلك العصا أودعها إياه ملك في صورة إنسان، وكانت من عود آس الجنة، فردتها والتمست غيرها، فلم يقع في يدها غيرها، فأعطته، فخرج مع أهله فضل الطريق، وكانت ليلة باردة مظلمة، فذلك قوله تعالى: {فَلَمَّا قضى *** الاجل وَسَارَ بِأَهْلِهِ} يعني: بامرأتِهِ {إنسٌ} يعني: أبصر {مِن جَانِبِ الطور نَاراً قَالَ لاِهْلِهِ امكثوا} يعني: قفوا مكانكم {فَلَمَّا قضى مُوسَى الاجل وَسَارَ بِأَهْلِهِ ءانَسَ} أي: خبر الطريق {أَوْ جَذْوَةٍ مّنَ النار} قرأ عاصم {جَذْوَةٍ} بنصب الجيم، وقرأ حمزة بضم الجيم، وقرأ الباقون بالكسر، فهذه لغات معناها واحد، وهو قطعة من النار. ويقال: شعلة، وهو عود قد احترق {لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ} أي: لكي تصطلوا من البرد، فترك امرأته في البرية وذهب.

▲ تفسير الآيات رقم [30- 35]

{فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (30) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآَهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآَمِنِينَ (31) اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (32) قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (33) وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (34) قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآَيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ (35)}

{فَلَمَّا أتاها} يعني: النار {نُودِىَ مِن شَاطِئِ الوادى * الايمان} يعني: من جانب الواد الأيمن عن يمين موسى عليه السلام {فِى البقعة المباركة} يعني: من الموضع المبارك الذي كلم الله فيه موسى عليه السلام {مِنَ الشجرة أَن ياموسى *** موسى إِنّى **أَنَا الله رَبُّ العالمين} يعني: الذي يناديك رب العالمين. قوله عز وجل: {وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ ولى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقّبْ} وقد ذكرناه. قال الله تعالى: {يُعَقّبْ ياموسى أَقْبِلْ وَلاَ تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الامنين} يعني: من الحية يعني: قد آمنت أن ينالك منها مكروه {اسلك يَدَكَ} أي: أدخل يدك {فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوء واضمم إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرهب} أي: يدك.

قال بعضهم: هذا ينصرف إلى قوله ولم يعقب من الرهب، أي: لم يلتفت من الخوف. ويقال: كان خائفاً، فأمره بأن يضم يده إلى صدره، ففعل حتى سكن عن قلبه الرعب.

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو {مِنَ الرهب} بنصب الراء والهاء، وقرأ عاصم في رواية حفص بنصب الراء، وجزم الهاء، والباقون {الرهب} بضم الراء، وجزم الهاء. ومعنى ذلك كله واحد، وهو الخوف. وقال بعضهم: هو الكريم. ثم قال: {فَذَانِكَ برهانان مِن رَّبّكَ} يعني: اليد والعصا آيتان وعلامتان من ربك وحجتان لنبوتك. قرأ ابن كثير وأبو عمرو. {فَذَانِكَ} بتشديد النون. وقرأ الباقون بالتخفيف، وهما لغتان، وهو الإشارة إلى شيئين. يقال للواحد: ذلك وذاك، والاثنين ذانك وذاناك. {إلى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ} ومعناه: أرسلناك إلى فرعون بهاتين الآيتين {إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً فاسقين} يعني: عاصين {قَالَ}

موسى {رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ} به {وَأَخِي هَرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً} يعني: أبين مني لساناً وكانت في لسان موسى عقدة من النار التي أدخلها فاه {فَأَرْسِلْهِ مَعِيَ رِدْءاً} أي عوناً {يُصَدِّقُنِي} يعني: لكي يصدقني، ويعبر عن كلامي. قرأ نافع {***رداً} بغير همز، والباقون بالهمز، فمن قرأ بالهمز، فهو الأصل، ومن قرأ بغير همز، فإنما ألقى فتحة الهمزة على الدال، وليّن الهمزة. وقرأ عاصم وحمزة {رِدْءاً يُصَدِّقُنِي} بضم القاف، والباقون بالجزم، فمن قرأ بالجزم جعله جواب الأمر، ومن قرأ بالضم جعله صفة ردءاً أي ردءاً مصدقاً ثم قال: {إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ} أي فرعون وقومه {قَالَ} الله تعالى: {سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ} أي: نقويك بأخيك {وَنَجْعَلُ لَكُمَا سلطانا} يعني: حجة ثانية، وهي اليد والعصا {فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا باياتنا} يعني: لا يقدرون على قتلكما {أَنتُمَا وَمَنِ اتبعكما الغالبون} يعني: من آمن بكما الغالبون في الحجة.

تفسير الآيات رقم [36- 38]

{فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآَيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آَبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (36) وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (37) وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (38)}
قوله عز وجل: {فَلَمَّا جَاءهُم موسى بئاياتنا بينات} يعني: جاء إلى فرعون وقومه بعلاماتنا، وذكر في رواية مقاتل أن فرعون لم يأذن لهما إلى سنة. وقال في رواية السدي وغيره: أنه لما جاء إلى الباب، لم يأذن له البواب، فضرب عصاه على باب فرعون ضربة، ففزع من ذلك فرعون وجلساؤه، فدعا البواب وسأله، فأخبره أن بالباب رجلاً يقول: أنا رسول رب العالمين، فأذن له. فدخل فأدى الرسالة وأراهم العلامة. فقالوا هذا سحر، فذلك قوله عز وجل: {قَالُواْ مَا هذا إِلاَّ سِحْرٌ مُّفْتَرًى} يعني: ما هذا الذي جئت به إلا كذب مختلق يعني: الذي جئت به ما هو إلا سحر قد اختلقته من ذات نفسك {وَمَا سَمِعْنَا بهذا فِي ءابَائِنَا الاولين *** وَقَالَ مُوسَى} قرأ ابن كثير بغير واو. وقرأ الباقون بالواو، فمن قرأ بالواو، فهو عطف جملة على جملة، ومن قرأ

بغير واو، فهو استئناف قال موسى: {رَبِّى أَعْلَمُ بِمَن جَاء بالهدى مِنْ عِندِهِ} يعني: أنا جئت بالهدى من عند الله {وَمَن تَكُونُ لَهُ عاقبة الدار} يعني: هو أعلم بمن تكون له الجنة والنار. ويقال: بمن يكون له عاقبة الأمر والدولة. قرأ حمزة والكسائي، {وَمِنْ ** يَكُونَ} بلفظ التذكير وقرأ الباقون {تَكُونُ} بلفظ التأنيث.

ثم قال: {إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظالمون} يعني: لا يأمن الكافرون من عذابه {وَقَالَ فِرْعَوْنُ} لأهل مصر {فِرْعَوْنُ ياأيها الملا مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مّنْ إله غَيْرِى} فلا تطيعوا موسى وهذه إحدى كلمتيه التي أخذه الله بهما. والأخرى. {فَقَالَ أَنَاْ رَبُّكُمُ الاعلى} [النازعات: 24]. ثم قال: {فَأَوْقِدْ لِى ياهامان عَلَى الطين} أي: أوقد النار على اللبن حتى يصير آجراً. قال مقاتل: وكان فرعون أول من طبخ الآجر وبنى به {فاجعل لّى صَرْحاً} أي: قطراً طويلاً منه، وهو المنارة {لَّعَلّى أَطَّلِعُ} السماء {إلى إله موسى} يعني: وأقف عليه، فبنى الصرح، وكان بلاطه خبث القوارير، وكان الرجل لا يستطيع القيام عليه من طوله مخافة أن تنسفه الرياح، وكان طوله في السماء خمسة آلاف ذراع، وعرضه ثلاثة آلاف ذراع، فلما فزع من بنائه جاء جبريل عليه السلام فضرب جناحه على الصرح، فهدمه ثم قال تعالى: {وَإِنّى لاظُنُّهُ مِنَ الكاذبين} أي: أحسب موسى بما يقول أن في السماء إلهاً من الكاذبين.

▲ تفسير الآيات رقم [39- 45]

{وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (39) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (40) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ (41) وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ (42) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (43) وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (44) وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (45)}

قوله عز وجل: {واستكبر هُوَ وَجُنُودُهُ فِى الارض} يعني: استكبر فرعون عن الإيمان هو وقومه {بِغَيْرِ الحق} يعني: بغير حجة {وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ} يعني: وحسبوا أنهم {إِلَيْنَا لاَ يُرْجَعُونَ} بعد الموت. قرأ نافع وحمزة والكسائي {لاَ يَرْجِعُونَ} بنصب الياء، وكسر الجيم. وقرأ الباقون بضم الياء، أي: لا يردون بمعنى التعدي قول الله تعالى: {فأخذناه وَجُنُودَهُ} يعني: عاقبناه وجنوده {فنبذناهم فِى اليم} يعني: أغرقناهم في البحر وقال مقاتل في النيل {فانظر كَيْفَ كَانَ عاقبة الظالمين} يعني: المشركين {وجعلناهم أَئِمَّةً} يعني: خذلناهم حتى صاروا قادة ورؤساء للضلال والجهال {يَدْعُونَ إِلَى النار} يعني: إلى عمل أهل النار. ويقال: إلى الضلالة التي عاقبتها النار {وَيَوْمَ القيامة لاَ يُنصَرُونَ} يعني: لا يمنعون من عذابي {وأتبعناهم فِى هَذِهِ الدنيا لَعْنَةً} أي: عقوبة وهو الغرق {وَيَوْمَ القيامة هُمْ مّنَ المقبوحين} أي: من المهلكين. والعرب تقول: قبحه الله أهلكه الله. ويقال: {وأتبعناهم فِى هَذِهِ الدنيا لَعْنَةً} وذلك أنهم لما أهلكوا لعنوا، فهم يعرضون على النار غدوة وعشية إلى يوم القيامة، ويوم القيامة هم من المقبوحين الممقوتين المهلكين. ويقال: {مّنَ المقبوحين}، أي: من المعذبين ويقال: إنه قبح صورتهم. ويقال: {مّنَ المقبوحين}، أي من: المشوهين.

قوله عز وجل: {وَلَقَدْ ءاتَيْنَا موسى الكتاب} يعني: أعطيناه التوراة {مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا القرون الاولى} بالعذاب أي: من بعد قوم نوح وعاد وثمود {بَصَائِرَ لِلنَّاسِ} يعني: هلاكهم بصيرة للناس وغيرهم. ويقال: بصائر. يعني: الكتاب بياناً لبني إسرائيل، ومعناه: {وَلَقَدْ ءاتَيْنَا موسى الكتاب *** بَصَائِرَ} أي مبيناً للناس {وهدى} من الضلالة لمن عمل به {وَرَحْمَةً} لمن آمن به من العذاب {لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} أي: لكي يتعظوا، فيؤمنوا بتوحيد الله {وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الغربى} أي: ما كنت يا محمد بناحية الجبل من قبل المغرب {إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الامر} يعني: إذ عهدنا إليه بالرسالة. ويقال: أحكمنا معه، وعمدنا إليه بأمرنا ونبينا {وَمَا كنتَ مِنَ الشاهدين} يعني: حاضرين لذلك الأمر {وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُوناً فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ العمر} أي الأجل فنسوا عهد الله ونسوا أمره {وَمَا كُنتَ ثَاوِياً فِى أَهْلِ مَدْيَنَ} أي مقيماً في أهل مدين {تَتْلُو عَلَيْهِمْ *** ءاياتنا} يعني: تتلو على أهل مكة القرآن يعني: أن الله تعالى أعلمك أخبار الأمم الماضية من حديث موسى وشعيب عليهما السلام ليكون علامة لنبوتكم حيث يخبرك بخبر موسى، ولم تكن حاضراً هناك، ولم تكن تقرأ القرآن {وَلَكِنَّا كُنَّا

مُرْسِلِينَ} إليك لتخبرها بخبر أهل مدين، وبخبر موسى. ويقال: {وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ} يعني: أرسلناك رسولاً، وأنزلنا هذه الأخبار، لتخبرهم لولا ذلك لما علمتها.

▲ تفسير الآيات رقم [46- 50]

{وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (46) وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (47) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ (48) قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (49) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (50)}
قوله عز وجل: {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطور} يعني: بناحية الجبل الذي كلّم الله به موسى. يعني: عن يمين موسى، ولولا ذلك {إِذْ نَادَيْنَا} يعني: كلمنا موسى. ويقال: إذ نادينا أمتك، وذلك أن الله تعالى لما وصف نعت أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فأحب موسى أن يراهم قال الله تعالى لموسى: إنك لن تراهم وإن أحببت أسمعتك كلامهم، فأسمعه الله تعالى كلامهم، وقال أبو هريرة رضي الله عنه معنى قوله: {إِذْ نَادَيْنَا} يعني: نودوا يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني، واستجبت لكم قبل أن تدعوني.
وروى أن عمر عن ابن مدرك عن أبي زرعة قال: نرفع الحديث في قوله: {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطور إِذْ نَادَيْنَا}. قال: نودي يا أمة محمد قد أجبتكم قبل أن تدعوني، وأعطيتكم قبل أن تسألوني. وعن عمرو بن شعيب قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله: {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطور إِذْ نَادَيْنَا} ما كانَ النِّدَاءُ، وَمَا كَانَتِ الرَّحْمَةُ قَالَ: «كِتَابٌ كَتَبَهُ الله تَعَالَى قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ بِأَلْفَيْ عَامٍ، وَسِتِّمائَةِ عَامٍ عَلَى وَرَقَةِ أمْنٍ، ثُمَّ وَضَعَهُ عَلَى عَرْشِهِ، ثُمَّ نَادَى يا أمَّةَ مُحَمَّدٍ سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي، أعْطَيْتُكُمْ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلُونِي، وَغَفَرْتُ لَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَسْتَغْفِرُونِي، فَمَنْ لَقِيَنِي مِنْكُمْ، يَشْهَدُ أَنْ لاَ إله إلاَّ الله، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولَهُ أَدْخَلْتُهُ الجَنَّةَ». ثم قال: {ولكن رَّحْمَةً مّن رَّبِكَ} يعني: القرآن نعمة

من ربك حيث اختصصت به نصب رحمة، لأن معناه فعلنا ذلك للرحمة، كقوله: فعلت ذلك ابتغاء الخير، يعني: لابتغاء الخير ثم قال: {لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أتاهم} يعني: لم يأتهم {مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ} يعني: لم يأتهم رسول من قبلك، وهم أهل مكة {لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} يعني: لكي يتعظوا. قوله عز وجل: {وَلَوْلا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ} يعني: عقوبة ونقمة، وفي الآية تقديم ومعناها لولا أن يقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً، فنتبع آياتك، ونكون من المؤمنين لعذبوا في الدنيا، ولأصابتهم مصيبة {بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} وهذا هو قول مقاتل. ويقال: معناه لولا أن يصيبهم عذاب {فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءاياتك وَنَكُونَ مِنَ المؤمنين} لعذبوا في الدنيا، فيكون جوابه مضمراً. ويقال: معناه لو إني أهلكتهم قبل إرسالي، لقالوا يوم القيامة: {رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءاياتك} أي: يقولوا: ولولا ذلك لم نحتج إلى إرسال الرسل، فأرسلناك لكي لا يكون لهم حجة علي، ثم قال عز وجل: {فَلَمَّا جَاءهُمُ الحق مِنْ عِندِنَا} يعني: الكتاب والرسل {قَالُواْ لَوْلا أُوتِىَ مِثْلَ مَا أُوتِىَ موسى} من قبل يعني هلا أعطي محمد صلى الله عليه وسلم القرآن جملة واحدة، كما أعطي موسى التوراة جملة يقول الله تعالى: {أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَا أُوتِىَ موسى مِن قَبْلُ} يعني: بالتوراة، فقد كفروا بآيات موسى، كما كفروا بآيات محمد صلى الله عليه وسلم {قَالُواْ سِحْرَانِ تظاهرا} يعني: تعاونا، وذلك أن أهل مكة سألوا اليهود عنه فأخبروهم أنهم يجدون في كتبهم نعته وصفته فأمروهم بأن يسألوه عن أشياء فلما أجابهم.

قالوا: ساحران تظاهرا {وَقَالُواْ إِنَّا بِكُلّ كافرون} يعني: جاحدين قرأ حمزة والكسائي وعاصم {سِحْرَانِ} بغير ألف، عنوا محمداً وموسى عليهما السلام ويقال: التوراة والفرقان. ويقال: التوراة والإنجيل. وقال سعيد بن جبير: يعني موسى وهارون عليهما السلام ويقال: موسى وعيسى عليهما السلام واحتج من يقرأ بغير ألف بما في سياق الآية. {قُلْ فَأْتُواْ بكتاب مّنْ عِندِ الله هُوَ أهدى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ} واحتج من قرأ بالألف بقوله تعالى: {تَظَاهَرَا} تعاونا، والتظاهر يكون بالناس يقول الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم قل لهم فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه، يعني: من التوراة، والقرآن أتبعه، أي أعمل به {إِن كُنتُمْ صادقين} بأنهما ساحران {فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ} يعني: إن لم يجيبوك إلى الإثبات بالكتاب {فاعلم أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ} بعبادة الأوثان. ويقال: يؤثرون أهواءهم على الدين {وَمَنْ أَضَلُّ} يعني: ومن أضر

بنفسه {مِمَّنْ اتبع هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ الله} يعني: بغير بيان من الله {إِنَّ الله لاَ يَهْدِى القوم الظالمين} يريد كفار مكة يعني: لا يرشدهم إلى دينه.

تفسير الآيات رقم [51- 55]

{وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (51) الَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (52) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آَمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (53) أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (54) وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ (55)}

قوله: {وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ القول لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} أي: ينالهم في القرآن خبر الأمم الماضية، كيف عذبوا لعلهم يتذكرون، أي لكي يخافوا فيؤمنوا بما في القرآن ويقال: ولقد وصلنا لهم القول، أي: وصلنا لهم الكتب بعضها ببعض، يعني بعضها على إثر بعض. ويقال: {وَلَقَدْ وَصَّلْنَا} أي: أوصلنا لهم القول. يعني: أنزلنا لهم القرآن آية بعد آية أنه هداية، {لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} يعني: لكي يتعظوا. ثم وصف مؤمني أهل الكتاب فقال: {الذين ءاتيناهم الكتاب مِن قَبْلِهِ} يعني: من قبل القرآن {هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ} يعني: مؤمني أهل الكتاب، وهم أربعون رجلاً من أهل الإنجيل، كانوا مسلمين قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم اثنان وثلاثون من أهل أرض الحبشة، قدموا مع جعفر الطيار، وثمانية من أهل الشام. ويقال: إنهم ثمانية عشر رجلاً {وَإِذَا يتلى عَلَيْهِمْ} يعني: القرآن {قَالُواْ ءامَنَّا بِهِ} أي صدقنا {إِنَّهُ الحق مِن رَّبّنَا} يعني: القرآن، وذلك أنهم عرفوا بما ذكر في كتبهم من نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته وكتابه فقالوا: {إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ} يعني: من قبل هذا القرآن، ومن قبل محمد صلى الله عليه وسلم كنا مخلصين {أُوْلَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ} يعني: يعطون ثوابهم ضعفين مرة بكتابهم، ومرة بإيمانهم بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم {بِمَا صَبَرُواْ} يعني: بصبرهم على ما أوتوا. ويقال: بما صبروا، أي بصبرهم على دينهم الأول، وبما صبروا على أذى المشركين، فصدقوا وثبتوا على إيمانهم. حيث قال لهم أبو جهل وأصحابه: ما رأينا أحداً أجهل منكم، تركتم دينكم، وأخذتم دينه. فقالوا: ما لنا لا نؤمن بالله، فذلك قوله عز وجل: {وَيَدْرَءونَ بالحسنة السيئة} أي: يدفعون قول المشركين بالمعروف.

ويقال: يدفعون الشرك بالإيمان. ويقال: يدفعون بالكلام الحسن الكلام القبيح. ويقال: يدفعون ما تقدم لهم من السيئات بما يعملون من الحسنات {وَمِمَّا رزقناهم يُنفِقُونَ} يعني: يتصدقون. قوله عز وجل: {وَإِذَا سَمِعُواْ اللغو أَعْرَضُواْ عَنْهُ} يعني: إذا سمعوا الشتم والأذى والكلام القبيح لم يردوا عليهم، ولم يكافئوهم به ولم يلتفتوا إليه، يعني: إذا شتمهم الكفار لم يشتغلوا بمعارضتهم بالشتم {وَقَالُواْ لَنَا أعمالنا} يعني: ديننا {وَلَكُمْ أعمالكم} يعني: دينكم {سلام عَلَيْكُمُ} يعني: وردوا معروفاً عليهم ليس هذا تسليم التحية، وإنما هو تسليم المتاركة والمسالمة، أي: بيننا وبينكم المتاركة والمسالمة، وهذا إن يؤمر المسلمون بالقتال. ويقال: السلام عليكم. يعني: أكرمكم الله تعالى بالإسلام {لاَ نَبْتَغِى الجاهلين} أي: لا نطلب دين الخاسرين، ولا نصحبهم. ويقال: هذه الآية مدنية نزلت في شأن عبد الله بن سلام.

وروى أسباط عن السدي قال: لما أسلم عبد الله بن سلام رضي الله عنه فقال يا رسول الله: ابعث إلى قومي فاسألهم عني فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فستر بينهم وبينه ستراً. وقال: «أَخْبِرُونِي عَنْ عَبْدِ الله بْنِ سَلامٍ كَيْفَ هُوَ فِيكُمْ؟» قالوا: ذاك سيدنا وأعلمنا. قال: «أَرَأَيْتُمْ إنْ آمَنَ بِي وَصَدَّقَنِي أَتُؤْمِنُونَ بِي وَتُصَدِّقُونِي؟» قالوا: هو أفقه من أن يدع دينه ويتبعك. قال: «أَرَأَيْتُمْ إنْ فَعَلَ؟» قالوا: لا يفعل. قال: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ فَعَلَ؟» قالوا: إنه لا يفعل، ولو فعل إذاً نفعل. فقال عليه السلام: «أَخْرُجْ يا عَبْدَ الله». فخرج. فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، فوقعوا فيه، وشتموه وقالوا: ما فينا أحد أقل علماً، ولا أجهل منك. قال: «أَلَمْ تُثْنُوا عَلَيْهِ آنِفاً؟» قالوا: إنا استحينا أن نقول اغتبتم صاحبكم، فجعلوا يشتمونه وهو يقول: {سلام عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِى الجاهلين} فقال: ابن يامني، وكان من رؤساء بني إسرائيل أشهد أن عبد الله بن سلام صادق، فابسط يدك يا محمد، فبسط يده، فبايع ابن يامني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل: {الذين ءاتيناهم الكتاب مِن قَبْلِهِ} إلى قوله: {وَمِمَّا رزقناهم يُنفِقُونَ} وإلى قوله: {لاَ نَبْتَغِى الجاهلين}.

▲ تفسير الآيات رقم [56- 60]

{إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (56) وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (57) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ (58) وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ (59) وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ (60)}

قوله عز وجل: {إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ} يعني: لا ترشد من أحببته إلى الهدى. ويقال: من أحببت هدايته إلى دينك، وذلك أن أبا طالب لما حضرته الوفاة، دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعنده أبو جهل وعبد الله بن أمية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا عَمَّاهُ قُلْ لا إله إلا الله كَلِمَةٌ أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ الله تَعَالَى». فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزالا يكلمانه ويكلمه النبي صلى الله عليه وسلم حتى مات على الكفر فنزل {إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ} بهدايته {ولكن الله يَهْدِى مَن يَشَاء} يعني: يرشد من يشاء إلى دينه {وَهُوَ أَعْلَمُ بالمهتدين} يعني: بمن قدر له الهدى.

قوله عز وجل: {وَقَالُواْ} يعني: مشركي مكة {إِن نَّتَّبِعِ الهدى مَعَكَ} يعني: الإيمان بك {نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا} يعني: نسبى ونخرج من مكة لإجماع العرب على خلافنا، وهذا قول الحارث بن عامر النوفلي حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ما كذبت كذبة قط، فنتهمك اليوم، ولكن متى ما نؤمن بك فتحسنا العرب من أرضنا يقول الله تعالى: {وَقَالُواْ إِن نَّتَّبِعِ الهدى مَعَكَ} يعني: أولم ننزلهم مكة حرماً أميناً يعني: كان الحرم أمناً لهم في الجاهلية من القتل والسبي، وهم يعبدون غيري، فكيف يخافون إن أسلموا أن لا يكون الحرم أمناً لهم؟ فذلك قوله: {أَوَلَمْ نُمَكّن لَّهُمْ} يعني أولم ننزلهم مكة حرماً آمناً من الغارة والسبي {يجبى إِلَيْهِ} بالياء يعني: يحمل إليه {ثَمَرَاتُ كُلّ شَئ} أي: من ألوان الثمرات قرأ نافع {***تجبى} بالتاء لأن الثمرات مؤنثة. وقرأ الباقون بالياء لتقديم الفعل ثم قال: {شَئ رّزْقاً مّن لَّدُنَّا} أي: من عندنا {ولكن أَكْثَرَهُمْ لاَ

يَعْلَمُونَ} يأكلون رزقي، ويعبدون غيري، وهم آمنون في الحرم ويقال لا يعلمون أن ذلك من فضل الله عليهم.
ثم خوفهم فقال تعالى: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ} فيما مضى {بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا} كفرت برزق ربها ذكر القرية، وأراد به أهل القرية يعني: أنهم كانوا ينقلبون في رزق الله تعالى: فلم يشكروه في نعمته. ويقال: بطرت معيشتها يعني: طغوا في نعمة الله، فأهلكهم الله تعالى بالعذاب في الدنيا. ويقال: عاشوا في البطر وكفران النعم {فَتِلْكَ مساكنهم} يعني: انظروا واعتبروا في بيوتهم وديارهم بقيت خالية {لَمْ تُسْكَن مّن بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً} وهم المسافرون ينزلون بها يوماً أو ساعة {وَكُنَّا نَحْنُ الوارثين} أي: نرث الأرض ومن عليها {وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ القرى} يعني: لم يعذب أهل القرى {حتى يَبْعَثَ فِى أُمّهَا رَسُولاً} يعني: معظمها ويقال: في أكبر قراها.
ويقال: أم القرى مكة. قرأ حمزة والكسائي {فِى أُمّهَا} بكسر الألف. والباقون بالضم، ومعناهما واحد يبعث في أمها رسولاً {يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءاياتنا} يعني: القرآن {وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى القرى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظالمون} يعني: لم نهلكها إلا بظلم أهلها.
ثم قال عز وجل: {وَمَا أُوتِيتُم مّن شَئ} يعني ما أعطيتم من مال. ويقال: ما أعطيتم من الدنيا، فهو {فمتاع الحياة الدنيا} يعني: فهو متاع الحياة الدنيا، ينتفعوا بها أيام حياتهم {وَزِينَتَهَا} يعني: وزهراتها ولا تبقى دائماً {وَمَا عِندَ الله} من الثواب والجنة {خَيْرٌ وأبقى} يعني: أفضل وأدوم لأهله مما أعطيتم في الدنيا {أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} أن الباقي خير من الفاني. قرأ عمرو {يَعْقِلُونَ} بالياء على معنى الخبر عنهم. وقرأ الباقون بالتاء على معنى المخاطبة.

تفسير الآيات رقم [61- 66]

{أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (61) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (62) قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (63) وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ (64) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (65) فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ (66)}

قوله عز وجل: {أَفَمَن وعدناه وَعْداً حَسَناً} يعني: الجنة {فَهُوَ لاَقِيهِ} يعني: مدركه ومصيبه {كَمَن مَّتَّعْنَاهُ متاع الحياة الدنيا} بالمال {ثُمَّ هُوَ يَوْمَ القيامة مِنَ المحضرين} في النار هل يستوي حالهما؟ قال في رواية الكلبي: نزل في عمار بن ياسر، وأبي جهل بن هشام وقال غيره: هذا في جميع المؤمنين، وجميع الكافرين ويقال نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم، وفي أبي جهل، يعني: من كان له في هذه الدنيا عدة مع دين الله، خير ممن كان له سعة وفرج مع الشرك، ثم هو يوم القيامة من المحضرين. يعني: من المعذبين في النار.

وقال عز وجل: {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ} يعني: واذكر يوم يدعوهم يعني: المشركين {فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الذين} يعني: المشركين: {كُنتُمْ تَزْعُمُونَ} لهم شركاتي في الدنيا {قَالَ الذين حَقَّ عَلَيْهِمُ القول} وجبت عليهم الحجة فوجب عليهم العذاب ويقال وجب عليهم القول وهو قوله {قَالَ اخرج مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ} [الأعراف: 18] {رَبَّنَا هَؤُلاء الذين أَغْوَيْنَا أغويناهم} يعني: القادة يقولون ربنا هؤلاء الذين أضللنا يعني: السفلة أغويناهم {كَمَا غَوَيْنَا} أي: أضللناهم كما كنا ضالين. ويقال: يقول الكافرون {رَبَّنَا هَؤُلاء الذين أَغْوَيْنَا} يعني: الشياطين. فقالت الشياطين: أغويناهم. يعني: أضللناهم كما غوينا، أي أضللنا {تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ} من عبادتهم {مَا كَانُواْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ} يعني: ما كانوا يأمرونا بعبادة الآلهة {وَقِيلَ} للكفار {ادعوا * شُرَكَائِكُمْ} يعني آلهتكم التي تعبدون من دون الله {فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ} يقول الله عز وجل: {وَرَأَوُاْ العذاب لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ} يعني: يودون لو أنهم كانوا مهتدين في الدنيا. ويقال: يودون أن لم يكونوا اتبعوهم. فدعوهم فلم يستجيبوا لهم، أي: لم يجيبوهم بحجة تنفعهم فيودون أنهم لم يعبدوهم لما رأوا العذاب. ثم قال عز وجل: {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ} يعني: يسألهم يوم القيامة {فَيَقُولُ مَاذَا * لَمِنَ المرسلين} في التوحيد {فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الانباء} يعني: ألبست عليهم الحجج {يَوْمَئِذٍ} من الهول {فَهُمْ لاَ يَتَسَاءلُونَ} يعني: لا يسأل بعضهم بعضاً عما يحتجون به، رجاء أن يكون عنده من الحجة ما لم يكن عند غيره، لأن الله تعالى أدحض حجتهم، وفي الدنيا إذا اشتبهت عليه الحجة، ربما يسأل عن غيره، فيلقنه الحجة، وفي الآخرة آيس من ذلك.

▲ تفسير الآيات رقم [67- 75]

{فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ (67) وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (68) وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (69) وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآَخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (70) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (71) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (72) وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (73) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (74) وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (75)}

ثم قال الله عز وجل: {فَأَمَّا مَن تَابَ وَءامَنَ} يعني: من الشرك {وَعَمِلَ صالحا} فيما بينه وبين الله تعالى {فعسى أَن يَكُونَ مِنَ المفلحين} أي: من الناجين الفائزين بالخير. قوله عز وجل: {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ} وذلك أن الوليد بن المغيرة كان يقول: {وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ هذا القرءان على رَجُلٍ مِّنَ القريتين عَظِيمٍ} [الزخرف: 31] يعني به نفسه وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف فقال تعالى: {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ} للرسالة من يشاء {مَا كَانَ لَهُمُ الخيرة} يعني: ليس [الخيار إليهم. ويقال: هو ربك يخلق ما يشاء، ويختار لهم ما يشاء، {مَا كَانَ لَهُمُ الخيرة}، أي ما كان لهم طلب الخيار، والأفضل. ويقال: ما كان لبعضهم على بعض فضل، والله تعالى هو الذي يختار. وقال الزجاج: الوقف على قوله، {وَيَخْتَارُ}. والمعنى وربك يخلق ما يشاء، ويختار. ثم قال: {مَا كَانَ لَهُمُ الخيرة}، أي لم يكن لهم أبداً يختاروا على الله، ويكون ما للنفي. قال: ووجه آخر أن تكون بمعنى الذي يعني، وربك يخلق ما يشاء، ويختار الذين لهم الخيرة أن يدعوهم إليه من عبادته، ما لهم فيه الخيرة. ويقال: ما كان لهم الخيرة. يعني: ليس لهم أن يختاروا على الله عز وجل، وليس إليهم الاختيار، والمعنى لا نرسل الرسل إليهم على اختيارهم.

ثم قال: {سبحان الله} أي تنزيهاً لله {وتعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ} يعني: ما تضمر وتسر قلوبهم {وَمَا يُعْلِنُونَ} من القول {وَهُوَ الله لا إله إِلاَّ هُوَ} يعني: لا خالق ولا رازق غيره {لَهُ الحمد فِى الاولى والاخرة} أي: في الدنيا والآخرة، وقال

مقاتل: يعني يحمده أولياؤه في الدنيا، ويحمدونه في الجنة ويقال: له الألوهية في الدنيا والآخرة، وله الحكم، يعني نفاذ الحكم، والقضاء يحكم في الدنيا والآخرة بما يشاء {وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} في الآخرة، فيجازيكم بأعمالكم. قوله عز وجل: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ الله} يعني: ألا تنظرون إلى نعمة الله تعالى في خلق الليل والنهار لمصلحة الخلق، فلو جعل {عَلَيْكُمُ اليل سَرْمَداً} أي دائماً {إلى يَوْمِ القيامة مَنْ إله غَيْرُ الله يَأْتِيكُمْ بِضِيَاء أَفَلاَ تَسْمَعُونَ} المواعظ، وتعتبرون بها. قوله عز وجل: {قُلْ أَرَءيْتُمْ إِن جَعَلَ الله عَلَيْكُمُ النهار سَرْمَداً إلى يَوْمِ القيامة} يعني: دائماً {مَنْ إله غَيْرُ الله يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ} يعني: تقرّون تريحون فيه {أَفلاَ تُبْصِرُونَ} من يفعل ذلك بكم، لأن العيش لا يصلح إلا بالليل والنهار، فأخبر عن صنعه لمصلحة الخلق، ليشكروه ويوحدوه ويعبدوه فقال: {وَمِن رَّحْمَتِهِ} أي ومن نعمته وفضله {جَعَلَ لَكُمُ اليل والنهار لِتَسْكُنُواْ فِيهِ} يعني: في الليل وجعل لكم النهار {وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ} يعني: لتطلبوا من رزقه في النهار {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} أي: تشكرون رب هذه النعمة.
ثم قال عز وجل: {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ} يعني: {أَنذَرَهُمْ} بذلك اليوم ويقال: معناه اذكر ذلك اليوم الذي يناديهم أي: يدعوهم {فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الذين كُنتُمْ تَزْعُمُونَ} أنها لي شريك {وَنَزَعْنَا مِن كُلّ أُمَّةٍ شَهِيداً} أي: أخرجنا من كل أمة نبيها ورسولها {شَهِيداً} بالرسالة والبلاغ {فَقُلْنَا} للمشركين {هَاتُواْ برهانكم} أي: حجتكم بأن معي شريكاً، فلم يكن لهم حجة {فَعَلِمُواْ أَنَّ الحق لِلَّهِ} يعني: أن عبادة الله هي الحق. ويقال: علموا أن التوحيد لله. ويقال: إن الحق ما دعا إليه الله، وأتاهم به الرسول {وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ} يعني: اشتغل عنهم بأنفسهم ما كانوا يفتدون، يعني: يكذبون في الدنيا يعني: الأصنام. ويقال: يعني الشياطين. ويقال: وضلّ عنهم ما كانوا يفترون، يعني: تشفعوا بما عبدوه من دون الله.

▲ تفسير الآيات رقم [76- 82]

{إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (76) وَابْتَغِ فِيمَا آَتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآَخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (77) قَالَ إِنَّمَا

أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (78) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (79) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (80) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (81) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (82)}

قوله عز وجل: {إِنَّ قارون كَانَ مِن قَوْمِ موسى} يعني: من بني إسرائيل. ويقال: كان ابن عم موسى {فبغى عَلَيْهِمْ} يعني: تطاول وتكبر على بني إسرائيل، وكان فرعون قد ملكه على بني إسرائيل حين كانوا بمصر، فلما قطع موسى البحر ببني إسرائيل، ومعه قارون فأغرق الله تعالى فرعون وجنوده ورجع موسى عليه السلام ببني إسرائيل إلى أرض مصر، وسكنوا ديارهم كما قال في رواية أُخرى {كَذَلِكَ وأورثناها بنى إسراءيل} [الشعراء: 59] وجعلت جنوده لهارون، وهو الرأس، والذي بقرب القربان فقال قارون لموسى: لك النبوة، ولهارون الحبورة، والمذبح، وأنا لست في ذلك من شيء. فقال له موسى: أنا لم أفعل ذلك، ولكن الله تعالى فعل ذلك. فقال له قارون: لا أصدقك على ذلك، واعتزل قارون ومن تبعه من بني إسرائيل، وكان كثير المال والتبع.

وروي عن الحسن أنه قال: أول من شرف الشرف قارون، لما بنى داره وفرغ منها، وشرفها صنع للناس طعاماً سبعة أيام، يجمعهم كل يوم ويطعمهم.

وروي عن ابن عباس أنه قال: لما أمر الله تعالى موسى بالزكاة قال لقارون: إن الله أمرني أن آخذ من مالك الزكاة، فأعط من كل مائتي درهم خمسة دراهم، فلم يرض بذلك فقال له: اعط من كل ألف درهم درهماً، فلم يرض بذلك. وقال لبني إسرائيل: إن موسى لم يرض حتى تناول أموالكم، فما ترون؟ قالوا: رأينا لرأيك تبع. قال: فإني أرى أن ترموه فتهلكوه، فبعثوا إلى امرأة زانية، فأعطوه حكمها على أن ترميه بنفسها، ثم أتوه في جماعة بني إسرائيل. فقالوا: يا موسى ما على من يسرق من الحد. قال: تقطع يده. قالوا: وإن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا. قالوا: وما على الزاني إذا زنى؟ قال: يرجم. قالوا: وإن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا. قالوا: فأنت قد ازنيت. قال: أنا وجزع من ذلك، فأرسلوا

إلى المرأة، فلما جاءت وعظها، وعظم عليها موسى الحلف بالله، وسألها بالذي فلق البحر لبني إسرائيل، وأنزل التوراة على موسى إلا صدقت. قالت: أما إذا حلفتني، فإني أشهد أنك بريء، وإنك رسول الله. وقالت: أرسلوا إليَّ فأعطوني حكمي على أن أرميك بنفسي. قال: فخرّ موسى عليه السلام لله ساجداً يبكي، فأوحى الله تعالى إليه ما يبكيك قد أمرت الأرض أن تطيعك، فأمرها بما شئت. فقال موسى: خذيهم، فأخذتهم.

وقال في رواية الحسن: خرج موسى عليه السلام مغضباً. فدعى الله عز وجل. وقال: عبدك قارون الذي عبد غيرك دونك وجحدك، فأوحى الله تعالى إلى موسى إني قد أمرت الأرض، بأن تطيعك، فجاء موسى حتى دخل إلى قارون حين اجتمع الناس في داره.

فقال: يا عدو الله كذبتني بكلام له غيظ، حتى غضب قارون، وأقبل عليه بكلام شديد، وهّم به. فلما رأى موسى ذلك قال: يا أرض خذيهم. قالوا: وكان قارون على فرش على سرير مرتفع في السماء، فأخذت الأرض أقدامهم، وغاب سريره ومجلسه، وقد دخل من الدار في الأرض مثل ما أخذت منهم على قدرها، فأقبل موسى يوبخهم، ويغلظ لهم المقالة، فلما رأى القوم ما نزل بهم، عرفوا أن هذا الأمر ليس لهم به قوة، فنادوا: يا موسى كف عنا، وارحمنا، وجعلوا يتضرعون إليه، ويطلبون رضاه، وهو لا يزداد إلا غضباً وتوبيخاً لهم ثم قال: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى ركبهم، فجعلوا يتضرعون إليه، ويسألونه، وهو يوبخهم ثم قال: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى أوساطهم، وكانت الأرض تأخذ من الدار كل مرة مثل ما تأخذ منهم، وهم يتضرعون في ذلك إلى موسى، ويسألونه. ثم قال: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى آباطهم، فمدوا أيديهم إلى وجه الأرض رجاء أن يمتنعوا بها. ثم قال: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى أعناقهم، فلم يبق على وجه الأرض منهم شيء إلا رؤوسهم، ولم يبق من الدار إلا شرفها. وقال قارون: يا موسى أنشدك بالله وبالرحم. فقال: يا أرض خذيهم، فاستوت الأرض عليهم، وعلى الدار، فانطلق موسى، وهو فرح بذلك، فأوحى الله تعالى إلى موسى، يا موسى يتضرع إليك عبادي، ودعوك وسألوك، فلم ترحمهم، أما وعزتي وجلالي لو أنهم سألوني، واستغاثوا بي لرحمتهم، ولكن تركوا أن يجعلوا رغبتهم ورجاءهم إلي، وجعلوها إليك، فتركتهم فذلك قوله تعالى: {إِنَّ قارون كَانَ مِن قَوْمِ موسى فبغى عَلَيْهِمْ} يعني: تطاول على بني إسرائيل، وعلى موسى {إِنَّ قارون كَانَ}

يعني: من المال {مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ} يعني: خزائنه {إِنَّ قارون} قال مقاتل: العصبة من العشرة إلى أربعين، فإذا كانوا أربعين، فهم أولو قوة يقول: لتعجز العصبة أولو القوة عن حمل مفاتيح الخزائن.
وقال أهل اللغة: ناء به الحمل إذا أثقله. وقال القتبي: تنوء بالعصبة، أي تميل بها العصبة، أي تميل بهم العصبة إذا حملتها من ثقلها، وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: العصبة في هذا الموضوع أربعون رجلاً، وخزائنه كانت أربعمائة ألف ما يحمل كل رجل منهم عشرة آلاف إلا أن ويقال {مَّفَاتِحهُ} يعني: مفاتيح خزائنه يحملها أربعون رجلاً. ويقال: أربعون بغلاً.
وروى وكيع عن الأعمش عن خيثمة قال: كان مفاتيح كنوز من جلد كل مفتاح مثل الإصبع، كل مفتاح على خزانة على حدة، فإذا ركب حمل المفاتيح على ستين بغلاً كل بغل أغر محجل {إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ} يعني: بني إسرائيل {لاَ تَفْرَحْ} يعني: لا تفخر بما أديت من الأموال.
ويقال: لا تفرح بكثرة المال {إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ الفرحين} يعني: المرحين المفاخرين. ويقال: البطرين ويقال: لا تفرح أي: لا تأشر والأشر أشد الفرح الذي يخالطه حرص شديد حتى يبطر، يعني: يطغى وقالوا له: {وابتغ فِيمَا ءاتَاكَ الله} يعني: اطلب مما أعطاك الله من الأموال والخير {الدار الاخرة وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدنيا} يعني: لا تترك حظك من الدنيا أن تعمل لآخرتك {وَأَحْسَنُ} العطية من الصدقة والخير {كَمَا أَحْسَنَ الله إِلَيْكَ} يعني: أعط الناس كما أعطاك الله. ويقال: أحسن إلى الناس كما أحسن الله إليك {وَلاَ تَبْغِ الفساد فِى الارض} يعني: أنفقه في طاعة الله، ولا تنفقه في معصية الله {إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ المفسدين} أي: المنفقين في المعصية. وقوله: وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة، ولا تنس نصيبك في الدنيا، أي: لا تضيع عمرك، فإنه نصيبك من الدنيا {قَالَ} قارون {إِنَّمَا أُوتِيتُهُ على عِلْمٍ عِندِى} قال مقاتل: أي على خير علمه الله عندي. وقال في رواية الكلبي: يعني: علم التوراة، وكان قارون أقرأ رجل في بني إسرائيل في التوراة، فأعطيت ذلك لفضل علمي، وكنت بذلك العلم ومستحقاً بفضل المال. ويقال: على علم عندي. يعني: علم الكيمياء، وكان يعمل كيمياء الذهب. وقال الزجاج: الطريق الأول أشبه، لأن الكيمياء لا حقيقة لها، يقول الله تعالى: {أَوَ لَمْ *** يَعْلَمْ أَنَّ الله} تعالى {قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ القرونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً} من الأموال منهم: نمرود وغيره {وَلاَ يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ المجرمون} يعني: لا يسأل الكافرون

عن ذنوبهم، لأن كل كافر يعرف بسيماه، وهذا قول الكلبي. وقال مقاتل: لا يسأل مجرمو هذه الأمة عن ذنوب الأمم الخالية وقيل: لا يسأل الكافرون يوم القيامة عن ذنوبهم سؤال النجاة، بل يسألون سؤال العذاب والمناقشة.
قوله عز وجل: {فَخَرَجَ على قَوْمِهِ فِى زِينَتِهِ} يعني: خرج قارون على بني إسرائيل. قال مقاتل: وهو على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب عليها أرجوان، ومعه أربعة آلاف فارس، وعليهم وعلى دوابهم الأرجوان، ومعه ثلاثمائة جارية بيضاء، عليهن من الحلل والثياب الحمر على البغال الشهب. وقال قتادة: خرج معه أربعة آلاف دابة عليها ثياب حمر، منها ألف بغلة بيضاء عليها قطائف أرجوان. وقال في رواية الكلبي خرج على ثلاثمائة دابة بيضاء عليها نوع من الكساء وعليها ثلثمائة قطيفة حمراء عليها جواري وغلمان {قَالَ الذين يُرِيدُونَ الحياة الدنيا} وكانوا من أهل التوحيد {الدنيا ياليت لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِىَ قارون} يعني: مثل ما أعطي من الأموال قارون {إِنَّهُ لَذُو حَظّ عَظِيمٍ} يقول: ذو نصيب وافر في الدنيا.
قوله عز وجل: {وَقَالَ الذين أُوتُواْ العلم} يعني: أكرموا بالعلم بما وعد الله في الآخرة للذين تمنوا ذلك {وَيْلَكُمْ ثَوَابُ الله خَيْرٌ} يعني: ويحكم ثواب الله في الآخرة خير يعني: أفضل {لِمَنْ ءامَنَ} يعني: صدق بتوجيه الله تعالى {وَعَمِلَ صالحا} فيما بينه وبين الله تعالى مما أعطى قارون في الدنيا {وَلاَ يُلَقَّاهَا} يعني: ولا يلقن ولا يوقف ويرزق في الجنة {إِلاَّ الصابرون} في الدنيا على أمر الله تعالى. ويقال: {وَلاَ يُلَقَّاهَا}، أي لا يعطى الأعمال الصالحة إلاَّ الصابرون على الطاعات وعن زينة الدنيا. ويقال: ولا يلقاها، يعني: ولا يلقن بهذه الكلمة إلاَّ الصابرون عن زينة الدنيا يقول الله تعالى {فَخَسَفْنَا بِهِ} يعني: قارون {وَبِدَارِهِ الارض} يعني: بقارون وبداره وأمواله، فهو يتجلجل في الأرض كل يوم قامة رجل إلى يوم القيامة {فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ الله} يعني: لم يكن له جنة وأعوان يمنعونه من عذاب الله عز وجل {وَمَا كَانَ مِنَ المنتصرين} يعني: وما كان قارون من الممتنعين مما نزل به من عذاب الله. قوله عز وجل: {وَأَصْبَحَ الذين تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُ بالامس} حين رأوه في زينته وقالوا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون {يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ الله} قال القتبي: قد اختلف في هذه اللفظة. فقال الكسائي: معناها ألم تر أن الله يبسط، ويكأنه يعني: ألم تر أنه لا يفلح الكافرون.

روى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة أنه قال: {وَيْكَأَنَّ الله}، يعني: أو لا يعلم أن الله {يَبْسُطُ} وهذا شاهد لقول الكسائي. وذكر الخليل بن أحمد أنها مفصولة وي ثم يبتدئ فيقول: كأن الله. وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: كان الله يبسط {الرزق لِمَن يَشَاء} كأنه لا يفلح الكافرون. وقال وي صلة في الكلام، وهذا شاهد لقول الخليل. وقال الزجاج: الذي قاله الخليل أجود، وهو أن قوله وي مفصولة من كان، لأن من يدم على شيء يقول: وي يعاتب الرجل على ما سلف يقول: وي كأنك قصدت مكروهاً. وقال مقاتل: معناه ولكن الله يبسط الرزق لمن يشاء {مِنْ عِبَادِهِ} يعني: يوسعه على من يشاء من عباده {وَيَقْدِرُ} يعني: يقتر ويقال: ويضيق على من يشاء يعني: لولا أن الله منَّ علينا لكنا مثل قارون في العذاب {لَوْلا أَن مَّنَّ الله عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا} معهم. ويقال: لولا منَّ الله علينا بالإيمان، لكنا مثل قارون في العذاب. ويقال لولا أن منَّ الله علينا، يعني: عصمنا مثل ما كان عليه من البطر والبغي، لخسف بنا كما خسف به. قال قرأ عاصم في رواية حفص بنصب الخاء، وكسر السين {لَخَسَفَ *** الله *** بِنَا} وقرأ الباقون بالضم على فعل ما لم يسم فاعله {وَيْكَأَنَّهُ} يعني: ولكنه {لاَ يُفْلِحُ الكافرون} أي الجاحدون للنعم.

تفسير الآيات رقم [83- 88]

{تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83) مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (84) إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (85) وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ (86) وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (87) وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (88)}

قوله عز وجل: {تِلْكَ الدار الاخرة} يعني: الجنة {نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِى الارض} يعني: نعطيها للذين لا يريدون تعظيماً وتكبراً، وتجبراً فيها عن الإيمان {وَلاَ فَسَاداً} في الأرض يعني: لا يريدون المعاصي في الدنيا.

وروى وكيع عن سفيان عن مسلم البطين {لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِى الارض}. يعني: التكبر بغير حق، {وَلاَ فَسَاداً} قال: أخذ المال بغير حق. ويقال: العلو الخطرات في القلب، والفساد فعل الأعضاء {والعاقبة لِلْمُتَّقِينَ} يعني: الجنة للذين يتقون الشرك والمعاصي. ويقال: عاقبة الأمر، وما يستقر عليه للمتقين الموحدين. ويقال في العاقبة المحمودة للمتقين. قوله عز وجل: {مَن جَاء بالحسنة} يعني: بكلمة الإخلاص وهي قول لا إله إلا الله {فَلَهُ خَيْرٌ مّنْهَا} وقد ذكرناه {وَمَن جَاء بالسيئة فَلاَ يُجْزَى} يعني: لا يثاب {الذين عَمِلُواْ السيئات إِلاَّ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} يعني: يصيبهم بأعمالهم. قوله عز وجل: {إِنَّ الذى فَرَضَ عَلَيْكَ القرءان} يعني: أنزل عليك القرآن. ويقال: أمرك بالعمل بما في القرآن {لَرَادُّكَ إلى مَعَادٍ}.

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: الموت. وقال السدي: إلى معاد يعني: الجنة. وهكذا روي عن مجاهد.

وروي عن عكرمة عن ابن عباس قال: يعني: إلى مكة. وقال القتبي: معاد الرجل بلده، لأنه يتصرف في البلاد، وينصرف في الأرض ثم يعود إلى بلده. والعرب تقول: ردّ فلان إلى معاده، يعني: إلى بلده، وكان النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة إلى المدينة اغتم لمفارقته مكة، لأنها مولده وموطنه، ومنشأه وبها عشيرته، واستوحش فأخبر الله تعالى في طريقه أنه سيرده إلى مكة، وبشره بالظهور والغلبة. ثم قال تعالى: {قُل رَّبّى أَعْلَمُ مَن جَاء بالهدى} أي يعني: بالرسالة والقرآن، وذلك حين قالوا: إنك في ضلال مبين {وَمَنْ هُوَ فِى ضلال مُّبِينٍ} وذلك حين قالوا: فنزل {قُل رَّبّى أَعْلَمُ مَن جَاء بالهدى} يعني: فأنا الذي جئت بالهدى، وهو يعلم بمن هو في ضلال مبين نحن أو أنتم. ثم قال عز وجل: {وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يلقى إِلَيْكَ الكتاب} يعني: أن يلقى وينزل عليك القرآن {إِلاَّ رَحْمَةً مّن رَّبّكَ} ويقال في الآية تقديم. ومعناه: أن الذي فرض عليك القرآن يعني: جعلك نبياً ينزل عليك القرآن، وما كنت ترجو قبل ذلك أن تكون نبياً بوحي إليك، لرادك إلى معاد إلى مكة ظاهراً قاهراً. ويقال {إِلاَّ رَحْمَةً مّن رَّبّكَ} يعني: لكن دين ربك رحمة، واختارك لنبوته، وأنزل عليك الوحي، ثم قال: {فَلاَ تَكُونَنَّ ظَهِيراً للكافرين} يعني: عوناً للكافرين حين دعوه إلى دين آبائه {وَلاَ يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءايات الله} يعني: لا يصرفنك عن آيات الله القرآن والتوحيد {بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ} أي: بعد ما أنزل إليك جبريل عليه السلام بالقرآن {وادع إلى رَبّكَ} يعني: ادع الخلق إلى توحيد

ربك {وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ المشركين} يعني: لا تكونن مع المشركين على دينهم {وَلاَ تَدْعُ مَعَ الله إلها ءاخَرَ} أي: لا تعبد غير الله.
ثم وحد نفسه فقال: {لاَ إله إِلاَّ هُوَ} يعني: لا خالق ولا رازق غيره {كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ} يعني: تهلك جميع الأشياء إلا الله، فإنه لم يزل ولا يزال، ويقال: كل شيء هالك إلا وجهه، أي كل عمل هالك لا ثواب له إلا ما يراد به وجه الله عز وجل. ويقال: كل شيء متغير إلا ملكه، فإن ملكه لا يتغير، ولا يزال إلى غيره أبداً {لَهُ الحكم} أي: له القضاء، وله نفاذ الأمر والحكم على ما يريد {وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} يعني: إليه المرجع في الآخرة ليجازيكم بأعمالكم، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ القَصَصِ كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ بِعَدَدِ مَنْ صَدَّقَ مُوسَى وَكَذَّبَ، وَلَمْ يَبْقَ مَلَكٌ فِي السموات وَالأَرْضِ، إلاَّ شَهِدَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، أَنَّهُ كَانَ صَادِقاً فِي قَوْلِهِ {كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الحكم وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} وَالحَمْدُ لله وَحْدَهُ، وَصَلَّى الله عَلَى مَنْ لا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَحَسْبُنَا الله، وَنِعْمَ الوَكِيلُ، ولاَ حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ بالله العَلِيِّ العَظِيمِ، صَدَقَ الله جَلَّ رَبُّنا، وَهُوَ أَصْدَقُ الصَّادِقِينَ، وَصَدَقَ رُسُلُهُ قَوْلُهُ صِدْقٌ وَوَعْدُهُ حَقٌّ».

▲ سورة العنكبوت

▲ تفسير الآيات رقم [1- 3]

{الم (1) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (3)}

قوله سبحانه وتعالى: {الم * أَحَسِبَ الناس} يعني: أيظن الناس {أَن يُتْرَكُواْ} يعني: أن يمهلوا {أَحَسِبَ الناس أَن} أي صدقنا {وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ} يعني: لا يبتلون قال في رواية الكلبي لما نزلت هذه الآية {قُلْ هُوَ القادر على أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظر كَيْفَ نُصَرِّفُ الايات لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ} [الأنعام: 65] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا جِبْرِيلُ ما بَقَاءُ أُمَّتِي عَلَى هذا» فقال له جبريل عليه السلام: فادع الله لأمتك، فقام فتوضأ، ثم صلى ركعتين، ثم سأل ربه عز وجل أن لا يبعث عليهم العذاب. قال: فنزل جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد إن الله عز وجل قد أجار أمتك من خصلتين، وألزمهم خصلتين، قال: فعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضأ ثم صلى، فأحسن الصلاة، ثم سأل ربه عز وجل لأمته أن لا يلبسهم شيعاً، ولا يذيق بعضهم بأس بعض، فنزل جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد قد سمع الله عز وجل مقالتك، فإنه يقول ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك، فصدقهم مصدقون، وكذبهم مكذبون، ثم لم يمنعنا أن نبتليهم بعد قبض أنبيائهم ببلاء يعرف فيه الصادق من الكاذب، ثم نزل قوله عز وجل {الم * أَحَسِبَ الناس} الآية.

قال مقاتل في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أول قتيل قتل من المسلمين يوم بدر، وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة، فجزع أبواه وامرأته، وقد كان الله بيّن للمسلمين أنه لا بد لهم من البلاء والمشقة في ذات الله عز وجل فنزل {الم * أَحَسِبَ الناس أَن يُتْرَكُواْ}.

وقال بعضهم: لما أصيب المسلمون يوم أحد، وكانت الكرة عليهم، فعيرهم اليهود والنصارى والمشركون، فشقّ ذلك على المسلمين، فنزلت هذه الآية. ويقال: نزلت في عباس بن أبي ربيعة، وفي نفر معه أخذهم المشركون وعذبوهم على الإسلام، فنزلت هذه الآية. ويقال: نزلت في جمع المسلمين. ومعناه: أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا، ثم لا يفرض عليهم الفرائض. وقال الزجاج: هذا اللفظ لفظ الاستخبار، والمعنى تقرير وتوبيخ، معنى أحسب الناس أن يقنع منهم؛ بأن يقولوا: آمنا فقط، ولا يختبروا ويقال: أن لا يعذبوا في الدنيا. ثم قال عز وجل: {وَلَقَدْ فَتَنَّا الذين مِن قَبْلِهِمْ} يعني: اختبرنا الذين كانوا من قبل هذه الأمة وابتليناهم ببلايا {فَلَيَعْلَمَنَّ الله الذين صَدَقُواْ} يعني: إنما يبتليهم ليبين الذين صدقوا من المؤمنين في إيمانهم {وَلَيَعْلَمَنَّ الكاذبين} منهم فشكوا عند البلاء. ويقال: معناه ليبين صدق الصادق، وكذب الكاذب بوقوع صدقه، ووقوع كذبه. وقال القتبي: يعني: ليميزن الله الذين صدقوا، ويميز الكاذبين.

▲ تفسير الآيات رقم [4- 8]

{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (4) مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآَتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (5) وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (6) وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (7) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (8)}
ثم قال: {أَمْ حَسِبَ الذين يَعْمَلُونَ السيئات} يعني: الشرك والمعاصي {أَن يَسْبِقُونَا} يعني: أن يفوتونا. ويقال: يعجزونا. ويقال: يهربوا منا فلا نجازيهم {سَاء مَا يَحْكُمُونَ} يعني: بئس ما يقضوا لأنفسهم. قال الكلبي: نزلت في عتبة وشيبة والوليد بن عتبة بارزوا يوم بدر، فبارزهم من المسلمين علي وحمزة وعبيدة بن الحارث، فنزل في شأن مبارزي المسلمين {مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء الله فَإِنَّ أَجَلَ الله لآتٍ} يعني: الآخرة لكائن {وَهُوَ السميع العليم} السميع لمقالتهم العليم بهم، وبأعمالهم. وقوله عز وجل: {وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يجاهد لِنَفْسِهِ} يعني: علي بن أبي طالب وصاحباه رضي الله عنهم {إِنَّ الله لَغَنِيٌّ عَنِ

العالمين} يعني: عن نصرة العالمين يوم بدر. ويقال: نزلت في جميع المسلمين من كان يرجو لقاء الله، أي: يخاف الآخرة ويقال: يخاف الموت، فيستعد للآخرة والموت بالعمل الصالح {فَإِنَّ أَجَلَ الله لآتٍ} ويعني: كائن {وَهُوَ السميع} لدعائهم، {العليم} بأمر الخلق، ومن جاهد يعني: عمل الخيرات، فإنما يجاهد لنفسه يعني: ثوابه لنفسه إن الله لغني عن العالمين. يعني: عن أعمالهم، فإنما ثوابهم لأنفسهم. ثم قال عز وجل: {والذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات لَنُكَفّرَنَّ عَنْهُمْ} أي: لنمحون عنهم {سَيّئَاتِهِمْ} يعني: ذنوبهم ويقال: {***لنجزينهم}. يعني: ثواباً أفضل من أعمالهم، لكل حسنة عشرة وأكثر. ويقال: {***لنجزينهم}. يعني: لنثيبنهم أحسن الذي كانوا يعملون، أي أفضل من أعمالهم، يعني: يجازيهم بأحسن أعمالهم الذي كانوا يعملون في الدنيا، فذلك قوله عز وجل: {وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الذى كَانُواْ يَعْمَلُونَ * وَوَصَّيْنَا الإنسان بِوَالِدَيْهِ حُسْناً} يعني: ووصينا الإنسان أن يفعل بوالديه ما يحسن، يعني: براً بهما.

وقال الكلبي: نزلت الآية في سعد بن أبي وقاص لما أسلم قالت له أمه: يا سعد بلغني أنك صبوت إلى دين محمد، فوالله لا يظلني سقف بيت، وإن الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد، وترجع إلى دينك الذي كنت عليه فأبى عليها ذلك، فثبتت على حالها لا تطعم ولا تشرب، ولا تسكن بيتاً، فلما خلص إليها الجوع لم تجد بداً من أن تأكل وتشرب، فحثّ الله سعد بالبر إلى أمه، ونهاه أن يطيعها على الشرك فقال: {وَإِن جاهداك لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} أي: ما ليس لك به حجة يعني: الشرك {فَلاَ تُطِعْهُمَا} في الشرك، ثم حذّره ليثبت على الإسلام فقال: {إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ} يعني: مصيركم في الآخرة {فَأُنَبِئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} يعني: أخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا من خير أو شر، وأثيبكم على ذلك.

▲ تفسير الآيات رقم [9- 15]

{وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ (9) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ (10) وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ (11) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آَمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ

لَكَاذِبُونَ (12) وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (13) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (14) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (15)}

ثم قال عز وجل: {والذين ءامَنُواْ} يعني: أقروا وصدقوا بوحدانية الله تعالى وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم {وَعَمِلُواْ الصالحات} يعني: الطاعات فيما بينهم وبين ربهم {لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى الصالحين} أي: مع الأنبياء والرسل عليهم السلام في الجنة. ويقال: لندخلنهم في جملة الصالحين، ونحشرهم مع الصالحين قوله عز وجل: {وَمِنَ الناس مَن يَقُولُ ءامَنَّا بالله} نزلت في عياش بن أبي ربيعة هاجر إلى المدينة قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إليها، فجزعت أمه من ذلك جزعاً شديداً. فقالت لأخويه: أبي جهل بن هشام والحارث بن هشام، وهما أخواه لأمه، وأبناء عمه، فخرجوا في طلبه، فظفروا به. وقالوا له: إن برّ الوالدة واجب، فعليك أن ترجع فتبرها، فإنها حلفت أن لا تأكل ولا تشرب، وأنت أحب الأولاد إليها، فلم يزالوا به حتى تتابعهم، فجاؤوا به إلى أمه، فعمدت أمه فقيدته، وقالت: والله لا أحلك من وثاقك حتى تكفر بمحمد، وضربوه حتى رجع إلى دينهم فنزل {وَمِنَ الناس مَن يَقُولُ ءامَنَّا بالله} {فَإِذَا أُوذِىَ فِى الله} يعني: عذب في دين الله عز وجل: {جَعَلَ فِتْنَةَ الناس} يعني: عذاب إخوته في الدنيا {كَعَذَابِ الله} في الآخرة ويقال نزلت في قوم من المسلمين أخذوهم إلى مكة، وعذبوهم حتى ارتدوا فنزل {مِنَ الناس *** مَن يِقُولُ ءامَنَّا بالله فَإِذَا أُوذِىَ فِى الله جَعَلَ فِتْنَةَ الناس كَعَذَابِ الله} يعني: جزع من ذلك كما يجزع من عذاب الله فينبغي للمسلم أن يصبر على إيذائه في الله، وصارت الآية لجميع المسلمين ليصبروا على ما أصابهم في الله عز وجل.

ثم قال: {وَلَئِنْ جَاء نَصْرٌ مّن رَّبّكَ} يعني: لو يجيء نصر من الله عز وجل بظهور الإسلام والغلبة على العدو بمكة وغيرها {لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ} أي: على دينكم {أَوَلَيْسَ *** الله بِأَعْلَمَ} يعني: أوليس الله عليم {بِمَا فِى صُدُورِ العالمين} من التصديق والتكذيب أعلم بمعنى عليم يعني: هو عليم بما في قلوب الخلق ويقال: معناه هو أعلم بما في صدورهم منهم. أي: بما في صدور أنفسهم {وَلَيَعْلَمَنَّ الله الذين ءامَنُواْ} يعني: ليميزن الله الذين ثبتوا على دين الإسلام {وَلَيَعْلَمَنَّ المنافقين} يعني: ليميزن المنافقين الذين لم يكن إيمانهم

حقيقة قوله عز وجل: {وَقَالَ الذين كَفَرُواْ} أي: جحدوا وأنكروا {لِلَّذِينَ ءامَنُواْ} وذلك: أن أبا سفيان بن حرب، وأمية بن خلف، وعتبة بن شيبة، قالوا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: أو خباب بن الأرت، وأناس آخرين من المسلمين: {اتبعوا سَبِيلَنَا} يعني: ديننا الذي نحن عليه، واكفروا بمحمد ودينه {وَلْنَحْمِلْ خطاياكم} يعني: نحن الكفلاء لكم بكل تبعة من الله عز وجل تصيبكم، وأهل مكة شهداء علينا يقول الله عز وجل: {وَمَا هُمْ بحاملين مِنْ خطاياهم مّن شَئ} يعني: لا يقدرون أن يحملوا خطاياهم.

يعني: وبال خطاياهم عنهم، ولا يدفعون عنهم، لأنهم لو استطاعوا أن يدفعوا لدفعوا عن أنفسهم {وَإِنَّهُمْ لكاذبون} في مقالتهم ثم قال عز وجل: {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ} يعني: يحملون من أوزار الذين يضلونهم من غير أن ينقص من أوزار العاملين شيء، وهذا كقوله عز وجل: {لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ القيامة وَمِنْ أَوْزَارِ الذين يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَآءَ مَا يَزِرُونَ} [النحل: 25] وهذا كما روي في الخبر من سن سنة سيئة، كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْئَلُنَّ} يعني: عما يقولون من الكذب.

قوله: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إلى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً} يدعوهم إلى الإسلام، ويحذرهم وينذرهم، فأبوا أن يجيبوه فكذبوه {فَأَخَذَهُمُ الطوفان} يعني: الغرق {وَهُمْ ظالمون} وقال القتبي: الطوفان المطر الشديد، وكذلك الموت إذا كثر. وقال مقاتل: الطوفان ما طغى فوق كل شيء. وقال بعض أهل اللغة: هذا الاشتقاق غير صحيح، لأنه لو كان هذا. لقال: طغوان لأنه يقال: طغى يطغو. وقال بعضهم: هذا على وجه القلب، كما يقال: جذب وجبذ. ويقال: أصله من الطوف، أي: سار وطاف في الأرض. وقال الزجاج: الطوفان من كل شيء ما كان كثيراً كالقتل الذريع الكثير، يسمى طوفان. ثم قال عز وجل: {فأنجيناه} يعني: نوحاً عليه السلام {وأصحاب السفينة} من الغرق {وجعلناها ءايَةً للعالمين} يعني: جعلنا السفينة عبرة لمن بعدهم، وقد بقيت السفينة على الجودي إلى وقت قريب من وقت خروج النبي صلى الله عليه وسلم، فكان ذلك علامة وعبرة لمن رآها، ومن لم يرها، لأن الخبر قد بلغه. ويقال: رسم السفينة التي بقيت بين الخلق وقت نوح، وتجري في البحر علامة للعالمين.

▲ تفسير الآيات رقم [16- 22]

{وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (16) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (17) وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (18) أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (19) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20) يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (21) وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (22)}

قوله عز وجل: {وإبراهيم} يعني: أرسلنا إبراهيم عطفاً على قوله: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا} ويقال: معناه واذكر إبراهيم {إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعبدوا الله واتقوه} يعني: وحدوا الله عز وجل، {واتقوه} يعني: اخشوه ولا تعصوه {ذلكم خَيْرٌ لَّكُمْ} يعني: التوحيد وعبادة الله عز وجل خير من عبادة الأوثان {إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}. قوله عز وجل: {إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله أوثانا} يعني: أصناماً {وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً} يعني: تعملونها بأيديكم، ثم يقولون إنها آلهة ويقال تتخذونها آلهة كذباً ثم قال: {إِنَّ الذين تَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله} وهي الأصنام {لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً} يعني: لا يقدرون أن يعطوكم مالاً، ولا يقدرون أن يرزقوكم {فابتغوا عِندَ الله الرزق} يعني: الله عز وجل، هو الذي يملك رزقكم، فاطلبوا الرزق من الله عز وجل: {واعبدوه واشكروا لَهُ} أي: وحدّوه واشكروا له في النعم، فإن مصيركم إليه {إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} بعد الممات. قال الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم: قل لأهل مكة {وَإِن تُكَذِّبُواْ} بما أخبرتكم من قصة نوح وإبراهيم عليهما السلام {فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مّن قَبْلِكُمْ} يعني: كذبوا رسلهم {وَمَا عَلَى الرسول إِلاَّ البلاغ المبين} يعني: إلا أن يبلغ الرسالة، ويبين أمر العذاب. ويقال: إلا أن يبلغ الرسالة، ويبين مراد الرسالة.

ثم قال الله عز وجل: {أَوَ لَمْ *** يَرَوْاْ} قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر {أَوَ لَمْ *** تَرَوْاْ} بالتاء على معنى المخاطبة. يعني: قل لهم يا محمد أو لم تروا. وقرأ الباقون بالياء. ومعناه: يا محمد أو لم يروا هؤلاء الكفار {كَيْفَ يُبْدِئ الله الخلق ثُمَّ يُعِيدُهُ} يعني: يخلقهم في الابتداء، ولم يكونوا نسياً، ثم يعيدهم كما خلقهم {إِنَّ ذلك عَلَى الله يَسِيرٌ} يعني: إن الذي خلق

الخلق، يقدر أن يعيدهم، وهو عليه هين قوله عز وجل: {قُلْ سِيرُواْ فِى الارض} يعني: سافروا في الأرض. يعني: فتعتبروا في أمر البعث. ويقال: سيروا في الأرض. يعني: اقرؤوا القرآن {فانظروا} أي فاعتبروا {كَيْفَ بَدَأَ الخلق} يعني: كيف خلق الخلق {ثُمَّ الله يُنشِئُ النشأة الاخرة} يعني: يحييهم بعد الموت للمبعث {إِنَّ الله على كُلِّ شَئ قَدِيرٌ} من أمر البعث وغيره. ثم قال عز وجل: {يُعَذِّبُ مَن يَشَاء} يعني: يخذل من يشاء ولا يهدي من لم يكن أهلاً لذلك. {وَيَرْحَمُ مَن يَشَاء} أي يهديه إن كان أهلاً كذلك {وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ} يعني: ترجعون إليه في الآخرة قوله عز وجل: {وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِى الارض} يعني: لا تهربون منه ولا تفوتونه {وَلاَ فِى السماء} يعني: إن كنتم في الأرض، ولا في السماء لا يَقدرون أن يهربوا منه {وَمَا لَكُم مّن دُونِ الله} يعني: من عذاب الله {مِن وَلِىّ} يعني: من قريب ينفعكم {وَلاَ نَصِيرٍ} يعني: ولا مانع يمنعكم من عذاب الله عز وجل.

تفسير الآيات رقم [23- 25]

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (23) فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (24) وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (25)}
ثم قال عز وجل: {والذين كَفَرُواْ بئايات *** والله} بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن {وَلِقَائِهِ} يعني: كفروا بالبعث بعد الموت {أُوْلَئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى} يعني: من جنتي {وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} في الآخرة، ثم رجع إلى قصة إبراهيم. حيث قال لقومه: {اعبدوا الله واتقوه} قوله عز وجل: {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ اقتلوه أَوْ حَرّقُوهُ فَأَنْجَاهُ الله مِنَ النار} وفي الآية مضمر ومعناه: فقذفوه في النار، فأنجاه الله من النار فلم تحرقه، وجعلها برداً وسلاماً {إِنَّ فِى ذَلِكَ} أي فيما أنجاه الله من النار بعدما قذفوه فيها {لآيَاتٍ} يعني: لعبرات {لّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} يعني: يصدقون بتوحيد الله تعالى فقال لهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام: {وَقَالَ إِنَّمَا اتخذتم مّن دُونِ الله أوثانا} يعني: إنما عبدتم من دون الله أوثاناً يعني: أصناماً {مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ} على عبادة

أصنامكم. قرأ نافع وابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر، {مَّوَدَّةَ} بنصب الهاء مع التنوين {بَيْنِكُمْ} بنصب النون. يعني: اتخذتم أوثاناً آلهة مودة بينكم على عبادتها صار نصباً لوقوع الفعل عليه. وقرأ حمزة وعاصم في رواية حفص مودة بنصب الهاء بغير التنوين بينكم بكسر النون على معنى الإضافة، وقرأ الباقون مودة بالضم بينكم بالكسر.

وروي عن الفرّاء أنه قال: إنما صار المودة رفعاً بالصفة بقوله عز وجل: {وَقَالَ إِنَّمَا اتخذتم} وينقطع الكلام عند قوله: {إِنَّمَا اتخذتم مّن دُونِ الله أوثانا} ثم يبين ضرر مودتهم في الحياة الدنيا فقال تعالى: {ثُمَّ يَوْمَ القيامة يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ} يعني: ليس مودتكم تلك الأصنام بشيء، لأن مودة ما بينكم في الحياة الدنيا تنقطع، ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض، يعني: الأصنام من العابد، والشياطين ممن عبدها. ويقال يعني: الأتباع والقادة تتبرأ القادة من الأتباع {وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً} يعني: الأتباع يلعنون القادة، والعابد يلعن المعبود {وَمَأْوَاكُمُ النار} يعني: مصيركم إلى النار {وَمَا لَكُمْ مّن ناصرين} يعني: مانعين من عذاب الله عز وجل.

▲ تفسير الآيات رقم [26- 30]

{فَآَمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (26) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (27) وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (28) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (29) قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (30)}

قوله عز وجل: {فَئَامَنَ لَهُ لُوطٌ} يعني: صدق لوط إبراهيم عليهما السلام على الهجرة. ويقال: صدقه بالنبوة حين لم تحرقه النار {وَقَالَ} إبراهيم {إِنّى مُهَاجِرٌ إلى رَبّى} يعني: إلى رضاء ربي وطاعة ربي. ويقال: إلى أرض مصر في أرض ربي، فهجر قومه الكافرون وخرج إلى الأرض المقدسة، ومعه سارة ثم قال: {إِنَّهُ هُوَ العزيز} في ملكه {الحكيم} في أمره. ويقال: حكيم حكم أن من لم يقدر في بلدة على طاعة الله عز وجل فليخرج إلى بلدة أخرى. قوله عز وجل: {وَوَهَبْنَا لَهُ إسحاق وَيَعْقُوبَ} يعني: المهاجر إلى

طاعة الله عز وجل أكرمه الله في الدنيا وأعطاه ذرية طيبة، وهو ولده إسحاق، وولد ولده يعقوب عليهم السلام ووهب له أربعة أولاد: إسحاق من سارة، وإسماعيل من هاجر، ومدين ومداين من غيرهما {وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ النبوة} يعني: من ذرية إبراهيم النبوة والكتاب يعني أكرم الله عز وجل ذريته بالنبوة، وأعطاهم الصحف. ويقال: أخرج من ذريته ألف نبي {والكتاب} يعني: الزبور والتوراة والإنجيل والفرقان {وَوَهَبْنَا لَهُ إسحاق وَيَعْقُوبَ} يعني: أعطيناه في الدنيا الثناء الحسن {وَإِنَّهُ فِى الاخرة لَمِنَ الصالحين} يعني: مع النبيين في الجنة.

قوله عز وجل: {وَلُوطاً} يعني: وأرسلنا لوطاً {إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الفاحشة} قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص، {إِنَّكُمْ} على معنى الخبر. وقرأ أبو عمرو {أَئِنَّكُمْ} بالمد على معنى الاستفهام، {لَتَأْتُونَ الفاحشة} يعني: المعصية {مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مّن العالمين *** أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرجال} واتفقوا في هذا الحرف على لفظ الاستفهام، واختلفوا في الأول، فقرأ الذين سميناهم على وجه الإخبار عنهم إنكم تفعلون، وتكون على وجه التعيير. وقرأ الباقون الأول على وجه الاستفهام، فيكون اللفظ لفظ الاستفهام، والمعنى منه التوبيخ والتقريع ثم قال: {وَتَقْطَعُونَ السبيل} يعني: تعترضون الطريق لمن مرّ بكم بعملكم الخبيث. ويقال: {وَتَقْطَعُونَ السبيل}. يعني: تأخذون أموالكم، كانوا يفعلون ذلك، لكيلا يدخلوا في بلدهم، ويتناولوا من ثمارهم، ويقال: تقطعون السبيل النسل {وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ المنكر} يعني: تعملون في مجالسكم المنكر. وقال بعضهم: يعني به اللواطة كانوا يفعلون ذلك في المجالس بالعلانية. ويقال: أراد به المعاصي، وهي الرمي بالبندق الصغير والحذف، ومضغ العلك، وحل إزار القباء، واللعب بالحمام، وشرب الخمر، وضرب العود والمزامير، وغير ذلك من المعاصي. وروت أم هانئ عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: {وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ المنكر} قال: «كَانُوا يَحْذِفُونَ أَهْلَ الطَّرِيقِ وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ» {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ ائتنا بِعَذَابِ الله إِن كُنتَ مِنَ الصادقين} بالعذاب، وإن العذاب نازل بنا {قَالَ رَبِّ انصرنى} أي أعني {عَلَى القوم المفسدين} يعني: المشركين.

تفسير الآيات رقم [31- 37]

{وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (31) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (32) وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (33) إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (34) وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (35) وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (36) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (37)}

قوله عز وجل: {وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا إبراهيم بالبشرى} يعني: بالبشارة بالولد {قَالُواْ إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هذه القرية} يعني: قريات لوط {إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظالمين} يعني: كافرين {قَالَ} إبراهيم {إِنَّ فِيهَا لُوطاً} يعني: أتهلكهم وفيهم لوط {قَالُواْ} يعني: قال جبريل عليه السلام: {نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امرأته كَانَتْ مِنَ الغابرين} يعني: من الباقين في الهلاك {وَلَمَّا أَن جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِئ بِهِمْ} يعني: ساء مجيئهم {وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا} يعني: اغتم بقدومكم، فلا يدري أيأمرهم بالخروج أم بالنزول. ويقال: ضاق بهم القلب {وَقَالُواْ لاَ تَخَفْ} علينا {وَلاَ تَحْزَنْ} من العذاب {إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ} قرأ حمزة والكسائي {لَنُنَجّيَنَّهُ}، و{إِنَّا مُنَجُّوكَ} كلاهما بالتخفيف. وقرأ أبو عمرو ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم كلاهما بالتشديد. وقرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم الأول بالتشديد، والثاني بالتخفيف، ومعناهما واحد. ويقال: أنجيته ونجيته بمعنى واحد {إِلاَّ امرأتك كَانَتْ مِنَ الغابرين}.

ثم قال عز وجل: {إِنَّا مُنزِلُونَ على أَهْلِ هذه القرية} قرأ ابن عامر وعاصم في إحدى الروايتين {مُنزِلُونَ} بالتشديد. وقرأ الباقون بالتخفيف ومعناهما واحد {رِجْزًا مّنَ السماء} يعني: أنزلنا عذابنا من السماء {بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ} يعني: يعصون الله عز وجل. قوله عز وجل: {وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا} يعني: من قرية لوط {بَيّنَةً لّقَوْمٍ} يعني: علامة ظاهرة واضحة يعني: هلاكهم علامة ظاهرة ويقال: قرياتهم علامة ظاهرة {لّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} يعني: لمن كان له ذهن الإنسانية {وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا ءايَةً}. يعني: الحجارة التي أنزلها الله تعالى من السماء على كل واحد منها اسم صاحبها {وإلى مَدْيَنَ} يعني: وأرسلنا إلى مدين {أخاهم شُعَيْباً} يعني: نبيهم شعيباً {فَقَالَ ياقوم *** قَوْمٌ *** اعبدوا

الله} يعني: وحدوا الله وأطيعوه {وارجوا اليوم الاخر} يعني: خافوا يوم القيامة، لأنه آخر الأيام. ويقال: يوم الموت، وهو آخر أيامهم {وَلاَ تَعْثَوْاْ فِى الارض مُفْسِدِينَ} يعني: لا تعملوا في الأرض بالمعاصي في نقصان الكيل والوزن {فَكَذَّبُوهُ} يعني: أوعدهم بالعذاب على نقصان الكيل والوزن. فكذبوه {فَأَخَذَتْهُمُ الرجفة} يعني: العذاب. ويقال: الزلزلة، وأصله الحركة {فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ} يعني: صاروا في دارهم يعني: في محلتهم {جاثمين} يعني: ميتين، أو يقال: خامدين فصاروا كالرماد. ويقال: جثم بعضهم على بعض بالموت. وقال أبو سهل: جاثمين، أي ساقطين على وجوههم وركبهم. وقال مقاتل: شبه أرواحهم في أجسادهم، وهم أحياء بالنار إذا اتقدت، ثم طفئت، فبينما هم أحياء إذ صاح بهم جبريل، فصعقوا أمواتاً أجمعين.

تفسير الآيات رقم [38- 40]

{وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (38) وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (39) فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (40)}

ثم قال عز وجل: {وَعَاداً وَثَمُودَ} وقال بعضهم: انصرف إلى قوله: {وَلَقَدْ فَتَنَّا الذين مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ الله الذين صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ الكاذبين} [العنكبوت: 3] وقال بعضهم: انصرف إلى قوله: {فَأَخَذَتْهُمُ الرجفة فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جاثمين} [الأعراف: 78] يعني: أخذهم العذاب وأخذ عاداً وثموداً. ويقال: معناه اذكر عاداً وثموداً، أو يقال: صار نصباً لنزع الخافض ومعناه: وأرسلنا الرسل إلى عاد وثمود. {وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مساكنهم} يعني: ظهر لكم يا أهل مكة من منازلهم آية في إهلاكهم. {وَزَيَّنَ لَهُمُ الشيطان أعمالهم} يعني: ضلالتهم {فَصَدَّهُمْ عَنِ السبيل} يعني: صرفهم عن الدين، ويقال: منعهم عن

التوحيد. ويقال: صدّ يصدّ صدّاً إذا منعه وصدّ يصدّ صدوداً إذا امتنع بنفسه وأعرض.
قوله {وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ} في دينهم وهم يرون أنهم على الحق، وهم على الباطل. ويقال: كانوا مستبصرين، أي: ذوي بصيرة، ومع ذلك جحدوا.
ثم قال عز وجل {وقارون وَفِرْعَوْنَ وهامان} يعني: أهلكنا قارون وفرعون وهامان {وَلَقَدْ جَاءهُمْ موسى بالبينات} يعني: بالعلامات والآيات {فاستكبروا فِى الارض} يعني: طغوا فيها، وتعظموا عن الإيمان {وَمَا كَانُواْ سابقين} يعني: بفائتين من عذابنا.
قوله عز وجل: {فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ} يعني: كلهم أهلكناهم بذنوبهم. ويقال: معناه أهلكنا كلّ واحد منهم بذنبه لا بذنب غيره. {فَمِنْهُم مَّن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً} يعني: الحجارة، وهم قوم لوط. {وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الارض} يعني: قارون {وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا} وهم فرعون وقومه. وقال العتبي الأخذ أصله باليد، ثم يستعار في مواضع، فيكون بمعنى القبول، كقوله عز وجل {وَإِذْ أَخَذَ الله ميثاق النبيين لَمَآ ءاتَيْتُكُم مِّن كتاب وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ ءأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ على ذلكم إِصْرِى قالوا أَقْرَرْنَا قَالَ فاشهدوا وَأَنَاْ مَعَكُمْ مِّنَ الشاهدين} [آل عمران: 81] أي قبلتم عهدي، والأخذ التعذيب، كقوله {وكذلك أَخْذُ رَبّكَ} وكقوله {فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ} يعني: عذبنا، وكقوله {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ والاحزاب مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وجادلوا بالباطل لِيُدْحِضُواْ بِهِ الحق فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ} [غافر: 5] يعني: ليعذبوه {وَمَا كَانَ الله لِيَظْلِمَهُمْ} يعني: لم يعذبهم من غير جرم منهم. {ولكن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} بجرمهم يستوجبون العقوبة.

▲ تفسير الآيات رقم [41- 44]

{مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (41) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (42) وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (43) خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (44)}

قوله عز وجل: {مَثَلُ الذين اتخذوا مِن دُونِ الله أَوْلِيَاء} يعني: مثل عبادتهم الأصنام في الضعف، وقلة نفعهم إياهم. {كَمَثَلِ العنكبوت اتخذت بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ البيوت} يعني: أضعف البيوت {لَبَيْتُ العنكبوت} لأنه لا يغني من حر ولا من برد ولا من مطر وكذلك آلهتهم لا يدفعون عنهم ضرّاً، ولا يقدرون لهم نفعاً.

ثم قال: {لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ} يعني: لو كانوا يعلمون أن اتخاذهم الأصنام كذلك، لأنهم قد علموا أن بيت العنكبوت أوهن البيوت، ولكن قوله {لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ} انصرف إلى قوله: {اتخذوا}، يعني: لا يعلمون أن هذا مثله.

ثم قال عز وجل: {إِنَّ الله يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَئ} وهذه كلمة تهديد، يعني: يعلم بعقوبتهم. ويقال: إن الله يعلم أن الآلهة لا شفاعة لهم ولا قدرة. {وَهُوَ العزيز} بالنعمة لمن عصاه {الحكيم} حكم بالعقوبة على من عبد غيره، ويقال: حكم أن لا يعبد غيره. {وَتِلْكَ الامثال نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ} يعني: أمثال آلهتهم نبينها للناس. {وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ العالمون} يعني: لا يفهمها ويعلمها إلا الموحدون، ويقال: يعني: العاقلين.

قرأ أبو عمرو وعاصم {إِنَّ الله يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ} بالياء على لفظ المغايبة. وقرأ الباقون بالتاء على لفظ المخاطبة، يعني: قل لهم يا محمد إن الله يعلم ما تدعون من دونه.

ثم قال عز وجل: {خَلَقَ الله السموات والارض بالحق} يعني: بالعدل، ويقال: لبيان الحق، ولم يخلقها باطلاً. {إِنَّ فِى ذَلِكَ} أي: خلق السموات والأرض {لآيَةً} يعني: لعبرات {لِلْمُؤْمِنِينَ} يعني: المصدقين وإنما أضاف إلى المؤمنين لأنهم هم الذين ينتفعون بها.

▲ تفسير الآيات رقم [45- 50]

{اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (45) وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آَمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (46) وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآَيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ (47) وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ

الْمُبْطِلُونَ (48) بَلْ هُوَ آَيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآَيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (49) وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آَيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآَيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (50)}

قوله عز وجل: {اتل مَا أُوْحِىَ إِلَيْكَ} يعني: اقرأ عليهم ما أنزل إليك {مّنَ الكتاب} يعني: من القرآن. ويقال: هو أمر بتلاوة القرآن، يعني: اقرؤوا القرآن، واعملوا بما فيه. {اتل مَا} يعني: وأتمَّ الصلاة {اتل مَا أُوْحِىَ إِلَيْكَ مِنَ الكتاب} يعني: ما دام العبد يصلي لله عز وجل انتهى عن الفحشاء والمنكر والمعاصي. ويقال: {اتل مَا} يعني: وأدِّ الصلاة الفريضة في مواقيتها بركوعها وسجودها والتضرع بعدها {اتل مَا أُوْحِىَ إِلَيْكَ مِنَ} يعني: إذا صلى العبد لله صلاة خاشع يمنعه من المعاصي، لأنه يرق قلبه، فلا يميل إلى المعاصي.

وروى أبو أمامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلاَتُهُ عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ لَمْ تَزِدْهُ صَلاتُهُ عِنْدَ الله إلاَّ مَقْتاً» وروي عن الحسن البصري رحمه الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلاَتَهُ عَن فَحْشَاءَ وَلاَ مُنْكَرٍ لَمْ يَزْدَدْ بِهَا مِنَ الله إلاَّ بُعْداً» وقال الحسن: إذا لم تنته بصلاتك عن الفحشاء فلست بمُصَلٍ. ثم قال {وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ} يعني: أفضل من سائر العبادات. وروي عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: قراءة القرآن في غير الصلاة أفضل من صلاة لا يكون فيها كثير القراءة، ثم قرأ هذه الآية {اتل مَا أُوْحِىَ إِلَيْكَ مِنَ الكتاب وَأَقِمِ الصلاة إِنَّ الصلاة تنهى} قال مقاتل: ولذكر الله إياك أفضل من ذكرك إياه بالصلاة، وقال الكلبي: يقول: ذكره إياكم بالخير أكبر من ذكركم إياه، والله يذكر من ذكره بالخير.

قال أبو الليث رحمه الله: حدثنا الخليل بن أحمد، قال: حدثنا الماسرجسي قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا جرير، عن عطاء بن السائب، عن عبد الله بن ربيعة، قال سألني ابن عباس عن قوله: {وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ} فقلت: هو التسبيح والتهليل والتقديس، فقال: لقد قلت شيئاً عجيباً، وإنما هو ذكر الله العباد أكثر من ذكر العباد إياه. وقال قتادة: {وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ} أي: ليس شيء أفضل من ذكر الله. وسئل سلمان الفارسي أي العمل أفضل؟ قال: ذكر الله. ويقال: ذكر الله أفضل من الاشتغال بغيره. ويقال: ذكر الله حين كتبكم في اللوح المحفوظ من المسلمين أفضل. ويقال: ذكر الله عز وجل لك بالمغفرة أفضل من ذكرك إياه.

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ ذَكَرَ الله فِي نَفْسِهِ ذَكَرَهُ الله في نَفْسِهِ وَمَنْ ذَكَرَهُ في مَلإٍ ذَكَرَهُ الله عَزَّ وَجَلَّ في مَلإٍ أَكْبَرَ مِنَ المَلإِ الَّذِي ذَكَرَهُ فِيهِمْ وَأَطْيَبَ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنَ الله شِبْراً تَقَرَّبَ الله مِنْهُ ذِرَاعاً يعني: بإجابته وتوفيقه ورحمته وَمَنْ تَقَرَّبَ إلى الله تَعَالَى ذِرَاعاً تَقَرَّبَ الله مِنْهُ باعاً، وَمَنْ أَتَى الله مَاشِياً أتاهُ هَرْوَلَةً»
يعني: بإجابته وتوفيقه.
ثم قال تعالى: {والله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} من الخير والشر فيجازيكم به.
قوله عز وجل: {وَلاَ تجادلوا أَهْلَ الكتاب} قال مقاتل: {وَلاَ تجادلوا أَهْلَ الكتاب} البتة، يعني: مؤمنيهم، ثم استثنى كفارهم، فقال: {إِلاَّ بالتى هِىَ أَحْسَنُ إِلاَّ الذين ظَلَمُواْ مِنْهُمْ} {إِلاَّ بالتى هِىَ أَحْسَنُ} فيها تقديم ثم نسخته آية قتال أهل الكتاب. وقال الكلبي: {وَلاَ تجادلوا أَهْلَ الكتاب} إن الله عز وجل أمر المسلمين إذ كانوا بمكة قبل أن يأمرهم بالقتال، فقال: {وَلاَ تجادلوا} من أتاكم من أهل الكتاب {إِلاَّ بالتى هِىَ أَحْسَنُ} بالقرآن تعظونهم به، وتدعونهم إلى الإسلام، وهي التي أحسن {إِلاَّ الذين ظَلَمُواْ مِنْهُمْ} في الملاعنة، وهم أهل نجران. ويقال: {لا *** تجادلوا أَهْلَ الكتاب} يعني: لا تخاصموهم {إِلاَّ بالتى هِىَ أَحْسَنُ} يعني: إلا بالكلمة التي هي أحسن، وهي كلمة التوحيد {إِلاَّ الذين ظَلَمُواْ مِنْهُمْ} يعني: ولا الذين ظلموا منهم. ويقال: إلا الذين ظلموا منهم، فلا بأس بأن تجادلوهم بما هو أشد، ثم بيّن الكلمة التي هي أحسن، فقال: {وَقُولُواْ ءامَنَّا بالذى أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ} يعني: القرآن والتوراة. {وإلهنا وإلهكم وَاحِدٌ} يعني: ربنا وربكم واحد. {وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} يعني: مخلصون بالتوحيد.
ثم قال عز وجل: {وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكتاب} يعني: القرآن، كما أنزلنا إلى موسى وعيسى عليهما السلام {فالذين ءاتيناهم الكتاب} وهم مؤمنو أهل الكتاب {يُؤْمِنُونَ بِهِ} يعني: يصدقون بالقرآن {وَمِنْ هَؤُلاء مَن يُؤْمِنُ بِهِ} يعني: قريشاً {وَمَا يَجْحَدُ بئاياتنا} يعني: بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن {إِلاَّ الكافرون} من اليهود ومشركي العرب.
ثم قال عز وجل: {وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كتاب} يعني: من قبل القرآن {وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ} أي: لم تكن تكتب شيئاً بيدك. {إِذاً لارتاب المبطلون} يعني: فلو كنت قرأت الكتب أو كنت تكتب بيدك لشكَّ أهل مكة في أمرك، ويقولون إنه قرأ الكتب، وأخذ منها، ويقال: معناه لارتاب المبطلون

يعني: لشك أهل الكتاب في أمرك لأنهم وجدوا في كتبهم نعته وصفته أنه أمي لا يقرأ الكتب، كيلا يشكوا في صفته. {بَلْ هُوَ ءايات بينات فِى صُدُورِ الذين أُوتُواْ العلم} يعني: بل هو يقين أنه نبي عند أهل العلم، ويقال: يعني: القرآن آيات بينات، يعني: واضحات، ويقال: بل إنه لا يقرأ ولا يكتب آيات بينات، لأنه أخبر عن أقاصيص الأولين في صدور الذين أوتوا العلم، يعني: مؤمني أهل الكتاب {وَمَا يَجْحَدُ بئاياتنا إِلاَّ الظالمون} يعني: الكافرون.
قوله عز وجل: {وَقَالُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءايات مّن رَّبّهِ} أي علامة من ربه {قُلْ إِنَّمَا الايات} يعني: العلامات {عَندَ الله} يعني: من عند الله عز وجل وليس بيدي شيء. {وَإِنَّمَا أَنَاْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} يعني: مخوفاً مفقهاً لكم أنبئكم بلغة تعرفونها. قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية حفص {ءايات} بلفظ الجماعة، يعني: آيات القرآن. والباقون {ءايَةً} يعني: آية واحدة، يعني: أنه كان لا يكتب، وكان له في ذلك آية بينة لنبوته، ويجوز أن يكونا معناه الآيات للجنس.

تفسير الآيات رقم [5951 -]

{أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (51) قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آَمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (52) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (53) يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (54) يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (55) يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (56) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (57) وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (58) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (59)}

ثم قال عز وجل: {أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الكتاب} يعني: القرآن فيه خبر ما مضى، وخبر ما يكون أو لم يكفهم هذا علامة، ويقال: أو لم يكفهم أنهم فصحاء فجاءهم بالقرآن الذي أعجزهم عن ذلك. وقال الزجاج: كان قوم من

المسلمين كتبوا شيئاً عن اليهود فأتوا به النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «كَفَى هَذا حَمَاقَةَ قَوْمٍ أوْ ضَلاَلَةَ قَوْمٍ أَنْ يَرْغَبُوا عَمَّا أتاهُمْ بهِ نَبِيُّهُمْ إلى ما أَتَى بِهِ غَيْرُ نَبِيِّهِمْ» فقال عز وجل: {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الكتاب} {يتلى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذلك لَرَحْمَةً} يعني: في هذا القرآن لنعمة لمن آمن به {وذكرى} أي موعظة ويقال: تفكر {لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} يعني: يصدقون بالقرآن، فقال له كعب بن الأشرف: فقد كان قدم مكة من يشهد لك أنك رسول الله إن لم يشهد لك، فنزل {قُلْ كفى بالله بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً} بأني رسول الله {يَعْلَمُ مَا فِى السموات والارض *** والذين ءامَنُواْ بالباطل} يعني: بالصنم ويقال بالشيطان، ويقال: بالطاغوت، وهو كعب بن الأشرف. {وَكَفَرُواْ بالله} يعني: جحدوا وحدانية الله {أولئك هُمُ الخاسرون} يعني: المغبونين في العقوبة. ويقال: خسروا حيث استوجبوا لأنفسهم العقوبة. ثم قال عز وجل: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بالعذاب} وذلك أنهم قالوا: ائتنا بعذاب الله. يقول الله عز وجل: {وَلَوْلاَ أَجَلٌ مُّسَمًّى} أي لولا الوقت الذي وقّتَ لهم {لَّجَاءهُمُ العذاب وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً} يعني: فجأة {وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ} بنزول العذاب.

{يَسْتَعْجِلُونَكَ بالعذاب وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بالكافرين} يعني: جعلت لهم النار تحيط بهم. قوله عز وجل {يَوْمَ يغشاهم العذاب} يعني: يعلوهم {مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيِقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو: {وَنَقُولُ ذُوقُواْ} بالنون، يعني: نقول لهم نحن ذوقوا، وهي حكاية عن الله سبحانه وتعالى بلفظ الجماعة، وهو لفظ الملوك. وقرأ الباقون بالياء يعني: يقول الله عز وجل. ويقال: وتقول لهم الخزنة {ذُوقُواْ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} يعني: جربوا عقوبة ما كنتم تعملون في الدنيا.

ثم قال عز وجل: {ذَلِكَ بِأَنَّ الذين كَفَرُواْ} قرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو بسكون الياء، وقرأ الباقون بنصب الياء، وقرأ ابن عامر وحده {إِنَّ أَرْضِى وَاسِعَةٌ} بنصب الياء، وقرأ الباقون بسكونها في مثل هذه المواضع، لغتان يجوز كلاهما، ومعناه: إن أرضي واسعة، إذا أُمِرْتُم بالمعصية والبدعة فاهربوا، ولا تطيعوا في المعصية، نزلت في ضعفاء المسلمين {إِن كُنتُمْ} يعني: إذا كنتم في ضيق من إظهار الإسلام بمكة فَإِنَّ أَرْضِيَ وَاسِعَةٌ يعني: المدينة واسعة بإظهار الإسلام.

وروي عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه قال: «مَنْ فَرَّ بِدِينِهِ مِنْ أَرْضٍ إلى أرض وإنْ كَانَ شِبْراً مِنَ الأَرْضِ اسْتَوْجَبَ الجَنَّةَ وَكَانَ رَفِيقَ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلام» وإنما خصَّ إبراهيم لأنه قال {فَأَامَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إلى ربى إِنَّهُ هُوَ العزيز الحكيم} [العنكبوت: 26] ففرَّ بدينه إلى الأرض المقدسة، وإنما خصّ محمداً صلى الله عليه وسلم لأنه هاجر من مكة إلى المدينة. ويقال: إن القوم كانوا في ضيق من العيش فقال: إن كنتم تخافون شدة العيش فإن أرضي واسعة. {فَإِيَّاىَ فاعبدون} أي موحدون بالمدينة علانية.

ثم خوفهم بالموت ليهاجروا فقال: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الموت} لأنهم كانوا يخافون على أنفسهم بالخروج، فقال لهم: لا تخافوا فإنَّ {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الموت ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم. قرأ عاصم في رواية أبي بكر {يَرْجِعُونَ} بالياء بلفظ المغايبة على معنى الخبر عنهم. وقرأ الباقون بالتاء على معنى الخطاب لهم.

ثم قال عز وجل: {والذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات} يعني: صدقوا بالله ورسوله {وَعَمِلُواْ الصالحات} يعني: الطاعات وهاجروا فسمى الهجرة من الأعمال الصالحة لأنها كانت فريضة في ذلك الوقت {لَنُبَوّئَنَّهُمْ} يعني: لننزلنهم ولنسكننهم. {مّنَ الجنة غُرَفَاً} يعني: غرفاً من الجنة. قرأ حمزة والكسائي: {***لنثوينهم} بالثاء، وقرأ الباقون {ظُلِمُواْ لَنُبَوّئَنَّهُمْ} بالباء، فمن قرأ بالثاء فهو من ثويت بالمكان، يعني: أقمت به، كقوله {وَلَكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُوناً فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ العمر وَمَا كُنتَ ثَاوِياً فِى أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ ءاياتنا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ} [القصص: 45] ومن قرأ بالباء يعني: لننزلنهم، وذكر عن الفراء أنه قال: كلاهما واحد، بوأته منزلاً أي أنزلته، وأثويته منزلاً يعني: أنزلته سواء، كقوله {وَمَا كُنتَ ثَاوِياً}.

ثم قال {تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار خالدين فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ العاملين} أي ثواب الموحدين {الذين صَبَرُواْ} على الهجرة. ويقال: صبروا على أمر الله تعالى. {وعلى رَبّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} أي: يثقون به ولا يهتمون للرزق لأنهم كانوا يقولون: كيف نهاجر وليس لنا مال ولا معيشة، فوعظهم الله ليعبتروا فقال:

▲ تفسير الآيات رقم [60- 63]

{وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (60) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (61) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (62) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (63)}
{وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ} يعني: وكم من دابة في الأرض أو من طائر في السماء {لاَّ تَحْمِلُ رِزْقَهَا} معها ولا يجمع الغذاء إلا النملة والفأرة. ويقال: لا تخبئ رزقها {الله يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ} يعني: يرزق الدواب حيث ما توجهت، وإياكم إذا هاجرتم إلى المدينة. {وَهُوَ السميع} لمقالتكم {العليم} بكم {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ} يعني: كفار مكة {مِنْ خلاق *** السموات والارض *** وَسَخَّرَ الشمس والقمر لَيَقُولُنَّ الله فأنى يُؤْفَكُونَ} يعني: من أين يكذبون بتوحيد الله عز وجل. ثم رجع إلى أهل الهجرة ورغبهم فيها فقال {الله يَبْسُطُ الرزق لِمَنْ يَشَاء} يعني: يوسع على من يشاء {مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ} ويقتر لمن يشاء {أَنَّ الله بِكُلّ شَئ عَلِيمٌ} من البسط والتقتير {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّن نَّزَّلَ مِنَ السماء مَاء فَأَحْيَا بِهِ الارض *** بَعْدَ مَوْتِهَا} يعني: من بعد يبسها وقحطها {لَيَقُولُنَّ الله قُلِ الحمد لِلَّهِ} على إقرارهم بذلك {بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ} توحيد ربهم، وهم مقرون بالله عز وجل خالق هذه الأشياء.

▲ تفسير الآيات رقم [64- 69]

{وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (64) فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (65) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (66) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ (67) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ (68) وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (69)}

قوله عز وجل: {وَمَا هذه الحياة الدنيا إِلاَّ لَهْوٌ} يعني: باطل {وَلَعِبٌ} كلعب الصبيان، ولهو كلهو الشبان. ويقال: فرح لا يبقى للخلق ولا يبقى فيها إلا العمل الصالح. روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الدنيا ملعونة وملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى وما والاه أو عالماً أو متعلماً» وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه مَرَّ بسخلة منتنة فقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَلدُّنْيَا على الله أهْوَنُ مِنْ هذه السَّخْلَةِ عَلَى أَهْلِهَا» {وَإِنَّ الدار الاخرة لَهِىَ الحيوان} يعني: هي دار الحياة لا موت فيها {لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ} يعني: لو كانوا يصدقون بثواب الله عز وجل. {فَإِذَا رَكِبُواْ فِى الفلك} يعني: في السفن {دَعَوُاْ الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدين} يعني: مجدين وتركوا دعاء أصنامهم، ويعلمون أنه لا يجيبهم أحد إلا الله تعالى. {فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى البر} يعني: إلى القرار {إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ} به.

قوله عز وجل: {لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءاتيناهم} يعني: ما أعطيناهم من النعمة {وَلِيَتَمَتَّعُواْ} قرأ عاصم وأبو عمرو وابن عامر ونافع في رواية ورش: {وَلِيَتَمَتَّعُواْ} بكسر اللام، وقرأ الباقون بالجزم. فمن قرأ بالكسر، فمعناه: لكي يتمتعوا، لأن الكلام عطف على ما قبله يعني: يشركون لكي يكفروا، ولكي يتمتعوا في الدنيا. ومن قرأ بالجزم فهو على معنى التهديد والتوبيخ بلفظ الأمر، وتشهد له قراءة أبيَّ كان يقرأ تمتعوا. {فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} ومعناه وليتمتعوا، يعني: وليعيشوا فسوف يعلمون إذا نزل بهم العذاب {أَوَ لَمْ *** يَرَوْاْ} يعني: أو لم يعلموا ويعتبروا {أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً ءامِناً وَيُتَخَطَّفُ الناس} يعني: يختلس الناس فيقتلون ويسبون وهم آمنون يأكلون رزقي ويعبدون غيري، فكيف أسلط عليهم إذا أسلموا. {أفبالباطل يُؤْمِنُونَ} يعني: أفبالشيطان يصدقون أن لي شريكاً. ويقال: أفبالأصنام يؤمنون {وَبِنِعْمَةِ الله يَكْفُرُونَ} يعني: وبخالق هذه النعمة ورسوله يجحدون.

ثم قال عز وجل: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افترى عَلَى الله كَذِباً} بأن معه شريكاً {أَوْ كَذَّبَ بالحق} يعني: بالقرآن {لَمَّا جَاءهُ} أي حين جاءه {أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى للكافرين} مثوى، أي مقاماً للكافرين بالتوحيد كما قال {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءاناً عَرَبِيّاً لّتُنذِرَ أُمَّ القرى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الجمع لاَ رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى الجنة وَفَرِيقٌ فِى السعير} [الشورى: 7] ثم قال عز وجل: {والذين جاهدوا فِينَا} يعني: رغبوا في طاعتنا {لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} يعني: لنعرفنهم طريقنا، ويقال: معناه لنرشدنهم طريق الجنة {وَإِنَّ الله لَمَعَ المحسنين} يعني: في العون

لهم ويقال: والذين عملوا بما علموا لنوفقنهم لما لم يعلموا، والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

http://www.al-eman.com/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A8/%D8%AA%D9%81%D8%B3%D9%8A%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%85%D8%B1%D9%82%D9%86%D8%AF%D9%8A%D8%8C%20%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%85%D9%89%20%C2%AB%D8%A8%D8%AD%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%85%C2%BB%20***/i367&n43&p1